



كتاب الثقلين

٢

# الأعلام

وشبهات المستشرقين

السيد فلاح محمد القادر

سلسلة كتب دوت نت قصيدة عن مجلة رسالة الثقلين

كتاب الفقه  
٣

# الأحكام وشرها في المصنفين

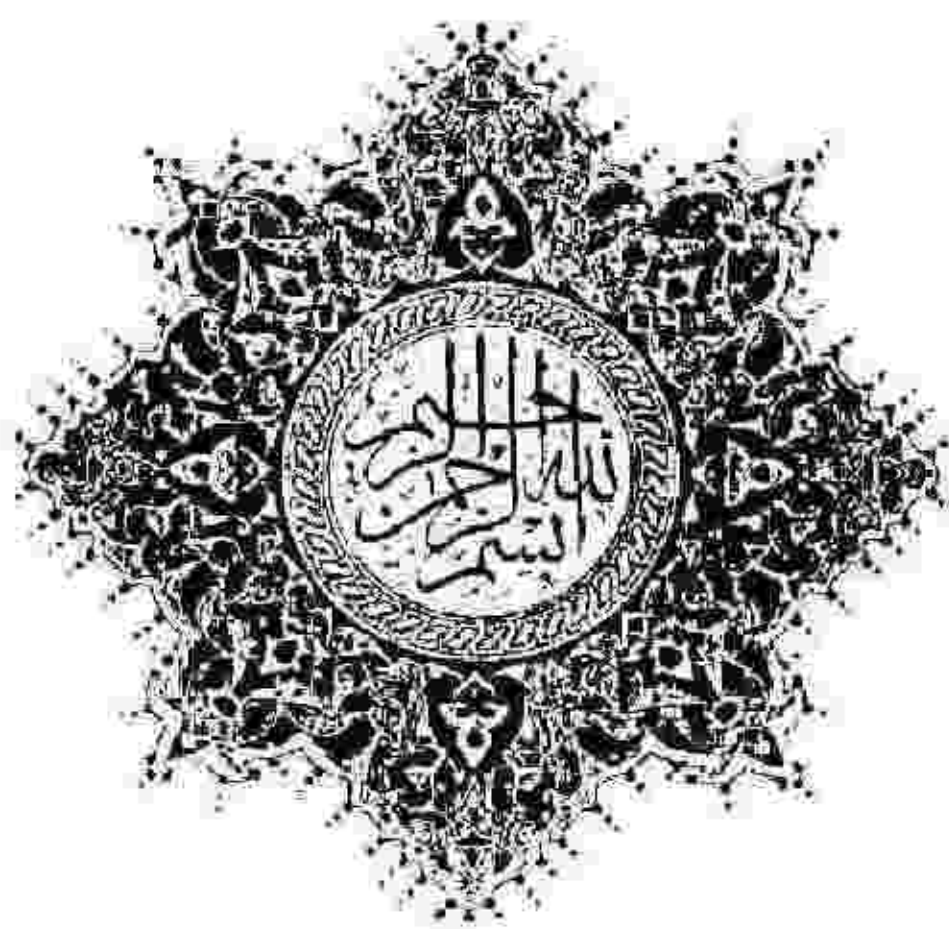
في الفقه الفقه

سلسلة كتب الفقه في المصنفين

## هوية الكتاب:

الكتاب :	الاسلام وشبهات المستشرقين
المؤلف :	الشيخ فؤاد كاظم المقدادي
الناشر :	المجمع العالمي لأهل البيت (ع)
المطبعة :	امير
الطبعة :	الاولى
سنة الطبع :	١٤١٦ هـ
الكمية :	٣٠٠٠ نسخة
صف و اخراج :	المجمع العالمي لأهل البيت (ع)

جميع حقوق الطبع محفوظة







# كَلِمَةُ الْمَجَلَّةِ

ابتلي الحق على امتداد مسيرة البشرية بالجهل، ولأن من طبيعة الانسان أن يكون عدواً لما جهل، فإن الحق بدوره عانى من جهل الجاهلين ومواقفهم المتزمتة الشيء الكثير، ولكن الحق هو المنتصر على طول الخط لأن الله هو الغالب، وليس نصيب الجهل والتزمت إلا الاندحار والخذلان.

والاسلام العظيم رسالة خاتم الانبياء محمد ﷺ إلى الأرض، وهو الحق الذي ليس وراءه حق، وكيف لا يكون كذلك وهو هدية الحق المتعال إلى عباده؟ إنه وحي السماء الذي رسمه القرآن الكريم بكلمات من نور ليكون هدى لا ريب فيه للعالمين ومنقذاً لهم من الضلال والظلمات إلى الصراط الجلي المستقيم.

لقد عانت الاديان الإلهية جمعاء منذ بزوغ شمسها على هذه الأرض ومنذ أن صدع الرسل والانبياء بها، عانت العداء السافر والمواجهات الساخنة التي كان الجهالة يواجهون بها رسل الله تعالى وأنبياءه ورسالاتهم الحققة. إذ لم يقف هؤلاء عند حد رفضهم لما يحییهم، بل تجاوز الأمر ذلك إلى الحرب الشرسة بالكلمة واليد، ولم يسلم نبي قط من مثل هذه المواقف، ولم تنج رسالة من مثل هذا العداء. وكان الاسلام المحمدي الأصيل هدفاً لسهام الأعداء وغرضاً لنهجم العدائي، لا شيء إلا لأن الاسلام هو الخطر الحقيقي الذي مهدد أفكارهم ومناهجهم ويقف حائلاً منيعاً دون تحقق رغباتهم الشريرة وأطباعهم الخبيثة في

نشر الانحراف والزيف وتمكين الطواغيت من التحكم والسيطرة التشريعية على خيرات البلاد ومقدرات العباد.

وكانت الاساليب التي يستخدمها اعداء الاسلام متعددة ووسائلهم مختلفة، وكلها نصب - رغم اختلافهم فيما بينهم - في هدف واحد هو القضاء على الاسلام ورسالته الخالدة. فكانت الحرب النفسية والاقتصادية والفكرية والثقافية والعسكرية في نهاية المطاف عندما تكون الظروف مواتية للأعداء لشن حربهم على الاسلام والمسلمين، كما هو الحال في الحروب الصليبية الممتدة منذ مئات السنين والتي لم يخذلوا وارها ولم تهدأ فورتها منذ اشتعالها. وقد كانت تلك الحروب على ثلاثة خطوط:

١ - الخط العسكري في المواجهة، متمثلاً بالهجوم على البلاد الاسلامية واحتلال اراضيها وقتل ابنائها وتشريد رجالها، وغيرها من الاساليب ووسائل المواجهة العسكرية.

٢ - الخط الاقتصادي متمثلاً بنهب خيرات البلدان الاسلامية وفرض الحصار عليها.

٣ - الخط الثقافي الفكري متمثلاً بالغزو الثقافي المقيت وما يهدف له من خطط جهنمية هي تشويه المفاهيم الاسلامية والدس والتشكيك في مصداقيتها ونهجها التوحيدي.

وهذا الخط هو الذي عمل عليه أكثر المستشرقين وعبأوا كل طاقاتهم وسخروا كل امكانياتهم من أجل إحكام خطته وتنفيذ فقراته. إذ إن هدف هؤلاء المستشرقين هو المسلم الأصيل، وقبله المسلم العادي، فإن بذر الشك في نفسه وزعزعة إيمانه بالمبادئ الحقبة التي يعتنقها هو خير سبيل لحرفه وإبعاده عن دينه ثم السيطرة عليه نهائياً وتحويله من عدو للكفر والفساد إلى عدو للاسلام والرشاد.

إن هؤلاء المستشرقين وبحوثهم ودراساتهم الاستشراقية حول الاسلام والمسلمين مهدوا الطريق لزرع بذور الشك من خلال دسهم وتشويههم للمبادئ الاسلامية، وحققوا في نفوس بعض المسلمين قابلية الاستعمار، فأصبح البعض من المسلمين يدعون إلى الانحراف والتبعية للغرب ويحاربون الاسلام وعقيدته جهلاً منهم وضلالاً.

لقد تقنّع هؤلاء المستشرقون بقناع البحث العلمي لإضفاء الصبغة العلمية على بحوثهم حتى يتمكنوا من خلالها من خداع وتضليل الجهلة وضعاف النفوس الذين لم يدخل الايمان قلوبهم ولم تكن لهم القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب والغث والسمين.

والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم يسلط الأضواء على واقع المستشرقين وطبيعة بحوثهم ودراساتهم وأهدافهم ومدى تأثيرهم في مسيرة الأحداث، ويفتح أعين المسلمين على هذا الموضوع الحساس والخطير، حتى يكون المسلم على بصيرة من أمره واعياً لما يحكيه أعداء الاسلام من مؤامرات، محصناً بالفكر والحجة والدليل لردّ جميع الشبهات التي يثيرها هؤلاء المستشرقون ضد إسلامه الحنيف وعقيدته الخالدة.

ويمتاز هذا الكتاب بأسلوبه السلس ومنهجيته العلمية التي استندت في مناقشتها وطرحها إلى المصادر الموثوقة. وقد بذل الكاتب سباحة الشيخ المقدادي الجهد الكثير من أجل التعرف على الاساليب والاهداف والنتائج التي وصل إليها المستشرقون، وناقش الشبهات بروح علمية موضوعية بعيدة عن التعنّت والتعصب.

وسيدرك القارئ الكريم عند متابعته لبحوث الكتاب هذه الحقيقة ويعرف مدى الجهد الذي بذله الكاتب المحقق في هذا السبيل من أجل الدفاع عن كيان

الاسلام وحومة المسلمين. وقد حدّد وبين بصورة خاصة الكثير من الشبهات التي أثارها اعداء الاسلام وخاصة المستشرقون منهم وردّها رداً علمياً منطقياً لا يدع مجالاً للتردد في الاقتناع به وقبوله.

نتمنى أن تكون هذه الدراسة القيمة محلّ اهتمام المسلمين لكي يتعرفوا على الملابسات والظروف العصبية التي مرّ وعمرّ بها الاسلام خصوصاً في هذه الفترة العصبية، حيث يجتمع كلّ الأعداء شرقاً وغرباً للفتك بالاسلام والمسلمين ﷺ والله غالب على أمره.

صدق الله العلي العظيم.

هيئة التحرير

مجلة رسالة الثقلين



# مُقَدِّمَةٌ

لِلْعِلَامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ عَلَى التَّيَّخِي

الرُّبَيْسِي الْعَلَمِي بِمَجْمَعِ الْعَالَمِيَّةِ لِلدِّينِ

لقد كانت فكرة إصدار سلسلة (كتاب الثقلين) فكرة جيدة.. يقف القاري الكريم فيها على كل الفكرة التي جاءت متفرقة وفي أعداد متعددة مما يعطيه صورة كاملة عن الموضوع... وما انتشر منها لحد الآن يوضح الفوائد الجمّة من تحقيق هذه الفكرة.

وموضوع هذا الكتاب من أهم المواضيع التي شغلت بال المخلصين والمفكرين من أبناء هذه الأمة لعقود طويلة.. إلا وهو موضوع (المستشرقين) فرغم وجود بعض العناصر المخلصة أو المحايدة فيهم فإن الغالبية العظمى منهم جاءت لتدرس الإسلام من خلال موقف نفسي مسبق ملؤه الحقد والسعي للتشويه - بل والتمهيد - لتحقيق هزيمة نفسية للمسلمين تسبق الحملة العسكرية المنظمة التي كان يخطط لها أولئك الذين دفعوا هؤلاء لمثل هذه الأساليب.

وقد حاول هؤلاء تشويه التاريخ الإسلامي والتشكيك في كل المقدسات الإسلامية، وإثارة الشبهات حول النسب السماوي للقرآن الكريم والسلوك الظاهر لرسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين وصحابته المنتجبين، منتحلين الكثير من القصص ومستغلين الكثير من الفجوات الموجودة - مع الأسف - في نوارحنا

ومروياتنا لتحقيق هدفهم المشؤوم. مما دفع الكاتب الكريم الاستاذ المقدادي لعرض هذه الشبهات والتنبيه على مكان الخطر فيها مستتبعا نشأة الاستشراق وعوامله ومستعرضا بعض مدارس المشهورة ومركزا على ما دسوه في الانتاج الموسوعي، ودوائر المعارف الشهيرة. ومبيناً جوانب الخلط والخطأ الفادح فيها فالى مطالعة هذا الكتاب الجيد ندعو القراء الاعزة راجين للاستاذ الفاضل الكاتب كل موفقية وسداد في عمله المبارك.

محمد علي التسخيري



المدخل

أقل الكتاب والشقلين



منذ بزوغ فجر الإسلام، وصدوع الرسول محمد ﷺ بالدعوة الجديدة، تنادت قوى الكفر والشرك والضلال، وأجمعت أمرها على التصدي لها بكل ما تملك من وسائل، وحاولت جاهدة القضاء عليها في مهدها مستهدفة ثقلها الكريمين القرآن المجيد والرسول الكريم ﷺ وأهل بيته الاطهار ﷺ. وكان لأهل الكتاب، ممن نكثوا العهد ونقضوا المواثيق المأخوذة عليهم من قبَل أنبيائهم بالالتحام مع الرسالة المحمدية، الدور الأكبر والجهد الفاعل في التصدي والتآمر على شخص الرسول ﷺ وعلى الرسالة التي جاء بها.

ولعل ما يؤكد ذلك هو أن من أكثر ما تناوله القرآن الكريم ونزلت به آيات كريمة بهذا الصدد يتعلق بأهل الكتاب، من بيان لطبيعة سلوكهم وموقفهم من الثقلين وارشاد الرسول ﷺ إلى ما يجب أن يتخذه من موقف رسالي تجاههم. فقد بلغت الآيات القرآنية الكريمة النازلة بهم (٢٦٧ آية تقريباً)، وهذا يدلّ دلالة واضحة على أهمية دورهم وخطرهم على حركة الرسول ﷺ في تثبيت دعائم الرسالة الإسلامية وضمان مستقبلها على صعيد حفظها من التحريف والتزوير، وتبليغها لكافة الناس، وامتداد لوائها إلى أقصى أمصار الأرض.

ومن الواضح أن الآيات الكريمة في هذا المجال تنقسم إلى قسمين رئيسيين، وقد يتداخل القسمان في الآية الواحدة وقد ينفصلان، وقد تتداخل مفردتان تفصيليتان فيها أو أكثر وقد تستقلّ بواحدة. ونستعرض كلاً منها كالآتي:

## القسم الاول:

الآيات الناظرة إلى موقف أهل الكتاب من الثقلين، ويمكن عرضها على شكل عناوين تفصيلية تظهر لنا أبرز مواقفهم تلك:

### ١- كتمان الحق وتحريفه:

وهم يعلمون... ففي الآيات المبينة التالية نرى أن كل آية منها تجري مع الخط الأساسي العريض في مجموعها وهو خط المواجهة بين أهل الكتاب والنقيين وبها يتجلى ما بذله هؤلاء الأعداء من جهد وحيلة ومن مكيدة وخداع ومن كذب وليس للحق بالباطل، وبث الريب والشكوك وتبييت الشر والضرر لها بلا وفي ولا انقطاع كما في قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه...﴾<sup>(٢)</sup>.  
وقوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبينه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلاً فبئس ما يشترون﴾<sup>(٣)</sup>.  
وقوله تعالى: ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾<sup>(٤)</sup>.

ومن المثير في موقفهم هذا أنهم كانوا ينتظرون بزوغ فجر الدين الجديد، وكانوا يبشرون به ويفتخرون على غيرهم من الأمم والأديان بأن النبي المتوقع

(١) آل عمران: ٧٦.

(٢) النساء: ٤٦.

(٣) آل عمران: ١٨٧.

(٤) البقرة: ٧٥.

سيكون منهم، ولكن ما إن جاءهم حتى كفروا به. قال تعالى: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ (١).

ثم إنهم كانوا يعرفون النبي محمداً ﷺ باسمه وبمبشطاته، ولكن بعد أن بعثه الله سبحانه لم يؤمنوا به، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (٣).

## ٢ - نقض العهود والمواثيق:

وهم لا يتقون... رغم كل ما أخذه عليهم أنبياءهم من مواثيق وعهود بضرورة الإيمان بالرسول محمد ﷺ المبشر به في كتبهم وبما يأتي به من كتاب الله. ومن صريح الآيات في ذلك قوله تعالى: ﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا

(١) البقرة: ٨٩.

(٢) الانعام: ٢٠.

(٣) البقرة: ١٤٦.

(٤) الانفال: ٥٦.

(٥) البقرة: ١٠٠.

تَكْمُونَهُ فَنَبْذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١١﴾

### ٣- النفاق والتضليل:

وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون... قال تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٢).

وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرِ قُلُوبُهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٤).

وقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٥).

وبهذا الأسلوب حاول بعضهم جاهدين التوغل في صفوف المسلمين عن طريق مؤامرة خسيصة كشفها الله سبحانه وتعالى، وأوضح خطتها الرمية لزراعة الإيمان وإخراج المسلمين من عقيدتهم وهي تقوم على أساس التطاهر

(١) آل عمران: ١٨٧.

(٢) آل عمران: ٦٩.

(٣) المائدة: ٤١.

(٤) البقرة: ٨٨.

(٥) البقرة: ٥٤.



بالإيمان بالرسالة ثم الانسحاب منها بحجة التوصل إلى قناعة تامة بطلانها وبطلان دعوى النبي محمد ﷺ بالنبوة، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١).

وعلى نفس النهج يكشف الله تعالى مؤامراتهم الواحدة تلو الأخرى كالتي يشير إليها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقٌ يَلُونُ السُّنْتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

#### ٤ - الحسد والتعصب:

كأنهم لا يعلمون... فقد استولت على فريق من أهل الكتاب هذه الحالة الطاغية من الحسد والحقد والتعصب عندما حصص الحق وبان لهم حده، فراحوا يكيدون للفقهاء ما وسعتهم المكائد واحتوته نفوسهم المريضة من خداع وتزييف.. ومن الآيات المحكمات التي تسوق لنا هذه الحقيقة هي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ...﴾ (٤).

(١) آل عمران: ٧٢.

(٢) آل عمران: ٧٨.

(٣) البقرة: ١٠٢.

(٤) البقرة: ١٠٩.



وقوله تعالى: ﴿ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ (٤).

## ٥ - التعالي والاستهزاء:

لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون.. وهذا أسلوب آخر تميّز به المكابرون من أهل الكتاب، فهو لغة من أعيته السُّبُل فراح يتخبط في وهم أغمض فيه عينيه عن الحقائق هارباً من الحق إلى الباطل، تارة بمسلك العتوّ والاستعلاء وأخرى بمنطق السخرية والاستهزاء كما تشير إليه آيات كريمة، منها قوله تعالى في الذين هادوا: ﴿... وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْنَمَ وَلَكِنْ

(١) البقرة: ١٠٥.

(٢) البقرة: ٨٩.

(٣) البقرة: ١٣٥.

(٤) النساء: ٥١.

لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومن إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشرٌ ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾<sup>(٣)</sup>.

## ٦- الحقد والعدوان:

لبئس ما كانوا يعملون... من صدَّ عن سبيل الله ومسا رعتهم في الإثم والعدوان بعد أن رأوا دين الله يعلو وينتشر وأمر نبيه محمد ﷺ يذيع بين القبائل والأمم... فأعدوا العدة للحرب والعدوان... بدءاً بمعركة النصارى مع المسلمين في مؤتة التي استشهد فيها جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة، فمعركة اليرموك وما بعدها... ومنه ما كان من اليهود الذين عُرفوا بالخيانة ونقض العهود، كالذي حدث في معركة الأحزاب عندما نقضوا العهد مع النبي ﷺ وتحالفوا مع المشركين ضده... وكذا واقعة خيبر التي كانت فيها هزيمتهم الماحقة على يد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وقد عرضت آيات من القرآن الكريم هذه النزعة فيهم... ويظهر هذا الموقف من خلال جملة من آيات القرآن كما في قوله تعالى: ﴿وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما

(١) النساء: ٤٦.

(٢) آل عمران: ٧٥.

(٣) المائدة: ١٨.

كانوا يعملون ﴿١﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ ﴿٢﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكِلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ ﴿٣﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ وَبَصَدُّهُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ ﴿٤﴾.

### القسم الثاني:

الآيات المرشدة للرسول ﷺ والمسددة له في اتخاذ الموقف الإلهي من سلوك ومواقف أهل الكتاب. ولعل أبرز عناوينها التي تحدد تلك المواقف الإلهية هي:

#### ١- دعوة أهل الكتاب للحق وترغيبهم فيه:

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين... ففي الآيات التالية حكاية وبيان بليغ لذلك. قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يَبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يَبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِّن

(١) المائدة: ٦٢.

(٢) المائدة: ٥٩.

(٣) التوبة: ٣٤.

(٤) النساء: ١٦٠.

(٥) المائدة: ١٥.

الرسول أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير ﴿١﴾.

## ٢ - التحاج إلى الحق:

فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون... وصریح هذا الموقف الإلهي للرسول ﷺ نجده في قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعوون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون﴾ (٣).  
وقوله تعالى: ﴿أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من المكثرين﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم...﴾ (٥).  
وقوله تعالى: ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ (٦).

(١) المائدة: ١٩.

(٢) آل عمران: ٦٤.

(٣) آل عمران: ٢٣.

(٤) الانعام: ١١٤.

(٥) المائدة: ٦٨.

(٦) آل عمران: ٦٦.

وقوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون﴾ (١).

### ٣- الرد على شبهاتهم:

ثم ذرهم في خوضهم يلعبون... وآيات هذا الموقف كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بيل يده ميسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (٤).

### ٤- كشف نواياهم وامتحان مدى صدقهم:

والله أعلم بما كانوا يكتمون... كما في قوله تعالى: ﴿وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾ (٥).

(١) آل عمران: ٧٠.

(٢) الانعام: ٩١.

(٣) المائدة: ٦٤.

(٤) البقرة: ٨٠.

(٥) المائدة: ٦١.



وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نؤمنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وكذا قوله تعالى في امتحان مدى صدقهم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوَيْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

#### ٥ - إصاف طلاب الحق منهم:

أولئك لهم أجرهم عند ربهم... كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>(٣)</sup>. وغالباً ما يكون هؤلاء من المنتظرين بإخلاص وصدق لبعثة الرسول بالرسالة الإسلامية الموعودة ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ...﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

#### ٦ - رفض ولايتهم:

ومن يتوهم منكم فإنه منهم... فقد جاء في الخطاب الإلهي للمؤمنين قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

(١) آل عمران: ٨٨٣.

(٢) الجمعة: ٦.

(٣) آل عمران: ١٩٩.

(٤) النساء: ١٦٢.

(٥) القصص: ٥٢.

بعض ومن يتوهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴿١﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ (٢).  
وأيضاً في قوله تعالى: ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون﴾ (٣).

## ٧ - احترام العهود والمواثيق معهم:

إنَّ الله يحب المتقين... وبيان ذلك من خلال شمول إطلاق المشركين لأهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إنَّ الله يحب المتقين﴾ (٤).  
وقوله تعالى: ﴿... إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ (٥). وكذلك في خطاب الله سبحانه لبني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإني أفرهون﴾ (٦).

## ٨ - الحذر من اغوائهم وتضليلهم:

إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون... ويظهر لنا هذا المعنى من خلال سياق

(١) المائدة: ٥٦.

(٢) المائدة: ٥٧.

(٣) المائدة: ٨١.

(٤) التوبة: ٤.

(٥) التوبة: ٧.

(٦) البقرة: ٤٠.



آيات كريمة في قوله تعالى: ﴿أَقْتَضِعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُوبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾<sup>(١١)</sup>. وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ أَتَّبِعَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَنْ أَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمْ تَرْضَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١٢)</sup>. وَأَيْضاً قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾<sup>(١٣)</sup>.

#### ٩ - التهديد والوعيد للمعاندِين منهم:

فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ... وَفِي هَذَا نَجِدُ مَجْمُوعَةً مِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ صَرِيحَةً فِي بَيَانِهَا، شَدِيدَةً فِي مَدْلُوحِهَا، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامَ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>(١٤)</sup>. وَأَيْضاً قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(١٥)</sup>. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ

(١١) البقرة: ٧٥ - ٧٧.

(١٢) البقرة: ١٤٥.

(١٣) آل عمران: ١٠٠.

(١٤) آل عمران: ١٩.

(١٥) البقرة: ١٧٤.

عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴿١﴾. وقوله تعالى: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب المحريق﴾ ﴿٢﴾.

#### ١٠ - لعن وقتال المحاربين منهم:

حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون... وهذا صريح مبين في قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾ ﴿٣﴾. وكذلك في قوله تعالى: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ ﴿٤﴾.

وهكذا جاءت الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً﴾ ﴿٥﴾.

(١) البقرة: ٧٩.

(٢) آل عمران: ١٨١.

(٣) التوبة: ٢٩.

(٤) الحشر: ٢.

(٥) الاحزاب: ٢٦.

### العداء دائم ما دامت علته:

فمن قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِیْتَهُمْ أُهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾<sup>(٢)</sup>. نعرف أن العلة الأساسية للموقف العدائي لأهل الكتاب من ثقلی الرسالة الإسلامية «القرآن الكريم والعترۃ الطاهرة» قائمة دائمة في محور المواجهة بينهما وهي عدم رضا أهل الكتاب عن المسلمين وأئمتهم حتى يتبعوا ملتهم، ولا ينحصر هذا العناد والعداء بمرحلة دون أخرى بل يمتد في الأرض ما انتشر الإسلام، ويتزامن عبر العصور مع كل قيام شوكة للمسلمين إلا أنه يتكيف ويتشكل بما يوحیه إلیهم شیطانهم من مكر وخديعة وخبث ووقیعة، وفي مقدمتها المواجهة الفكرية والإعلامية بكافة أشكالها وكيفياتها... ومنها ما اصطلح علیه مؤخراً بالاستشراق... ويبقى موقفنا منهم متقوماً بنفس ما أرشد إلیه القرآن الكريم نبینا محمد ﷺ وهو ما استعرضناه في مدخل كتابنا هذا... وفي الفصول التالية سنتناول بشيء من التفصيل هذا الشكل من المواجهة لثقلی الإسلام وعطاءاتها الرسالية للبشرية.

(١) البقرة: ١٣٥.

(٢) البقرة: ١٢٠.



# الفصل الأول

## فِشَاءُ الْأَسْتِشْرَاقِ

- لَهْرِيَّةُ الْأَسْتِشْرَاقِ .
- النِّسَاءُ وَالْبَدَائِثُ .
- نِسَاءُ الْأَسْتِشْرَاقِ وَالْأَقْدَانُ بِالْتَّبَسُّرِ .
- نِسَاءُ الْأَسْتِشْرَاقِ بَيْنَ النَّجْمِ وَالْحَيِّ الْأَسْتِشْرَاقِ وَالْتَّبَسُّرِ .
- مَبْدَأُ الْأَسْتِشْرَاقِ أَخْرَاقُ نَقَائِصِ الْمُسَاحِقِينَ فِي أَوْرَثِهِ .
- الْأَسْتِشْرَاقِ أَوَّلُهُمُ الْأَسْتِشْرَاقِ .
- بَرُورُ نَظَرَاتِ الْأَسْتِشْرَاقِ الْأَسْتِشْرَاقِ .





## هوية الاستشراق

### تعريف الاستشراق:

يُعرف الاستشراق اصطلاحاً بأنه: «العلم باللغات والآداب والعلوم الشرقية»<sup>(١)</sup>. والعالم بها يسمى بالمستشرق والذي ينحصر مصداقه عادةً بالمتخصص الغربي بتلك العلوم. ومن خلال الاستقراء الشامل لما تمخض عنه الاستشراق فعلاً نجد أن الغالب على ما تناوله من الشرق هو الإسلام معارف وحضارة، وعليه يمكن بدواً موافقة المستشرق الفرنسي الشهير مكسيم رودنسون في تعريفه للاستشراق بأنه: «اتجاه علمي لدراسة الشرق الإسلامي وحضارته»<sup>(٢)</sup>. وبما أن الاستشراق نشأ على يد الاوربيين لذلك كان متاشياً ومتناسباً مع طبيعة الفكر الاوربي في كل مرحلة من مراحل التاريخ وكذلك منسجماً مع نظرة أوربا الى الشرق وبالأخص الشرق الإسلامي، فعندما كانت الطبيعة التبشيرية هي السمة البارزة للفكر والحكومات الاوربية كان الاستشراق يندفع بهذا الاتجاه، ويتأكد هذا إذا كان المستشرق ينطلق في عمله من خلال مؤسسة تبشيرية، حينئذٍ سيأخذ الاستشراق مساراً وحركة ذات اتجاه تبشيري وليس علمياً محضاً، فيمتد عمل المستشرق ليشمل كل ما يخدم مهمة التبشير، فهو

(١) الجند - مادة «شرق».

(٢) رودنسون، مكسيم، حوار تحت عنوان «الاستشراق في الميزان»، مجلة رسالة الجهاد، العدد ٧٠.



عندما يتناول الإسلام فكراً وحضارة بالبحث والدراسة سيكون ذلك على ضوء ما تملبه عليه طبيعة الفكر التبشيري... ويشير إلى ذلك المستشرق «درمنغهام» في معرض بيانه عن النفي الكيفي وإثارة المنكوك في معطيات السُّنة النبوية والتاريخ الإسلامي من قبل المستشرقين (ذوي الدوافع التبشيرية) فيقول: «من المؤسف حقاً أن غالى بعض هؤلاء المتخصصين - من أمثال موير، ومرجليوث، ونولدكه، وشبرنجر، ودوري، وكيتاني، ومارسني، وغريم، وغولدصهر، وغودفروا، وغيرهم - في النقد أحياناً، فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص، ومن انحزن أن لا تزال النتائج التي انتهى إليها المستشرقون سلبية وناقصة، ولن تقوم سيرة على النفي، وليس من مقاصد كتابي أن يقوم على سلسلة من المجادلات المتناقضة... ومن دواعي الأسف أن كان الأب «لامانسي» الذي هو من أشهر المستشرقين المعاصرين ومن أشدهم تعصباً وأنه شؤة كُتبه الرائعة الدقيقة وأفسدها بكرهه للإسلام ونبي الإسلام، فعند هذا العالم اليسوعي أن الحديث إذا وافق القرآن كان منقولاً عن القرآن، فلا أدري كيف يمكن تأليف التاريخ إذا اقتضى تطابق الدليلين تهادمهما بحكم الضرورة بدلاً من أن يؤيد أحدهما الآخر؟»<sup>(١)</sup>.

كما نجد ذلك واضحاً في مجموعة من المجلات الاستشراقية كمجلة (العالم الإسلامي) التي يصدرها المستشرقون الأميركيون والتي أنشأها «صموئيل زويمر»<sup>(٢)</sup> في سنة ١٩١١م وتصدر الآن من هارتفورد بأميركا ورئيس تحريرها

(١) درمنغهام - حياة محمد - المقدمة ص ٨ - ١١.

(٢) ومع ذلك فقد وقع درمنغهام في نفس الداء ونفت في كتابه هذا شأناً ناقعاً ومفاهيم سيئة منكورة عن الإسلام وانيه ﷺ.

(٢) صموئيل زويمر: (١٨٦٧ - ١٩٥٢م) مستشرق أميركي محرر مجلة (عالم الإسلام) له مؤلفات عن الإسلام في العالم وعن العلاقات بين المسيحية والإسلام منها «يسوع في إحياء الغزالي» - (القاموس المنجد) في الإعلام =

« كنيث كراج » وطابع هذه المجلة تبشيري سافر. وللمستشرقين مجلة شبيهة بتلك المجلة في روحها واتجاهها العدائي التبشيري وتحمل نفس الاسم (العالم الإسلامي) مع العلم أن أغلب المحررين لمثل هذه المجلات هم من المبشرين كالقسيس «أ.أ. الدر» والقسيس «أ. بشوب» والقسيس «ل.ل. براون» والقسيس «د.م. دونالدسون»<sup>(١)</sup>.

وهكذا عندما يكون طابع الفكر الأوربي السائد هو الطابع الاستعماري (بالمعنى الحديث للمصطلح) فإن الاستشراق يندفع بهذا الاتجاه ليقدم كل ما من شأنه تكريس الاستعمار، كتزويد الحكومات المستعمرة بالدراسات والتحليلات الوافية عن الشرق والبلاد المستعمرة، وكذلك تزوين صورة المستعمرين وتبرير ممارساتهم وإظهارهم بمظهر المنقذ والمحرّر وحامل راية الحرية والحضارة مثلاً، أو قد يكون المستشرق عاملاً في إحدى مؤسسات الدول الاستعمارية بصورة رسمية، كأن يكون مثلاً مستشاراً لوزارة المستعمرات في هذه الدول، كما هو الحال بالنسبة للمستشرق الفرنسي «هانوتو» الذي كان يعمل مستشاراً لوزارة الاستعمار الفرنسية، نجده يتجه في دراساته الاستشراقية إلى كل ما يخدم الحركة الاستعمارية لفرنسا في الشرق، بل يحاول توظيف رعييل من المستشرقين لهذا الغرض من خلال رسم مناهج بحثهم ودراساتهم الاستشراقية من وحي الدوافع الاستعمارية لبلاد الشرق الإسلامي...

وهكذا يصب الجهد الاستشراقي في الاطار الاستعماري لاوريا بشكل

= كان أحد أعضاء الأرسالية الأميركية العربية التبشيرية التي تأسست عام ١٨٨٩م وقد افتتح مع المبشر جيمس كاتين أول محطة عمل تبشيرية لهذه الأرسالية في البصرة عام ١٨٩١م، ثم تلتها محطة البحرين التبشيرية عام ١٨٩٣م، واستمر في أداء دوره التبشيري في منطقة الخليج العربية بمشاريع متنوعة هادفة بهذا الاتجاه. (د. التميمي، عبد الملك خلف - التبشير في منطقة الخليج العربي ص ٤٥ - ٧٠).

(١) الدكتور محمد البهي - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.

مباشر أو غير مباشر. ومن نماذج ذلك ما كتبه «هانوتو» هذا عن المسلمين وعقيدتهم واطعاً المقترحات الضرورية في نظره لتوجيه سياسة فرنسا في مستعمراتها الإفريقية الإسلامية تحت عنوان «قد أصبحنا اليوم إزاء الإسلام والمسألة الإسلامية»، وقد نشرت جريدة «المؤيد» في تمام القرن التاسع عشر ترجمة لمقالته هذه نورد مقاطع منها هي قوله: «... في تلك البقعة الإفريقية التي أصبحت مقر ملك الإسلام، جاءت الدولة الفرنسية لمباغتته. جاء القديس لويس - الذي ينتمي إلى إسبانيا بوالدته - ليضرم نيران القتال في مصر وتونس، وتلاه لويس الرابع عشر في تهديده الإمارات الإفريقية الإسلامية، وعاود هذا الخطر نابليون الأول، فلم يوفق في تحقيقه الفرنسيون إلا في القرن التاسع عشر، حيث أخذوا على دولة الإسلام التي كانت لا تني في متابعة الغارات على القارة الأوربية، فأصبحت الجزائر في أيديهم منذ سبعين عاماً، وكذلك القطر التونسي منذ عشرين عاماً».

«... إذن فقد صارت فرنسا بكل مكان في صلة مع الإسلام، بل صارت في صدر الإسلام وكبده، حيث فتحت أراضيه وأخضعت لسطوانتها شعوبه وقامت تجاهه مقام رؤسائه الأولين، وهي تدبر اليوم شؤونهُ وتجيّ ضرائبه، وتحشد شبابه لخدمة الجندية، وتتخذ منهم عساكر يذبّون عنها في مواقف الطعان ومواطن القتال».

«إن شعباً جمهوري المبادئ (شعب فرنسا) يبلغ عدد نفوسه أربعين مليوناً لا مرشدة إلا نفسه - لا عائلات ملوكية فيه يتنازع عن الحكم، ولا رؤساء يتناولون الرئاسة بطريق الوراثة - هو الذي تقلد زمام إدارة شعب آخر لا يلبث أن ينمو حتى يساويه في العدد، وهو ذلك الشعب المنتشر في الأرجاء الفسيحة والأصقاع المجهولة، والمتبع لتقاليد وعادات غير التي نقولها ونحترمها... هو الشعب



الإسلامي السامي الاصل، الذي يحمل إليه الشعب الآري المسيحي الجمهوري الآن ملح المدنية وروحها!!

ليس الإسلام في داخلنا فقط، بل هو خارج عنا أيضاً... قريب منا في «مراكش» تلك البلاد الخفية الأسرار... قريب منا في «طرابلس الغرب» التي تتم بها المواصلات الأخيرة بين مركز الإسلام في البحر الأبيض المتوسط وبين الطوائف في باطن الفارة الأفريقية، قريب منا في «مصر» حيث تصادمت معنا الدولة البريطانية فصادمنا إياها في الأقطار الهندية، وهو موجود وشائع في «آسيا» حيث لا يزال قائماً في بيت المقدس ونائراً أعلامه على «مهد الانسانية مقر المسيح»، ويحسب أنصاره وأشياعه في قارات الارض القديمة بالملايين وقد انبعثت منه شعبة في بلاد الصين فانتشر فيها انتشاراً هائلاً حتى ذهب البعض الى القول بأن العشرين مليوناً من المسلمين الموجودين في الصين لا يلبثون أن يصيروا مائة مليون، فيقوم الدعاء لله مقام الدعاء «لساكياموني» وليس هذا بالأمر الغريب، فإنه منتشر في الآفاق...».

«لا تظنوا أن هذا الإسلام الخارجي الذي تجمع جامعة فكر واحد، غريب عن إسلامنا (في تونس والجزائر) ولا علاقة له به، لأنه وإن كانت البلاد (الإسلامية) التي تحكمها شعوب مسيحية ليست في الحقيقة (دار إسلام) وإنما هي دار حرب، فإنها لا تزال عزيزة وموقرة في قلب كل مسلم صحيح الإيمان، والغضب لا يزال يحوم حول قلوبهم كما تحوم أنثى الأسد حول قفص جلست فيه صغارها، وربما كانت قضبان هذا القفص ليست متقاربة ولا بدرجة من المتانة تمنعها عن الدخول إليها من بينها».

«يؤخذ مما تقدم أن جرائم الخطر لا تزال موجودة في تسيات الفتوح وعلى أفكار المقهورين الذين أتعبتهم النكبات التي حاقت بهم، ولكن لم تثبط همهم،

نعم ليس لمقاومتهم رؤساء يشدون هذه المقاومة، ولكن رابطة الإخاء العامة لأفراد العالم الإسلامي بأسره كافلة بالرئاسة... في مسألة علاقتنا مع الإسلام تجد المسألة الإسلامية والمسألة الدينية والمسائل الداخلية والخارجية شديدة الاتصال بعضها ببعض، وهذا ما يجعل حلها صعباً ومتعذراً، كما سنبينه».

هذا الدافع «الاستعماري» الذي تجلّى عند المستشرق الفرنسي «هانوتو» خلق تلك النظرة إلى المسلمين في آسيا وأفريقيا، وهي نفسها التي يحملها المستعمر الفرنسي والإنجليزي والهولندي عند تعامله معهم وتوجيهه إياهم، وبهذا تتضح سياسة الاستعمار في الشرق الإسلامي من خلال توجيه الاستشراق كحركة وتوسيع مفهومه من الإطار العلمي المحض إلى إطار حركة الاستعمار وأهدافه.

وقد لا يكون وراء الاستشراق كحركة دافع واحد يضاف إلى مدعى الدافع العلمي بل كثيراً ما تجتمع وراءه دوافع متعددة تنحويه باتجاه استيعاب كل الأغراض والأهداف المشتركة للقوى الكامنة وراءه فيندفع في مرحلة تأريخية واحدة باتجاهات متعددة هدفها تشويه وتحريف العقائد والمعتقدات الفكرية السائدة في الدائرة التي تتناولها دراسات المستشرقين وأبحاثهم، ومثال ذلك ما ذكره لنا الكاتب «أنور الجندي» في معرض بيانه لمخططات الاستشراق في ضرب الإسلام والوحدة الإسلامية من خلال نظرتهم إلى مصدر الدين، فيقول: «حاول الاستشراق فرض مفهومه أن الدين ظاهرة اجتماعية لم تنزل من السماء، وإنما خرجت من الأرض، كما خرجت الجماعة نفسها على النحو الذي قال به «دوركهايم»<sup>(١)</sup> ومدرسة العلوم الاجتماعية التي يتصدر لقيادتها الاستشراق اليهودي والتي خضع لها وخُدع بها الكثير من الأسماء اللامعة من الذين تلقوا

(١) دوركايم (أميل) (١٨٥٨ - ١٩١٧م): عالم اجتماعي فرنسي، قال: إن المجتمع هو مصدر الأحداث الأدبية والدينية. (القاموس المتجدد «في الأعلام»).

تعليمهم في أوائل هذا القرن في السوربون وغيرها وفي مقدمتهم «طه حسين»  
«ومحمود عزمي» وغيرهم.

وينظر الاستشراق (والمنهج الغربي كله) إلى الأديان جميعاً من خلال مقولة  
مضللة تقول: إن الأديان ظاهرة اجتماعية وظاهرة مرحلية تلت مرحلة الوثنية  
وأعقبتها مرحلة العلم التي لم يعد الإنسان أو المجتمع خلالها في حاجة إلى وصاية  
الدين، وإن الأمم الراقية الآن لا تحتاج إلى الدين أصلاً.

ومن ثم فإن الاستشراق يمضي إلى التشكيك في قاعدة (عالمية الإسلام)  
وختم الرسالة، ويفتح الباب واسعاً أمام دعوات البهائية والقاديانية في الدعوة  
إلى وحدة الأديان كما يشير دائماً إلى ما ترمي إليه الماسونية مما يطلق عليه دين  
البشرية (الهومينيزم).

وهذه كلها محاولات تجتمع عليها مخططات الاستشراق الغربي والماركسي  
والصهيوني، في محاولة إزاحة الإسلام والتشكيك فيه»<sup>(١)</sup>.

من كل ما سبق نخلص إلى أن الاستشراق كمفهوم ليس اتجاهًا علمياً  
لدراسة الشرق الإسلامي وحضارته كما ادعاه المستشرق الفرنسي الشهير  
«مكسيم رودنسون»، بل هو في حقيقته حركة واسعة الدوافع والقوى الكامنة  
وراءه حتى استوعب في كثير من مراحلها وأدواره أغلب التطلعات المضارية  
لأوروبا وحركتها الاستعمارية في الشرق خصوصاً الإسلامي منه.

(١) الجندي، أنور - مجلة منار الإسلام العدد ٧ - السنة ٨٤ «مخططات الاستشراق».



## النشأة والبدايات

يرى المتتبع الفاحص لما احتوته الكتب والدراسات التي تبحث في تاريخ نشوء الاستشراق، وبداياته التكوينية، والادوار التي مرّ بها، ومن خلال مقارنة بين مضامينها أنها غالباً ما تكشف عن وحدة الرأي في طبيعة النشوء وصيغته، من أنه نشأ وبدأ تبشيراً في روحه وأهدافه، إلا أنهم يختلفون في زمان نشأته وبدايته بالمعنى المصطلح.

فمنهم من قال: إنه نشأ في القرن التاسع الميلادي، كالدكتور سمير سلمان<sup>(١)</sup>. ومنهم من قال: إنه نشأ في القرن العاشر الميلادي، كبطرس البستاني<sup>(٢)</sup>، ونجيب العقيلي<sup>(٣)</sup>، ويوسف اسعد داغر<sup>(٤)</sup>. ومنهم من يعتقد بأنه نشأ في القرن الثاني عشر، من أمثال رودي بارت<sup>(٥)</sup>.

أما شوقي أبو خليل استاذ الحضارة العربية الاسلامية والاستشراق في كلية الدعوة الاسلامية (فرع دمشق) فيقول: «إن بداية الاستشراق الفعلي كانت بعد فشل الحروب الصليبية، لقد غادر لويس التاسع في ٨ أيار (مايو) عام ١٢٥٠م،

(١) مجلة التوحيد - العدد ٢٢ - «الجدور التكوينية للاستشراق في الاندلس»: ١٢٢.

(٢) أدباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث: ٢٤٠.

(٣) المستشرقون: ١١٠.

(٤) مصادر الدراسات الأدبية ٢: ٧٢٣.

(٥) الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الالمانية: ٩.

مدينة دمياط متجهاً إلى عكا، وكانت صيحته بعد هزيمته: لنبدأ حرب الكلمة فهي وحدها القادرة على تمكينا من هزيمة المسلمين»<sup>(١)</sup>.

وبهذا يكون قد وافق ما ذهب إليه محمد البهي من أن الاستشراق قد نشأ في القرن الثالث عشر<sup>(٢)</sup>. في حين قد ذهب البعض إلى القول باقتران نشوء الاستشراق بالقرارات التي صدرت من قبل رؤوس السلطات الكنسية التي كانت يدها مقاليد الأمور في رسم وتحديد سياسة دول أوروبا في تلك العصور. فكان اتخاذ قرار تأسيس عدد من الكراسي لتدريس اللغة العربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات باريس واكسفورد وبولونيا وأفينيون وسلامنكا وبعض الجامعات الأوربية الأخرى من قبل مجمع فينا الكنسي عام ١٣١٢م فاتحة لبداية الاستشراق<sup>(٣)</sup>.

ولكل من أصحاب هذه الآراء التي سقناها مستند ودليل يعتمد عليه، إلا أن الأهم من كل ذلك هو اتفاق أغلب الكتاب عن الاستشراق من المسلمين وغيرهم على أن نشأته كانت تبشيرية في المحتوى والوسائل والاهداف. وعليه لابد لنا من معرفة جذور هذه الصبغة لما لها من تأثير كبير في تشخيص مسار حركة الاستشراق، وتحديد الأدوار والمراحل التي مرّ بها، وإرسائها على أسس موضوعية من واقع النشأة والصيرورة وصولاً إلى الاهداف الحقيقية التي تصبو لها هذه الحركة.

(١) مجلة العام - العدد ٢٤٨ - «الاستشراق والاسلام»، ٣٤.

(٢) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ٥٢٢.

(٣) سعيد، أدوارد «الاستشراق»، ٦٦.

## نشأة الاستشراق والاقتران بالتبشير

نبدأ مسيرنا في البحث عن جذور الاستشراق من أول ظاهرة تبشيرية (بالمعنى المصطلح) والتي قرنت فيما بعد بالاستشراق متماشين مع مدعى بعض الكتاب المعاصرين الذين كتبوا عنه، معتمدين على الأدلة التاريخية التي تثبت أن نشأته كانت في القرن التاسع الميلادي كما أسلفنا سابقاً، وأن وطنه الأم هو الأندلس بعد الفتح الإسلامي لها واستقرار المسلمين فيها عام ٧١١م. ولقد تزامنت هذه النشأة مع بداية تأجج الصراع بين النصاري الأوربيين والمسلمين الأندلسيين، والذي برز على شكل ظواهر كان أولها نشوء حركة الاستشهاد عام ٨٥٠م بقيادة بعض المسيحيين المتطرفين ورجال الدين آنذاك من أمثال القديس «أولوخيو» أو «أولوجيوس» و«البروقراطي» في عهد حكم الخليفة الأموي «عبد الرحمن الأوسط» الملقب بالثاني، الذي حكم بلاد الأندلس في الفترة ما بين (٨٢٢ - ٨٥٢م)، بعد وفاة والده الحكم الأول ابن هشام الأول ابن «عبد الرحمن الداخل» مؤسس الدولة الأموية في الأندلس والذي حكمها في الفترة ما بين (٧٥٦ - ٧٨٨م)<sup>(١)</sup>.

لقد كانت هذه الحركة تحكي في حقيقتها حالة التعصب المستعمر في عصور

(١) د. إبراهيم، حسن «تأريخ الإسلام» ٢: ٢٢٧.

المستعربين<sup>(١)</sup> من الذين أثارهم مدى نفوذ الاسلام وقوة تأثير الثقافة الاسلامية واللغة العربية في واقع الشعب الاسباني، فتحركوا لمواجهة هذا النفوذ والعمل على تفريغ محتواه من نفوس الأسبان عن طريق إذكاء حالة العداء الديني وتغذيتها بأشكال الإثارة الحادة ليتسنى لهم دق إسفين الخلاف، ومن ثم صب ذلك في محور تحريضي مباشر تجاه الخلافة الاسلامية. حتى إن بعض المغالين من الرهبان كان يصترّ على التعرض للاسلام، والطعن في النبي محمد ﷺ، والنيل من المقدسات الاسلامية للفوز بعقوبة الموت، معتقدين بأنهم يكسبون بذلك شرف الشهادة الذي حرموه نتيجةً للتسامح الذي كان سمةً من سمات حكامهم المسلمين في دار الخلافة بالاندلس.

وبالرغم من أن عدد هؤلاء المتعصبين لم يكن كبيراً، إلا أن الحكومة قد خسيت آنذاك «سوء عاقبة هذه الحوادث وأوجست خيفة من أن احتقارهم سلطانهم وعدم اكتراثهم بالقوانين التي سنوها ضدّ من يطعن في دينهم (الاعدام) قد يؤدي إلى استفحال روح الكراهية، وذيوع حركة العصيان بين الأهلين كافة»<sup>(٢)</sup>. فعمدت إلى القضاء على حركة الاستشهاد، مستفيدة من اعتدال الكثير من المستعربين، وعدم تفاعلهم معها.

ولما كانت هذه الحركة عبارة عن إرهاب متشنج يحكي حالة الرفض المتعصب بطريقة انفعالية هيمنت على أفكار غلاة المتدينين والقساوسة الاسبان - كما عبر عنها «ريتشارد سودرن» ووصفها «بأنها حركة ضد رضا العامة بالحضارة العربية»<sup>(٣)</sup> - فقد خلقت أرضية لعمل فكري يهدف إلى معرفة وفهم

(١) استعرب: صار دخيلاً بين العرب. (القاموس المنجد، باب: استعرب).

(٢) آرثولد، توماس - الدعوة إلى الاسلام - الترجمة العربية: ١٦٥ و ١٦٦.

(٣) سودرن، ريتشارد - حوزة الاسلام في أوروبا في العصور الوسطى: ٥٨.



العدو الاسلامي، ودراسة سرّ قوّته وتميّزه، ورفع الاتهام عن لغز تفوّقه وقدرته. أي بعبارة أخرى خلقت أرضية الاستشراق بروحه التبشيرية.

أما لماذا لم يتم هذا العمل الفكري في الفترة التي كانت حركة الاستشهاد في أوجها؟ فيقول «سوذن»: «إن كلاً من «أولوجيوس» و«ألبرو قرطبي» قائدي الحركة كانا يعتقدان أن السيطرة الاسلامية هي بداية المقدمة الضرورية لظهور المسيح الدجال المذكور في كتبهم المقدسة، وانسجم ذلك مع تأويلات خاطئة باقتراب يوم القيامة وعلامته التي كانت سائدة بين أوساط المجتمع الأوربي المسيحي آنذاك. إضافة إلى أنهما لم يكونا مؤهلين للجهد الفكري المطلوب في معرفة وفهم العدو الاسلامي، كما وإنهما - القائدين - وأتباعهما لم يكونوا يريدون أن يعرفوا شيئاً»<sup>(١)</sup> لتشبع قلوبهم بالبغض والكراهية والغضب على كل ما هو مخالف لأفكارهم ومعتقداتهم الخرافية السائدة، وتأويلاتهم المنحرفة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ولم تكن الكنيسة الكاثوليكية بأحسن حالاً من هؤلاء، حيث لم تخرج عن دائرة هذا الجو العدائي. فقد كانت أحد العوامل الرئيسية لتأجيج الصراع وتغذية الشعور المعادي للمسلمين، وإذكاء نار الحقد في صدور رعاياهم ضدهم بكل ما تهيأ لها من وسائل، وأوتيت من قوة لما أدركته من تأثير الاسلام وسرعة نفوذه وكثرة المقلبين عليه.

حيث يصف أحد المؤرخين الغربيين هذه الظاهرة فيقول: «بأن تأثيرهم بالاسلام كان بمحض إرادتهم في أغلب الاحيان»<sup>(٢)</sup>. وأخذت الكنيسة الكاثوليكية تدرك تدريجياً ومن موقع دفاعي ضرورة إعطاء النصارى أسباباً

(١) سوذن، ريتشارد - صورة الاسلام في أوروبا في العصور الوسطى: ٥٩.

(٢) هروفسال، كيني «حضارة العرب في الاندلس» الترجمة العربية: ١٦ - ١٧.

وجبهة ليحافظوا على إيمانهم التقليدي الخاص، ويتحصنوا داخله. إلا أن هذه المساعي لم تنجح، فرعان ما تأججت العصبية واستفحل العداء الشديد. وعلى هذا نرى أن بدايات الاستشراق لم تكن منفصلة عن منظومة التنصير والتبشير، ولا عن الدوافع الدينية المتطرفة التي كانت الأساس في نشأة الفهم الاستشراقي<sup>(١)</sup>. فلا عجب إذن إذا رأينا الكثير من المستشرقين يجهدون في تصوير العالم الإسلامي في كتاباتهم على أنه بشع في عاداته، قبيح في أخلاقه، مليء بالبدع والانحرافات عن الدين السماوي الحق الذي جاء به المسيح النبي، ولا يحرزون عن اختلاق ما يدعم دعواهم تلك، وكل ما من شأنه زرع روح التشكيك في الإسلام وزعزعة اليقين بين أوساط المسلمين.

(١) راجع د. سلمان، سمر «الجدور التكوينية للاستشراق في الأندلس» مجلة التوحيد - العدد ٢٢: ١١٦.



## نشأة الاستشراق بين النهج العلمي والاستعداد التبشيري

إن البدايات التي سجلها الباحثون لنشأة الاستشراق لم تكن خارجة عن نطاق الصراع الذي تربّع أبطاله على صدر الاندلس، وتركوا آثار حقدهم وتعصبهم شاخصةً على مرّ العصور، منزلة الضربة تلو الأخرى بالوجود الاسلامي في الاندلس.

فالحرب التي شنتها المسيحية على الاسلام حينذاك قد نحت منحنيين باتجاهين متوازيين يعضد أحدهما الآخر، ويؤديان إلى هدف واحد، ألا وهو القضاء على الخصم الذي غزاهم وهم غارقون في سبات عميق، الاول: كان يريد تحقيق هذا الهدف بحد السيف وإعلان الحرب المباشرة لاجتثاث جذور الوجود الاسلامي بشكل سريع ونهائي. والثاني: كان يرى أن دراسة العدو، واستثمار معارفه وعلومه، والاطلاع على مبادئه وأفكاره يشكل الطريق السليم لمواجهة هذا العدو من خلال امتلاك سرّ قوّته، ومعرفة سبل اجتثاثه من داخله.

إن الاختلاف الظاهري لهذين الاتجاهين المعاديين للاسلام والذي أريد له أن يبرز بشكل مقصود كان يعبئ الآخرين ويبرز ردود فعلٍ موسومةً بالتصلّب والتعدّي تارة، وبالمرونة وطرق السبل السلمية بغطاء العلم والمعرفة تارة أخرى. إن ما قام به أسقف طليطلة من اخضاع النصراني الاسبان له إثر تعرّض

العلاقات والروابط بين الكرسي البابوي من جهة، والكنيسة من جهة أخرى للضعف والتردي أدّى إلى انفصال الأخيرة عن البابوية، مما حدا بأسقف طليطلة إلى إخراج ترجمات مبكرة لبعض الكتب العلمية العربية<sup>(١)</sup>. وكما ذكر غابريلي في «تراث الاسلام»: «لقد استعربت المسيحية بسرعة لغوياً وثقافياً»<sup>(٢)</sup>. في الوقت الذي استمرت الكنيسة على تصلبها وأبرزت تعصباً بالغ التزمّت تجاه أي تقارب ومهادنة أو موقف صداقة تفرضه الطبيعة العلمية، أو ظروف التقارب الثقافي الذي قد يتخذه بعض طلاب الثقافة والمعرفة الاوربيين من الاسلام والثقافة الاسلامية. ومن أمثلة ردود الفعل المتعصبة التي أفرزتها طبيعة الخلافات هذه هو ما أعلنه البابا غريغور التاسع من أن فريدريك الثاني حاكم صقلية الذي أصبح امبراطوراً لألمانيا في عام ١٢٢٠م قد خرج على الكنيسة، حيث كان فريدريك هذا مستعرباً لغة وثقافة وعلومًا وعادات. وقد أهدى كتباً فلسفية تُرجمت عن العربية إلى جامعات بولونيا وباريس. وعندما أصبح امبراطوراً أسس جامعة في نابولي سنة ١٢٢٤م، وجعل منها أكاديمية لنقل المعارف الاسلامية إلى العالم الغربي<sup>(٣)</sup>.

وعليه فإن نشأة التبشير في الاندلس بدأت بهدف القضاء على الاسلام، والتبشير للمسيحية بين صفوف المسلمين الكفرة - كما كانوا يسمّونهم - الذين قدموا من بلاد العرب وفتحوا الاندلس، أو الذين دخلوا الاسلام حديثاً والذين يطلق عليهم «المولدين»<sup>(٤)</sup>. بعد أن ثبت لدى أغلب رجال الفكر

(١) زفروق، محمود حمدي «الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري»: ٢٤.

(٢) غابريلي، فرانيسكو «تراث الاسلام» - القسم الاول - الترجمة العربية: ١٣٤.

(٣) رودنسون، مكسيم «جاذبية الاسلام» الترجمة العربية: ٣٢ و ٣٣.

(٤) أطلقت هذه التسمية على أبناء الاندلس القدماء الذين انحدروا من آباء أسبان، وهؤلاء كانوا يمثلون طبقة اجتماعية واسعة من المجتمع الاندلسي، دخلوا الاسلام أثناء الفتح، وحسّن إسلام الكثير منهم. وكان

النصارى وعلمائهم أن الإسلام لا يمكن القضاء عليه بالعمل العسكري، فدون ذلك خطط القنادر، وأن أي مواجهة سوف لن تثمر شيئاً ومحكوم عليها بالفشل والخسران.

لذا فإن منظومة التبشير والتنصير قد تولدت في أتون الصراع المستعمر بين الإسلام والكنيسة على الأرض الاندلسية، والتي شكلت منذ القرن التاسع عشر الميلادي الخلية الأولى في مشروع الاختراق الثقافي الأوربي للوجود الإسلامي مهدداً للامتداد والسيطرة الاستعمارية وبنشاط منظم.

فالتبشير مصطلحاً ونظرية يقوم على نشر المسيحية في جميع بقاع الأرض التي تخلو منها، وهو بمعنى آخر هجوم المسيحية على الديانات الأخرى بهدف اقتلاعها من عقول ونفوس معتقيها، والحلول محلها بكل وسيلة «سلمية» ممكنة، وتطرق في ذلك أبواباً شتى للوصول إلى أهدافها، منها: معرفة لغة الناس المقصودين بالتبشير، ودراسة عاداتهم وقيمهم ومعتقداتهم عن كثب، والتدخل «للمساعدة» في حل مشاكلهم الشخصية والاجتماعية والصحية<sup>(١)</sup>. مستفيدين من حالة الجهل والامية السائدة في أوساطهم للنشكيل في عقائدهم كمقدمة لزرعهم بالتعاليم النصرانية عن طريق مؤسسات التربية والتعليم، كالمدارس والمعاهد والجامعات وأمثالها.

وهكذا بدأ التبشير حركته الشاملة للقضاء على الوجود الإسلامي متخذاً صوراً وأشكالاً مختلفة. وكان الاستشراق أبرز صورته الفكرية. وهكذا كان العلم والبحث العلمي الذي يفترض فيه سمو الإنسان بتحصيله المتواصل للكفايات قد

منهم من أصحاب التأليف والتصنيف والمكافأة العلمية المرموقة. عن مجلة نور الإسلام: ٢٧ - ٢٨ /  
(العصبيات وأثارها في سقوط الاندلس).

(١) الطهطاوي، محمد عزت (سماويل «التبشير والاستشراق»: ١ - ٢.

استخدم أداةً من أدوات التخريب الحضاري لبلاد المسلمين، والاعتداء على تراثهم، والطعن بالباطل في دينهم. وكانت المآرب السياسية والتعصب للدين من السمات الأساسية للحركة الاستشراقية، ومن العناوين الخفية للوحدة والانسجام بين الاستشراق والتبشير.

## مبدأ الاستشراق اختراق ثقافي لدمر المسلمين في أوروبا

لقد كان الصراع التدميري الذي خاضته الكنيسة ومن ورائها المستعربون المتعصبون من النصارى ضد المسلمين في الأندلس والذي برز الاستشراق صورةً من صورته الفكرية فيما بعد قد اتخذ مسارين: الأول ديني، والثاني فكري وسياسي.

### أولاً: المسار الديني:

يمكن تلخيص الكاشف عن المسار الأول بما يلي:

أ- سعي الكنيسة الدائب لاسترداد إسبانيا من المسلمين وإعادتها إلى سلطتها، وإن تلوّث مساعيها في النجاح لا يعني هزيمتها. فحروب الأسبان «القدماء» كانت خاضعة للكرّ والفرّ، واستمرت بأشكال مختلفة، من حرب عصابات إلى مناوشات مشحونة بالعداء الديني، إلى تأجيج العصبية بصيغتها الدينية بين مختلف الطوائف والقبائل، حتى استنزفت قوى الدولة الأندلسية التي ما لبث التفكك والتشردم أن طال كيانها الناشئ، في الوقت الذي لم تحسم فيه المواجهة بين الطرفين المتصارعين، واستمرت تتناوب بين انكفاء وتقديم. وبدءاً بعام ٧٥٦م راحت الهجمات الأسبانية تتوالى حتى «أخذت شكلاً تكتلياً وحرباً



مقدسة صليبية أناخت بأخر المعازل الإسلامية»<sup>(١)</sup>.

وهكذا استمر الحال حتى سقوط غرناطة بأيدي الأسبان، ووصول الوجود الإسلامي في الأندلس إلى نهايته عام ١٤٩٢م بعد أن تواصل ثمانية قرون تقريباً.

ب - إن من جملة أسباب تفوق الأسبان الأوربيين في هذه الحرب هو أنهم «استعاروا أسلوب المسلمين في الجهاد المقدس»<sup>(٢)</sup> فأفادت المسيحية الأسبانية من عقيدة خصمها، وخاضت غمار المواجهة بأحد أمضى أسلحة الخصم الإسلامي، وأنشأت «طوائف الفرسان الدينية في سانتياغو وكلا ترافا وألكنترا، وفي الطوائف التي ذاع صيتها في السجلات التاريخية لحروب الاسترداد»<sup>(٣)</sup>. علماً «بأن الأسلوب نفسه قد اعتمدته الحملات الصليبية أيضاً»<sup>(٤)</sup>.

ج - لقد ترك الصراع الذي خاضته الكنيسة ضد المسلمين في الأندلس آثاره على مسير الكاثوليكية الأسبانية، وجنت منه فوائد كبيرة، منها تحول هذا الصراع إلى عامل أساسي في بناء إسبانيا وتطوير تركيبها الداخلية الخاصة وموقعها العام، خصوصاً على مستوى الحس الديني المرهف الذي برز عند الأسبان أفراداً ومجتمعاً، من خلال ما تركته العلوم والآداب الإسلامية من آثار في أعماق وأسس الحضارة الأسبانية منذ العصور الوسطى وإلى يومنا هذا.

(١) زقزوق، محمود حمدي - «الاستشراق والمثلية الفكرية للصراع الحضاري» مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٥م.

(٢) لومبير، إيلي - «تطور العمارة الإسلامية في إسبانيا والبرتغال وشمال أفريقيا» الترجمة العربية: ١٤٤.

(٣) بروغنسال، ليفي - «حضارة العرب في الأندلس» الترجمة العربية: ١٦ و ١٧.

(٤) فنواقي، جورج شحاته - «تراث الإسلام» القسم الثاني، الترجمة العربية: ٢٦٠.



## ثانياً: المسار الفكري والسياسي:

إن أبرز العوامل التي بلورت هذا المسار هي:

أ- أن النصارى من غلاة رجال الكنيسة والمستعربين الاوربيين الخاضعين للحكم الاسلامي كانوا ينظرون إلى المسلمين على أنهم محتلون بরাيرة كفرية. ويحرضهم على ذلك الشعور تعصبهم الديني وجشعهم السياسي، وشهوة ملوكهم التافين إلى استرداد ما فقدوه بالقوة عند الفتح الاسلامي.

ب- أن بعض الامراء الامويين لم يعملوا على إخضاع جميع المواقع المسيحية لحكمهم في شبه جزيرة إيبيريا، مما أعطى للأسبان فرصة سانحة في أن ينطلقوا لإثارة الحروب والفتن.

ج- السياسة غير الحكيمة التي مارسها أحياناً بعض الامراء الامويين ضد المستعربين، وضد غيرهم من طوائف المجتمع الاندلسي كالصقالبة<sup>(١)</sup>، والبربر<sup>(٢)</sup>.

(١) الصقالبة: هم عند مؤرخي العرب الشعوب السلافية القاطنة بين جبال الأورال والبحر الادرياتيكي، وهم من أصول أوربية مختلفة، وينقسمون إلى قسمين: الاول منهم صقالبة الشمال (الروس والروس البيض والبولونيون)، وصقالبة الجنوب أو اليوغسلافيون (الصرب والكروانيون والسلوفاكيون والبلغاريون)، وقد جيء بهم إلى الاندلس أطفالاً صغاراً ذكوراً وإناثاً، فنشأوا نشأة عربية إسلامية في بلاط الملوك والحكام. كان منهم العبيد المخدمون في الخدمة العسكرية، ومنهم القادة والكتاب والادباء.

القاموس «التجد في الاعلام» وكذلك مجلة نور الاسلام، العددان ٢٧: ٢ و ٢٨: ٢٤ من «العصيات وأثارها في سقوط الاندلس».

(٢) البربر: اسم يطلق على سكان اقريقيا الشمالية من برقة إلى المحيط، كانوا يتكلمون لهجات أعجمية قبل استعراهم، ولا يزالون. ويرجع أصلهم إلى فئات عرقية مختلفة استقرت في البلاد قبل الميلاد، وعرفت بعض الازدهار مثل مملكة نوميديا ومملكة مورتانيا، لم يكونوا مرتاحين تماماً إلى حكم روم ولا إلى الدين المسيحي. دخل أكثرهم الاسلام مع عقبة بن نافع، ورافقوا الجيش العربي الاسلامي في فتوحاته إلى إسبانيا بقيادة أحدهم وهو طارق بن زياد، تبعوا الخوارج وأعلنوا العصيان على العباسيين، توزعوا بممالك وسلالات، فكان منهم الاغالية والرسثميون والمرايطون والموحدون، ثم زالت دولتهم في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي. وقد تحملوا القسم الاعظم من اعباء الفتح فقتل منهم في هذا السيل الآلاف، وقد تأثروا كثيراً بالدين الاسلامي، وأبدوا تحمساً لشده والدفاع عنه.

عن القاموس «التجد في الاعلام» وكذلك مجلة نور الاسلام، العددان ٢٥: ١ و ٢٦: ٨ في =

والمولدين، مما أدى إلى تنامي الشعور القومي والحساسية العرقية لدى المواطنين من قدامى الاسبان، وكذلك الذين استعربوا. فكانت مناطقهم مركزاً للمقاومة العسكرية النصرانية، مما سهل لهم لعب دور كبير لخوض حرب إيديولوجية سياسية.

د - بروز أجواء متوترة ساعدت على اعتماد القمع العنصري والقبلي من قبل الحكام كردة فعل على الاضطرابات والاجواء المشحونة بالقلق والتي كانت مدعومة أحياناً من النصارى والمستعربين والمتعصبين.

هـ - بروز صراعات سياسية وقبالية بين المسلمين العرب أنفسهم، منها العصبية التي ثارت بين القيسيين واليمنيين، وأخذت العرقية القبلية تنبض في نفوس أصحابها. فتطاحنوا «وتذابحوا وذهبت ریحهم»<sup>(١)</sup>. فانتهر المسترهبون بالحكم الاسلامي، والذين يصطادون في الماء العكر من نصارى الاسبان الفرصة للعصيان وإشعال فتيل الفتن والاضطرابات والتهيؤ للمستقبل الذي يأملون فيه القضاء على الحكم الاسلامي في الاندلس. فتدافعوا وجمعوا قواهم، واستعدوا.

و - الدعم المباشر الذي قدمه بهذا الاتجاه النصارى الاوربيون من الفرنسيين وغيرهم بقيادة شارلمان (٧٤٢ - ٨١٤م) المعروف بتصدية التاريخي للانتشار الاسلامي في أوروبا، ثم بمباركة البابا «أوربانس الثاني» - الذي تسبب فيما بعد بتأجيج الحروب الصليبية - عبر النداء الشهير الذي أطلقه في ٢٧ تشرين الثاني عام ١٠٩٥م، ودعا فيه نصارى أوروبا إلى الجهاد ضد الكفرة المسلمين، وحمل السلاح لغزو الشرق، وهو نفسه الذي أعد حملة مؤلفة في معظمها من (فرسان جنوب فرنسا) عام ١٠٨٩م لمساعدة نصارى الاسبان في مقاتلة

= «العصيات وآفاتها في سقوط الاندلس».

(١) بالتيا، أ. ج. «تاريخ الفكر الاندلسي» الترجمة العربية: ١٧.

المسلمين في الاندلس<sup>(١)</sup>.

ز - الدور الذكي والمخادع الذي لعبه ألفونس الثالث (٨٦٦ - ٩١٠ م) ملك أستوريش وليون الاسباني في العمل الجاهد لاختراق المسلمين في الداخل ونشر الفركة بينهم، حتى نجح في استمالة المستعربين الذين أسلموا حديثاً، مستنفرأ فيهم كوامن المذهبية والطائفية، مما حداهم إلى رفض الاسلام والتمرد على السلطة المركزية في قرطبة «ووعدهم بمنحهم الاستقلال إذا انقلبوا في اللحظة الحاسمة ووقفوا إلى جانبه في موعد الهجوم على ضواحي قرطبة ومناطقها الشمالية، وذلك من أجل أن يعيشوا أحراراً في أرضهم التي انتزعها المسلمون منهم بالعنف. وإن عدم نصرتهم الملك تعني استمرارهم كوسائل اقتصادية فقط، وكصدر لاغناء خزينة الخلافة الاسلامية»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا كانت عملية اختراق الوجود الاسلامي من قبل المستعربين في الاندلس قد تمت من زاويتين رئيسيتين:

الاولى: بشرية تشكل قوة عسكرية كبيرة العدد مدعومة بالقوة الاوربية قادرة على ترجيح الكفة من الناحية الاستراتيجية للمسيحية.

الثانية: ايدولوجية حضارية، وهي مدار بحثنا هذا، وهي الأهم والتي يمكن أن يلعب من خلالها المستعربون دوراً كبيراً في تقويم أوروبا الراححة تحت وطأة التخلف الحضاري، والخوان الثقافي، ورقدها بالمعارف والعلوم الحيوية لهضتها المخطط لها. ثم إن دورهم هذا هو دين عليهم وردة للجميل الذي قدمته أوروبا لهم بمساعدتها لضرب الحكم الاسلامي.

وقد بذلت الكنيسة ومؤسساتها كامل الجهد لاستيعاب كل هذه الاهداف

(١) لومبير، ايلي - «تطور العمارة الاسلامية في إسبانيا...» الترجمة العربية: ١٤٤.

(٢) يروفنسال، ليني - «حضارة العرب في الاندلس» الترجمة العربية: ٧٩.



في تخطيط شامل، وبرعاية ودعم السلطة السياسية وتشكيلاتها.  
وهكذا كان، فقد ابتكرت الكنيسة حرباً جديدة ومواجهة غير مرتقبة  
سلاحها العلم والفكر واغتنام المفردات الحضارية للمسلمين، وتكييفها بالشكل  
الذي يسد نقصهم وثرعاتهم الايديولوجية، ويمنحهم القدرة للتفوق في هذا الجانب  
الاساسي على العدو الاسلامي. فبعد أن كان النصارى الاسبان يتخطون في  
ظلمات جهلهم إبان الفتح الاسلامي، ضعفاء لا يملكون أسباب القوة للرد  
والمواجهة، أدركوا الآن قانوناً أساسياً من قوانين مقارعة الخصم والذي يتمثل في  
معرفة الخصم وفهم حقيقته، وذلك عن طريق اكتشاف عوامل كماله ونقصه،  
وأسباب قوته وضعفه، ومواطن ذلك في وجوده، ومن الذي يكمن وراء تفوقه  
وهيمنته. وخلال دورة زمنية لم تطل كثيراً استطاعوا باتقان أن يصلوا إلى  
أهدافهم، ويستحوذوا على كافة مستلزمات المواجهة الشاملة لدحر المسلمين.  
وفي طليعة انجازاتهم هذه:

أ - ما قام به الرهبان مع بداية القرن التاسع من تعلّم اللغة العربية الفصحى،  
ومن ثم الاقبال على الترجمة عنها، وذلك «بناءً على تعليمات اساقفتهم»<sup>(١)</sup>. كما

(١) إن أول ترجمة (مزعومة) للقرآن يرجع تأريخها إلى عام ١١٤٣م، عندما أنهى رجل إنجليزي وهو  
ارويرت الكتوني، بين ١٦ أيار و ٣١ كانون الاول من العام المذكور ترجمة لبعض معاني القرآن من العربية  
إلى اللاتينية، واستأداً إلى فهمه الشخصي. وكان هذا الرجل قد تنقل في بعض البلدان الآسيوية قبل انتقاله  
إلى برشلونة عام ١١٣٦م. وقد كانت ترجمته هذه بالإضافة إلى ترجمة كتب أخرى من العربية إلى اللاتينية  
قد تمت تحت إشراف ورعاية أحد الاساقفة وهو (بطرس الموقر) رئيس دير (كلوي) الفرنسي، وهو الفير  
الذي تخرج منه البابا «أوربانس الثاني» مؤجج الحروب الصليبية. وكان الموقر هذا يرى في الاسلام خطراً  
فكرياً شديداً على المسيحية لابد من التعرف عليه لتتمكن مكافحته بغير الوسائل العسكرية.  
راجع ما يلي:

خدا بخش. صلاح الدين - «حضارة الاسلام» الترجمة العربية: ٤١ - ٤٢، وكذلك سودرن، ريتشارد.  
«صورة الاسلام في أوروبا في العصور الوسطى»: ٨٠ - ٨٢.

جاء على لسان المستشرق «فرانز روزنتال» بقوله: «وبعلم اللغة العربية باعتبارها لغة العلوم والفلسفة والفكر آنذاك، وبالإطلاع على القرآن وترجمته إلى اللاتينية بهدف وحيد وهو الوصول إلى فهم عميق للتفكير الديني الكلامي عند المسلمين، أملاً في أن يصبح الرهبان أقدر على التعرف على هذا التفكير، واستغلال ما كانوا يتصورون أنه مواطن الضعف فيه»<sup>(١)</sup>.

ب - قيام القساوسة والرهبان الأوروبيون وكذلك الأسبان بحملة ضخمة لترجمة الفكر والثقافة الإسلامية وعطاءاتها الحضارية الانسانية، وبذلك تمكنوا من تأسيس أول شبكة إيديولوجية للاستشراق الغربي، مستهدفين بذلك مقاومة الإسلام ومحاصرته سياسياً وفكرياً وعقائدياً بعيداً عن أي هدف علمي مرء<sup>(٢)</sup>، واضعين نصب أعينهم إعادة المجد التليد، والبريق القديم الذي فقدته النصرانية هدفاً لهم، مخططين لحملات ضخمة للتنصير، عبر منهجين متضادين ومتوزينين ظاهرياً: أحدهما علمي يستند إلى البحث والدراسة بقصد المعرفة والكشف، والآخر سياسي تطويقي يهدف إلى تدمير وتصفية الخصم بأي وسيلة ممكنة. وبذلك تتوظف كل الجهود العلمية والسياسية لتحقيق الهدف التنصيري.

ويشهد على ذلك قول «رودي بارت»: «كان موقف الغرب المسيحي في العصر الوسيط من الإسلام هو موقف الدفع والمشاحنة فحسب. صحيح أن العلماء ورجال اللاهوت في العصر الوسيط كانوا يتصلون بالمصادر الأولى في تعرّفهم على الإسلام، وكانوا يتصلون بها على نطاق كبير، ولكن كل محاولة لتقويم هذه

(١) فولك، يوهان - «المستشرقون الألمان»: ٨٥.

(٢) سميلوفيتش، أحمد - «فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر»: ٤٩. وكذلك مقدسة مصطفى محمود لكتاب سميلوفيتش: ٣. وكذلك خدا بخش، صلاح الدين في «حضارة الإسلام»، الترجمة العربية: ٣٥.

المصادر على نحو موضوعي نوعاً ما كانت تصطدم بحكم سابق يتمثل في أن الدين المعادي للمسيحية لا يمكن أن يكون فيه خير»<sup>(١)</sup>.

ج - ودعماً لهذا المخطط فقد رافقت تلك الفترة استخدام أبشع وسائل الاضطهاد، وممارسة شتى أنواع التنكيل بالمسلمين، وارتكاب أفضع جرائم القهر الديني والسياسي بحقهم، ومحاربتهم نفسياً واقتصادياً، وصودرت نتائجهم العلمية والثقافية ونسبت إلى غيرهم من أعدائهم، وعملت الكنيسة على تأسيس محاكم التفتيش<sup>(٢)</sup> التي نكّلت بمن تبقى من المسلمين الاندلسيين بعد سقوط الاندلس وغرناطة في أواخر القرن الخامس عشر، وأعطيت صلاحيات استثنائية واسعة أيام فرديناند<sup>(٣)</sup>، وإيزابيلا<sup>(٤)</sup>، وفيليب الثاني<sup>(٥)</sup>، وشمل التقتيل والاحراق

(١) كراتشكوفسكي، إغناطيوس. «دراسات في تاريخ الأدب العربي» الترجمة العربية: ٧٥.

(٢) يعزى تأسيس محاكم التفتيش إلى البابا «غريغور السابع» عام ١٢٣٣م. عندما أمر بتشكيل لجنة من كل قرية أو بلدة يرأسها قس وبعضوية شخصيتين بارزتين وذلك للتفتيش عن المهرطقة ومحاكمتهم (وقد أطلقت تسمية المهرطقة عند النصارى على أهل البدعة في الدين. والمقصود بهم هنا الذين ينتمون إلى الدين الإسلامي في بلاد النصارى). ثم ما لبث أن تسلم المحاكم هذه جماعة الدومنيكان وغيرهم من الرهبان، وجماعة الدومنيكان أو ما يطلق عليهم: الاخوة الواعظون: هم أعضاء الرهبانية التي أسسها القديس عبد الأحد لدحض البدع عام ١٣٠٦م، وكانوا أرباب التعليم الفلسفي واللاهوتي في القرون الوسطى. دخلوا البلاد الشرقية في القرن السابع عشر، أسسوا كليريكية الموصل عام ١٨٨٢م «وهي البيع التي يخدم فيها الشمامسة والقساوسة والاساقفة» وكانت لهم فيها «قطعة عربية شامية، ولهم في القدس مدرسة الكتاب المقدس».

راجع: براندراند، جون في «تترات الاسلام» الترجمة العربية: ٧٠، وكذلك (القاموس «المنجد في الاعلام»).

(٣) فرديناند: ملك أراغون وهو المعروف بالكاثوليكي، ملك قشتالة (١٤٧٤ - ١٥٠٤م) بعد زواجه وإرثه عرش قشتالة من إيزابيلا، أخذ غرناطة من العرب (المسلمين) عام ١٤٩٢م ووحّد إسبانيا تحت سلطته وعظم إداراتها، وفي عهده اكتشف كريستوفر كولومبس أميركا. عن (القاموس «المنجد في الاعلام»).

(٤) إيزابيلا: (١٤٥١ - ١٥٠٤م) ملقية بالكاثوليكية وهي ملكة قشتالة التي تزوجها فرديناند، فتوحدت بهذا الزواج الدولة الإسبانية، وأدى ذلك إلى سقوط غرناطة عام ١٤٩٢م. عن (القاموس «المنجد في الاعلام»).

(٥) فيليب الثاني: (١٥٢٧ - ١٥٩٨م) ابن كارل الخامس ملك إسبانيا وهولندا (١٥٥٦م). ثم ملك =



والذبح جماعة من المسلمين الذين تنصّروا ظاهراً، وأقاموا على عقيدتهم (الإسلامية) وظلّوا يمارسونها في الخفاء. وامتدت صلاحيات هذه المؤسسة التنكيلية لنثال من مصادر الفكر الإسلامي، وإحراق الكتب، وإتلاف كل ما يؤدي في نظر الاساقفة إلى إلحاق الضرر بالكنيسة.

وبالرغم من ذلك فقد «بقي المسلمون الذين ظلّوا في إسبانيا بعد استردادها (سقوط الاندلس) يحتفظون بكتبهم، بأذنين غاية جهدهم لإخفائها عن أعين مكاتب التفتيش. ولما اضطروا إلى مغادرة وطنهم خبأوا كتبهم في فجوات الجدران، أو دفنوها تحت الأرض في بيوتهم المتروكة. وقد عثر في القرن الأخير مصادفة على عدة مكتبات منها...»<sup>(١)</sup>. واستمرت محاكم التفتيش قائمة في إسبانيا حتى حلها نابليون بونابرت عام ١٧٩٢م.

= البرتغال عام ١٥٨٠م، ويعتبر عهده أوج السيطرة الإسبانية في أوروبا. عن (القماموس «المنحد في الاعلام»).

(١) كراتشكوفسكي، إغناطيوس «دراسات في تاريخ الادب العربي» الترجمة العربية: ٧١ - ٧٢. ويذكر شكيب أرسلان في كتابه «الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية» المجلد الاول: ٢٨٠ - ٢٨٣ الكثير من الاخبار عن صنوف الاضطهاد التي مورست في حق من كانت محاكم التفتيش تشك بأنه لا يزال على إسلامه من أهالي طليطلة، ومنها الاحراق بالنار ومصادرة الاملاك والتعزير، إلخ. وذلك بتهمة مثل عدم أكل لحم الخنزير، والامتناع عن شرب الخمرة وغيرها..

## الاستعراب<sup>(١)</sup> أولاً ثم الاستشراق

نشأت ظاهرة الاستعراب نتيجة للاحتكاك المباشر الذي حصل بين بعض الطوائف المسيحية التي كانت تقطن إسبانيا وبين المسلمين العرب فاتحي الاندلس، والذي أدى بدوره إلى تعميق عُرَى التمازج العرقي والتعايش الاجتماعي والاتصال الثقافي فيما بينهم. وقد أفرزت هذه الحالة ظهور طبقة اجتماعية واسعة من المجتمع الاندلسي اندمجت مع أوساط المسلمين، وتشبهت بهم في سيرتهم وسلوكهم اليومي، وقلدتهم في إقامة مناسباتهم وشعائرهم الدينية، وحتى في دقائق وجزئيات أمورهم الحيوية فأقدم الكثير منهم على الاختتان وفق مراسم المسلمين، وامتنعوا عن معاقرة الخمر وأكل لحم الخنزير وغيرها من الممارسات التي كانت مألوفة في المجتمع النصراني. وقد أطلق على هؤلاء «المستعربين» الذين كان جلهم من أبناء الاندلس القدماء الذين انحدروا من آباء أسبان، ومن خلال البحث والاستقصاء عن أحوالهم أمكن تصنيفهم إلى صنفين:

الاول: ويضم الذين دخلوا الاسلام أثناء الفتح (فتح الاندلس) وحسن إسلام الكثير منهم، فأقبلوا على دراسة الفكر الاسلامي، وتدرجوا في شتى العلوم، فكانوا أصحاب التأليف والتصنيف، وصارت لهم مكانة علمية مرموقة تميزوا بها

(١) مصطلح يطلق على الذين صاروا دخلاء بين العرب، ثم سرى استعماله لأولئك الذين دخلوا الاسلام بعد أن تعلموا اللغة العربية وتحدثوا بالمسلمين العرب خاصة في عاداتهم وتقاليدهم.

عَمَّن سواهم، وظهر فيهم العلماء والادباء والقادة العسكريون، فحازوا إعجاب الحكام المسلمين وأصبح قسم منهم ذوي نفوذ واسع في الحكم «ولكنهم ظلوا مع ذلك لا يجدون أنفسهم إلا مواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة»<sup>(١)</sup>.

الثاني: كان يضم أولئك الذين تشبهوا بالمسلمين ظاهرياً ولم يدخل الايمان في قلوبهم، وكان تأثيرهم سطحياً على قاعدة التمثل بالفاتحين والتشبه بهم. كما يرى ابن خلدون ذلك «المغلوب يشبه أبدأ بالغالب». وبالرغم من إقبالهم على تعلم اللغة العربية ودراسة آثار المسلمين وأفكارهم، وكذلك إعجابهم بالمنجزات الحضارية لهم، وانبهارهم بالطرح الثقافي الاسلامي الجديد. إلا أن هذا لم يكن ليصرفهم عن عدائهم الشديد للرسالة الدينية والايديولوجية الاسلامية، ولا ليشيهم عن رفضهم القومي للسلطة السياسية التي يخضعون لها. ولا سيما أن بعض الحكام آنذاك كانوا لأغراض سياسية يستخدمون أساليب من شأنها أن تثير روح العصبية بين طبقات المجتمع الاندلسي، كأن يقربوا طائفة على حساب طائفة أخرى، مما يؤدي إلى نشوء العداء مع السلطة، وبالتالي محاولة الانتقام أو التقليل من شأن الرسالة والفكر الذي ينتمي إليه هؤلاء الحكام. فمثلاً عند اشتداد الروح العصبية بين القبائل العربية المتنافسة في عهد عبد الرحمن الداخل ويأسه من القضاء عليها وإزالتها، واتخاذها أسلوب المواجهة والمنافسة مع الحكم، لجأ إلى تكوين طبقة الاغوان والقادة ورباهم بنفسه واستعان بهم على إدارة دفة الامور، واطمأن إلى إخلاصهم، وهؤلاء هم (الصقالبة) الذين ما لبثوا حتى أخذ نفوذهم ينمو نتيجة لقربهم من الطبقة الحاكمة حتى صاروا شركاء للمخلقة في الحكم، ثم صاروا يدبرون المؤامرات لإدارة الحكم بأنفسهم<sup>(٢)</sup>.

(١) د. احسان، عباس «تأريخ الادب الاندلسي» : ٨٩.

(٢) مجلة نور الاسلام. العددان ٢٧ - ٢٨ «العصبيات وآثارها في سقوط الاندلس» : ٣٤.

وعلى أثر ذلك تولد الصراع بين العرب والمستعربين، ولم يكن هذا الصراع سياسياً أو عسكرياً فحسب، بل كان صراعاً يلتمس مبرراته من أطر دينية، وينعكس على طبيعة التفكير الديني، الأمر الذي نشأ عنه نمطان من التفكير: غط يتطرف في تمجيد العرب دينياً، وآخر يتطرف في الاتجاه المضاد، وليس إلى الشك سبيل في أن ابتعاد الحكم العربي في الأندلس عن الإسلام كان له الأثر الكبير في إعطاء الفرصة للمستعربين كي ينتفضوا ويترجموا رفضهم بشكل حرب اتخذت أبعاداً مختلفة، حتى أن بعضاً منهم كان له الدور الكبير في إحضار فتنة طليطلة ضد قرطبة في بداية عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن التي تمخضت عن المعارك التي خاضها ابن حفصون ضد الحكم العربي الإسلامي سنوات طوالاً بدأت من عام ٢٦٨هـ وانتهت بوفاة عام ٣٠٦هـ.

وصلت قوة العداء بين الطرفين إلى الحد الذي دفع عمر بن حفصون إلى الارتداد عن الإسلام والعودة إلى النصرانية لكي يستميل النصارى إليه ويعينوه في قتاله ضد الحكم العربي، وذلك من خلال عملية أراد بها أن تكون انتقاماً من هذا الحكم.

وفي هذا الخضم المتلاطم من الفتن والصراعات والاضطرابات انتعشت الكنيسة، وبرزت الحوافز، وازدهرت الحركات الداعية إلى تقويض أركان الإمارة الأموية، واستنفرت القوى المضادة للإسلام، وارتفعت أصوات الغلاة من النصارى بردود فعل متباينة كان منها اندلاع حركة الاستشهاد كما أسلفنا، وكذلك بروز دعاوى مواجهة الوجود الإسلامي بأساليب تتعدى حدود المصادمات العسكرية والمواجهات الدموية، تهدف إلى مقارعة المسلمين عن طريق الفهم العميق لايدبوا وجيئهم، ومعرفة أسباب قوتهم ومنازلتهم بمناهجهم الفكرية وقواعدهم الحضارية.



وكان للمستعربين الدور الفعلي في الاختراق البشري والثقافي والسياسي للمجتمع الاندلسي، فوظف فعلهم هذا بقصد أو بدون قصد في بعض الاحيان في خضم المشروع المعادي للوجود الاسلامي.

وإذا كان الاستشراق علماً يختص بلغات الشرق، وبالانجازات الحضارية المعبر عنها بتلك اللغة، وبأديانهم وقيمهم وثقافتهم. وإذا كان قد فتح أمام الغرب والاوربيين بصورة عامة أبواب الفكر الاسلامي، وآفاق نظامه الدقيق بهدف فهم الاطروحة الاسلامية التي غزت العالم وغيّرت الكثير من الثقافات السائدة والنظم المنحرفة عن الفطرة الانسانية، وتداغت أمامها أغلب النظريات المهترئة، كان لابد من استطلاع دواعي هذه الاطروحة بل والمعاشية المباشرة والشاملة للوضع الجديد الذي طرأ على العالم إزاء التحولات الخطيرة التي حصلت بفعل الاسلام والمسلمين.

وعليه فلا بد للباحث المتبع للوقائع التاريخية من الاعتقاد بأن بدء تكون الاستشراق قد حدث بعد انتهاء عمليات الفتح الاسلامي لشبه الجزيرة اليبيرية، أي بعد سنة ٧١٥م وبدء استيطان العرب للمناطق المفتوحة، وأن ظاهرة الاستعراب الثقافي والاجتماعي والتشبه بالفاحين في عاداتهم وممارساتهم لا يمكن فصلها عن تطور حركة الاستشراق وشروطها، والاوليات الاجتماعية لتكوينها.

بالاضافة إلى هذا فقد برز طرح آخر كان له الدور الكبير في بلورة الاستشراق، كان أبطاله وأدوات تنفيذه اليهود الذين وجدوا في المسلمين الفاتحين طريقاً للخلاص من الاضطهاد القوطي<sup>(١)</sup>، وظلم الكاثوليكية. فتعاونوا معهم

(١) القوط: مجموعة شعوب منهم الشرقيون ومنهم الغربيون. والقوط الشرقيون: استقروا أولاً في وادي الدانوب الشرقي ثم غزوا إيطاليا وأسسوا فيها مملكة في أواخر القرن الخامس الميلادي. قضى عليها بوسنياس عام ٥٥٢م. والقوط الغربيون: أقاموا غربي الدانوب في القرن الرابع الميلادي واعتنقوا =



وحالفوهم وتغلغلوا في قنواهم الثقافية والاقتصادية، ولم يكن موقف اليهود هذا حباً للإسلام وحرصاً على المسلمين، وإنما كان استراتيجية جديدة تؤهلهم لتغيير مسار الأحداث لصالحهم، وهذا هو ديدنهم أينما وجدوا. فبالرغم من القضاء المبكر عليهم أيام الدولة الإسلامية الأولى على عهد الرسول ﷺ فانهم استطاعوا الظهور ثانية في أدوار مختلفة استهدفت هدم الإسلام من داخله، حتى أن بعضهم اعتنق الإسلام نفاقاً من أجل ذلك.

وعندما رأى اليهود أن موازين القوى في الاندلس اختلت لمصلحة المستعربين ونصارى الشمال وحلفائهم الاوربيين، ومع بداية أقول نجم الدولة الإسلامية ظهروا بصورتهم الحقيقية وكشروا عن أنيابهم، وبدأت نواياهم السيئة، فنقلوا ولاءهم إلى إسبانيا المسيحية، ونزحوا إلى المناطق الإسبانية المستردة من سيطرة الدولة الإسلامية. ملتحقين بمن سبقهم من إخوانهم الذين كانوا قد باشروا بإغراء وتشجيع من أعيان الكنيسة العمل في ترجمة التراث الثقافي الإسلامي على نطاق واسع خدمة للمشروع الكاثوليكي الاوربي الذي نجح في مناغمة الهوية العنصرية الإسبانية بالمشاعر الدينية المتطرفة لمقاومة أعداء المسيحية. فكان اليهود أكفأ المساهمين وأنشطهم لما ملكوا من «مشاركة في التراث العربي الإسلامي استلهاماً واقتباساً ومحاكاةً ومنافسةً»<sup>(١)</sup>. إضافة إلى إتقانهم للغات عدة بحكم كثرة تنقلهم، وتبدل مواطنهم، وتوزعهم الجغرافي، مما أهلهم للقيام بدور أساسي في حركة الترجمة والنقل عن العربية إلى العبرية، وعنهما إلى اللاتينية.

= المسيحية الأريوسية «وهي بدعة لدى النصارى تنسب آريوس إلى الكاهن الاسكندري». احتلوا روما عام ٤١٠م ثم جلوا عنها ليستقروا في جنوب غربي فرنسا. ثم إسبانيا حيث أسسوا مملكة ظلت قائمة حتى الفتح الإسلامي عام ٧١١م (القاموس «المنجد في الاعلام»).

(١) أسد، محمد - «الإسلام على مفترق الطرق». الترجمة العربية: ١٥٦.

ولعله من غير المبالغة أنقول: إن اليهود هم «المستشرقون» و«المستعربون» التاريخيون أينما حلوا. ومن هذا يمكن أن تفسر تغلغل الاسرائيليات ودخولها ضمن تراثنا الفكري الاسلامي، وأثرها في تفسير القرآن، وما خلفته من موروثة ثقافية دينية محرفة ساهمت في إبعاد المسلمين عن الفهم الصحيح للقرآن والسنة النبوية. وبهذا كان لهم الدور المؤثر في انحراف المجتمع الاسلامي في الاندلس عن مساره، وذلك من خلال ما ابتدعوه من فرق هدامة تنتهي بخدورها إلى لون من ألوان العمل الثقافي اليهودي.

إن الانتماءات القومية المختلفة التي كانت قد شكلت الهيكل العام للمجتمع الاسلامي في الاندلس، لم تكن سداً أمام حصول التداخل الاجتماعي والالتقاط الثقافي بين تلك القوميات، وهذا التداخل والالتقاط أفرز حالة جديدة من أبرز سماتها تبلور أفكار وعقائد وإيديولوجيات مختلفة. وعلى هذا فقد أصبحت الاندلس ولأول مرة في التاريخ حالة حضارية فريدة من نوعها بين الشرق والغرب، حيث أن التناقضات الدينية والفكرية والسياسية جعلتها أرضاً خصبة لولادة ثقافة أوربية حديثة كانت نواتها الطرح الاسلامي الجديد الوافد من الشرق، لكنها رفضته ديناً وعقيدة لها من خلال رفضها لمظهره المتمثل بالمسلمين، إلا أنها عملت على تمثل ثقافتهم وعلومهم للالتفاف عليهم والسعي إلى إحباط الجهود الحضارية والفكرية والعلمية لهم.

في هذا المناخ المركب الذي تحالفت فيه قوى وامكانات الكنيسة الكاثوليكية والاسبان المهاجرين من الاندلس الاسلامية والمستعربين، بتسهيل من الجهود الثقافية لليهود لاحقاً، وعلى أساس مشروع استرداد إسبانيا للنصرانية الاوربية تمت «قابلية الوجود» الاستشراقي بدءاً بالاندلس، ثم تطورت بلبوس متنوع، إلا أن هذه القابلية اقتصرت في أولياتها على الاتصال والتعرف

والاطلاع والتعاشي الفاعل مع الفاتحين. وبشكل إقبال مشوب بالحذر على تعلم اللغة العربية وعلومها.

وعليه فمن المستبعد تصديق زعم البعض من أن «الاستشراق قد نشأ حقاً في منتصف القرن الثامن الميلادي في الأندلس»<sup>(١)</sup>. إذ إن المسلمين الذين لم يكن قد مضى على دخولهم «إيبيريا» أكثر من أربعين سنة، وهم في غساليبتهم من العسكر البربري، لم يكونوا بعد متهيئين لعرض أفكارهم وثقافتهم المدونة على أهل البلاد المفتوحة، لأن دورهم قد اتخذ منحى عسكرياً في المرحلة الأولى من استقرارهم في الأندلس. أما دورهم كرؤاد ثقافة وحملة فكر فأغلب الظن أنه تأخر عن منتصف القرن الثامن نصف قرن على الأقل، لأن المرحلة تستدعي بالضرورة مدى زمنياً كافياً ليتسنى لهم إتمام عملية الاستيطان والاستقرار في عالمهم الجديد، قبل طرح أنفسهم على أنهم دعاة ثقافة وفكر وحضارة. وعليه فلا يمكننا الحديث عن حالة ثقافية مزدهرة وحقيقية في الأندلس إلا مع «بداية النصف الأول من القرن التاسع الميلادي، وبتأثير مباشر من الحضارة العربية (الإسلامية) في المشرق والمعاصرة للعباسيين»<sup>(٢)</sup> في عهد الحكم الأول (٧٩٦ - ٨٢٢م)، حفيد عبد الرحمن الداخل، وعهد عبد الرحمن الأوسط (٨٢٢ - ٨٥٢م) ابن الحكم الأول. فليس من الممكن - منطقياً - أن تنتقل إلى المستعربين وغيرهم من العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي حالة ثقافية لم تكن متيسرة أصلاً للعرب والمسلمين الأندلسيين الآخرين أنفسهم. وهم لا يزالون منهمكين في تأسيس دولتهم وتحصينها والتأقلم مع خصوصيات الوطن الجديد.

ففي تلك الفترة التي أشرنا إليها بدأ البحث التاريخي يكتشف وجود

(١) سمائلوفتش، أحمد - «فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر»: ٦٧.

(٢) فيرينيه، جران - «تراث الإسلام» القسم الثالث، الترجمة العربية: ١٦٩.



مدونات إسبانية محملة بتأثيرات عربية واضحة في مضمونها، مما يثبت أن مؤلفيها قد أخذوا مادتهم التاريخية من مصادر عربية. ومن تلك المدونات «مخطوطات مختلفة وجدت في (أوبيط) وهي محفوظة في مكتبة الاسكوريال، وقد احتفظ بها القديس (أولوجيوس) القرطبي (توفي سنة ٨٥٩م) ونقلت إلى (أوبيط) عام ٨٨٤م»<sup>(١)</sup>.

إن حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية وغيرها من الأنشطة الثقافية والعلمية كالاقتباس والنقل والاستنباط والاستيحاء من قبل المستعربين والاوربيين وإن كانت لأغراض عقائدية كما أشرنا، إلا أنها لم تتحول إلى حالة ثقافية شاملة إلا في القرن التاسع الميلادي، بعد أن خبر النصارى الأسبان عمق الثقافة الإسلامية وتعرفوا عليها، أي بعد مرور مائة سنة ونيف على انتهاء عمليات الفتح الإسلامي للاندلس، وبعد اكتمال شروط التفاعل والتمازج بين شرائح المجتمع الاندلسي المختلفة، وبالتالي بروز مشروعين متقابلين كانا يمثلان طرفي الصراع: أحدهما يؤكد على استعادة مجد المسيحية بكل توجهاته الإيديولوجية والسياسية والثقافية والعسكرية، والانتقام من المسلمين، والعمل على عودة إسبانيا إلى الحضيرة الاوربية المسيحية. والآخر كان يؤكد على اشاعة روح التغيير في البلاد والتشبث لتعميق الروح الإسلامية مستفيداً من عظيم تراثه، ومثانة فكره وثقافته، وأصالة حضارته القائمة على العدل والتوازن.

هكذا نشأ الاستشراق وانتقل مروراً بالاستعراب من طور القابلية إلى طور التحقق الفعلي كحالة ثقافية ليبدأ بالتكرس والتحول إلى مؤسسة وصرح وفق خطط وأهداف استراتيجية. وابتدأ من القرن العاشر الميلادي يوم غدت

الاندلس مركزاً لانتقال الازدهار الحضاري الاسلامي والانساني إلى قلب أوروبا. فكانت إسبانيا والاسبانيون الأكثر انفعالاً وتأثراً بالحضارة الاسلامية، لأن الاسلام عاش بين ظهرانهم ثمانية قرون وانتشر منهم إلى بقية المناطق الاوربية شمال إفريقيا. وبالرغم من أن أغلب النظريات الاستشراقية العامة وتطوراتها التاريخية قد وقعت خارج إسبانيا، إلا أن أغلب أطروحات الاوربيين ومعلوماتهم وأخبارهم عن الاسلام والمسلمين كانت محاكاة للظروف والتناقضات السياسية والاجتماعية والعقائدية التي عاشها المسلمون في الاندلس، وموسومة بالصبغة الاندلسية من حيث النشأة والتوجه والحركة.



## بروز نظريات الاستشراق الاستعماري

إن تجربة الاندلس وما تمخضت عنه من أحداث وتغيرات تركت آثارها على المجتمع الاوربي، قد أفرزت إحساساً لدى الاوربيين بالخطر الداهم الذي ينتظرهم، ومن ورائه الضعف والخواء الذي يكتنف ثقافتهم وأصولهم الفكرية، وبالتالي انهيار بنائهم الحضاري المتهاافت، مما دعاهم - برردود فعل شديدة - للتصدي بمختلف الوسائل وبشكل مدروس ومنظم للمحيولة دون اتساع دائرة التأثير بإشعاعات المد الاسلامي الذي غمر إسبانيا. وقد شجعهم على ذلك دافع ذو بعدٍ ديني وهو أنهم «مسيحيون يجاهدون ضد أعداء المسيحية»<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا كان الاستشراق أحد ردود الفعل، ولعله الأبرز في معادلة الصراع الحضاري بأشكاله الدينية والسياسية والفكرية، ولا سيما أن الغرب والاوربيين بشكل خاص ينظرون آنذاك إلى كون المشرق الاسلامي «ملكاً للامبراطورية الرومانية»<sup>(٢)</sup> يجب استرداده من أيدي المسلمين وارجاعه إلى حضيرة الامبراطورية الرومانية المتهرئة. فانعكس هذا التفكير على متبنياتهم الاستراتيجية للمواجهة كإحدى الثوابت التي يؤمنون بها، ويعملون لتحقيقها. وقد وظّف الاستشراق في هذا السبيل لخدمة نوايا استرداد العالم الاسلامي الذي

(١) وات، مونتغمري - «فضل الاسلام على الحضارة الأوربية» انترجمة العربية: ٦٨

(٢) الجندي، أنور - «الاسلام وحركة التاريخ»: ٣٨٠.

سينتخذ فيما بعد أطراً وأشكالاً حديثة تنسجم وطبيعة مراحل الصراع. وليس من المستبعد أن تكون حركة الكشف الجغرافية حول شواطئ العالم الاسلامي قد جاءت بهدف السيطرة على المنطقة خدمة للمصالح الاوربية الاستعمارية، ووفق هذه الرؤية يمكن تفسير أعمال «هنري الملاح» أو «ماركو بولو» أو «كريستوفر كولومبس» على أنها حلقة من حلقات المؤامرة التي حبكت لاستعمار المشرق الاسلامي. ومما يؤكد ظهور هذا التوجه بشكل واضح ما حصل «في أواسط القرن الثامن عشر عندما أخذت أوروبا تتحفز لاستعمار الشرق أخذ علماءها يبحثون في تأليف جمعيات لهذه الغاية فأنشئت منذ ذلك العهد في أوروبا وأميركا عدة جمعيات للمستشرقين، وأقدمها عهداً الجمعية الآسيوية في باريس التي أسست سنة ١٨٢٢م بمعرفة شيخ المستشرقين من الفرنسيين «سلفستر دي ساس» ثم أنشئت معاهد للغات الشرقية في جميع الدول تابعة لوزارة المستعمرات أو لوزارة الخارجية المشرفة على الشؤون السياسية»<sup>(١)</sup>. إلا أن الكثير من المحاولات لم تحقق غاياتها الاساسية «فقد أوقفتها القوة الاسلامية العثمانية النامية واستطاعت أن تقضي عليها»<sup>(٢)</sup>. ولكن هذا القضاء كان مؤقتاً حيث استأنفت من جديد مع مطلع القرن التاسع عشر المخطط الاستعمارية الخبيثة لتحقيق ما عجزت عن تحقيقه قبل قرون، أي منذ استرداد إسبانيا من أيدي المسلمين، وقد نجحت نجاحاً كبيراً في إقامة صرح الاستشراق، وتطوير حركته بما يخدم سعيها نحو بسط سلطتها على عموم الشرق والشرق الاسلامي منه خاصة.

(١) عبد الوهاب حمودة، من زلات المستشرقين، مجلة رسالة الاسلام: ٣٣، السنة التاسعة.

(٢) الجندي، أنور - «الاسلام وحركة التاريخ»: ٢٨١.



## الفصل الثاني

### المراحل والأدوار التي مرت بها الحركة الاشتراكية

- المرحلة الأولى : مرحلة الانفتاح لأحزاب الحضارة الاشتراكية .
- المرحلة الثانية : مرحلة الفرز لإستلاب الحضارة الاشتراكية .
- المرحلة الثالثة : مرحلة تفجير إفرازات الحضارة الاشتراكية المستأجرة .
- المرحلة الرابعة : مرحلة استعمار الشرق وطبيعته على الحضارة المفترية .





رغم أن مسيرة الاستشراق كحركة قد نشعت وتطورت في مناهجها وأساليبها إلا أن دوافع التعصب الديني والشعور بالتفوق العرقي ظل هو الخيط الأحمر الذي حيكت به أبعاده الأساسية. وحتى يمكننا الاحاطة الشاملة بخارطة هذه الأبعاد وطبيعة الآثار والنتائج التي حققتها لابد لنا من تقسيم حركة الاستشراق إلى عدة مراحل وأدوار رئيسية هي:

## المرحلة الاولى

### مرحلة الانفتاح لاحتواء الحضارة الاسلامية

ويؤرخ لهذه المرحلة منذ بدايات الفتح الاسلامي لاسبانيا وتأسيس دولة الاندلس، وبحكم التعايش الذي حصل بين القوميات المختلفة التي كانت تحمل بصمات افكارها برز الفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية قوة مؤثرة وجديدة في حياة الاندلسيين، خصوصاً وأن الاسلام قد دخل عليهم بشكل مفاجئ. من هنا بدأت مقدمات الاستشراق وذلك بانفتاح الاسبانيين والمستعربين على المسلمين والفكر الاسلامي وبشكل مُدبّر ومدرّوس وذو أهداف ومرام بعيدة المدى، وهذا

ما استقرأناه من كتب التاريخ التي تؤرخ لتلك المرحلة<sup>(١)</sup>، حيث تم في ذلك الوقت ترجمة امهات الكتب الاسلامية من العربية إلى الاسبانية والعبرية واللاتينية، وانصب الجهد على هذه المترجمات لدراستها واستيعابها. وبحكم وجود اليهود وصراعهم المستمر مع المسلمين منذ العهد المدني لرسول الله ﷺ كان لهم القسط الأوفر في هذا الاتجاه في سبيل خدمة مصالحهم وطمس هوية العلوم الاسلامية، عن طريق نسبتها لهم وانما ليست من الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي في شيء، ومن هنا وضعت المخططات لترجمة القرآن الكريم ترجمة اتخذت من الاسرائيليات والاساطير الملفقة اطاراً مرجعياً لها. وامتدت هذه المخططات لتشمل ترجمة كتب الحديث والتفسير وكذلك دراسة اللغة العربية ووضع المعاجم لها. وبهذا فقد أخذت اوربا الظمأى تعباً من منهل الشرق الاسلامي ولا تترتوي على مدى عشرة قرون متعاقبة ابتدأت من عام ٧١١م تاريخ فتح الاندلس الى نهاية القرن السابع عشر، وما العصر الذي سمته اوربا عصر النهضة أو «عصر الايديولوجية العقلانية العلمانية»<sup>(٢)</sup>، إلا عصر امتلاء وتضخم بطن اوربا بعطاءات الاسلام الحضارية التي تحولت فيما بعد إلى «نقطة حراسة امامية للغرب»<sup>(٣)</sup>.

ويمكن القول: إن بعض الباحثين قد اخطأوا في تحديد هذه المرحلة حينما اعتقدوا بأن اول اتصال جاد وفاعل بين الثقافة الاسلامية والتلقي الاوربي قد حدث نتيجة للحروب الصليبية التي «عشت (في رأيهم) في المقام الاول والمقام

(١) انظرنا إلى ذلك في فصل «الجذور التاريخية لحركة الاستشراق».

(٢) الدكتور سلمان، سمير «الجذور التكوينية للاستشراق في الاندلس» عن مجلة التوحيد العدد ٣١، ص ١١٣.

(٣) غابرييلي، فرانسكريني «قرات الاسلام» القسم الاول تصنيف ساحت وبودورت الترجمة العربية ص ١١٠.

الاهم موقف اوربا من الاسلام لبضعة قرون تتلو»<sup>(١)</sup>، واتفقت مع بزوغ فجر المدنية الاوربية<sup>(٢)</sup>، وقيام «عصر النهضة ذي الروح الجديدة والوعي الجديد بالعالم»<sup>(٣)</sup>.

في مقابل هذا كان المسلمون الاندلسيون باعتبارهم حملة رسالة تدعو الى التسامح والتقارب والتثاقف والانفتاح الفكري والعلمي وحرية الفكر، قد فتحوا خزائن معارفهم وعلومهم لكل طالب ثقافة وعلم مها يكن معتقده الديني واثماؤه العرقي<sup>(٤)</sup>، فغصت الجامعات الاسلامية في طليطلة وقرطبة، مدينة الثلاثة آلاف والثمانمائة والثلاثة والسبعين مسجداً<sup>(٥)</sup> بما يعنيه المسجد باعتباره مؤسسة متعددة الاهتمامات والخدمات، بطلاب العلم الاوريين «فتلقوا العلم مجاناً مع تقديم الطعام والسكن احياناً، وهذا مثال يحمل في طياته اعظم مبادئ الرقي والتسامح والتعدن. كما ان الجامعات الاوربية انما نشأت تقليداً للجامعات العربية في اسبانيا»<sup>(٦)</sup>.

(١) اسد، محمد «الاسلام على مفترق طرق» الترجمة العربية ص ٥٥.

(٢) المصدر نفسه - ص ٥٤.

(٣) إنغهاور، ريتشارد في «تراث الاسلام» تصنيف شاخس وبوزورث - الترجمة العربية - ص ١٣١.

(٤) بلغ شغف المستعربين بالثقافة العربية الاسلامية جداً جعلهم ينسبون لغتهم الام. قاضطّر العرب الى ان يترجموا الانجيل الى اللغة العربية ليتسنى لنصارى الاندلس المستعربين قراءته باللغة التي استهوهم.

راجع كراتشكوفسكي، اغناطيوس «دراسات في تاريخ الادب العربي» الترجمة العربية، ص ٥٩.

(٥) زيدان، جرجي «تاريخ التمدن الاسلامي» م ٢ ص ٦٢١.

(٦) مظهر، جلال «اثر العرب في الحضارة الاوربية» ص ١٥٨، راجع أيضاً الطويل، توفيق «في تراثنا العربي والاسلامي» ص ٢١٢ - ٢١٣.

## المرحلة الثانية

### مرحلة الفرز لاستلاب الحضارة الاسلامية

وبها يتم الانتقاء المدروس للعلوم والنظريات الفكرية لغرض تشل ما يخدم النهضة الاوربية وبناء ركائزها وتمهيداً لاستعمار الشرق فيما بعد. ويؤرخ لهذه المرحلة بالنصف الاخير من القرن الثالث عشر الميلادي وذلك عندما استطاع بعد عدة اخفاقات، اقناع المجمع الكنسي العام في فيينا عام ١٣١١م بإصدار القانون العام رقم (١١) والذي يقضي بتدريس اللغات الشرقية في خمس جامعات اوربية، وقد صدر هذا القانون مع تحديد مدرسين كاثوليكين لكل جامعة ليقوما بتدريس هذه اللغات وعلى رأسها اللغة العربية<sup>(١)</sup>.

وفي هذه المرحلة بذل كبار رجال الاستشراق جهدهم من أجل استثمار الحضارة الاسلامية والفكر الانساني الاسلامي في بناء الفكر والحضارة الاوربية والغربية، وقد استخدموا الكثير من الاساليب لخدمة هذا الغرض، منها رد الفكر الانساني عموماً الى الفكر اليوناني دون الرجوع الى الفكر الاسلامي. ولعل جذور هذه المرحلة يعود الى ادراك الاوربيين لضرورة فهم الحضارة الاسلامية ودراستها للوقوف في وجهها وصدّها عن الامتداد ولا سيما انهم أحسوا بخطر تأثير المبادئ والافكار الحضارية التي أتى بها الدين الاسلامي وأثرها على المجتمع الاوربي آنذاك، وقد تجلّى ذلك في اقوال بعض المستشرقين منهم فرانز

(١) عن مجلة رسالة الجهاد - العدد ٧٢ - السنة السابعة - ١٩٨٨م ص ٢٦. عن ندوة الدين والتدافع الحضاري في محور البحث الثالث «الاستشراق كأداة مواجهة للإسلام».



دورنتال حين يقول: «ان الهدف هو الوصول الى فهم عميق للتفكير الديني الكلامي عند المسلمين املأ ان يصبح الاوربيون أقدر على التعرف على هذا التفكير واستغلال ما كانوا يتصورون أنه مواطن الضعف فيه»<sup>(١)</sup>.

ولعل الايديولوجية الاستعمارية تمتد بجذورها الى تلك المرحلة حيث مورست ابشع وسائل المصادرة والاستغنام العلميين عن طريق فرز النظريات الانسانية والعلمية التي جاء بها المسلمون، وانتحال ما يروونه مناسباً منها ومحاولة ابرازها على انها من امهات الفكر الاوربي ومن نتاجاتهم العلمية، وكما يقول الباحث الكاتب (د. ياسين عريبي): «ان بهذه المرحلة دخلت اوربا عصر النهضة وخرجت من العصر الوسيط المتخلف حيث تم فيما بعد تعميم الدراسات الشرقية والاسلامية والتحكم في علومها بتوظيفها في بناء الحضارة الاوربية»<sup>(٢)</sup>.

## المرحلة الثالثة

### مرحلة تغريب افرازات الحضارة الاسلامية المستتلبة

في هذه المرحلة - التي يمكننا ان نسميها بعصر النهضة الحقيقية لأوربا - ازدهرت تجربة الاستشراق وتطورت وانتقلت الى محاولة تغريب الثقافة الاسلامية والعربية والثقافات الانسانية المقربة والمؤسمة، لاستثمارها من قبل الغرب ليعمر بها اسس نهضته ويشيد مدنيته التي يصبو اليها، وفيها سرق النموذج

(١) فوك، يوهان في «المستشرقون الالمان» ص ٨٥.

(٢) عن مجلة رسالة الجهاد - العدد ٧٢ - السنة السابعة ١٩٨٨ ص ٢٦ عن ندوة الدين والتدافع الحضاري في محور البحث الثالث «الاستشراق كأداة مواجهة للإسلام».



الثقافي والحضاري الاسلامي في الحرية الفكرية والاخلاقية العلمية والبحث  
التزيه والتسامح الديني استناداً إلى منهج توحيدى انساني، ومقارنة بسيطة بين  
الحالة الثقافية والحضارية المتخلفة لأوروبا قبل هذه المرحلة وحالتها اللاحقة  
تكشف عن مدى التغيير الهائل كمياً وكيفياً في هذا الاتجاه.

ولعل الارهاصات الاولى لهذا التغريب بدأت في العصور الوسطى على يد  
البابا «سلفستر الثاني» والقديس «أنسلم» وغيرهما.

ومن ابرز نماذج هذا التغريب ما امتد إلى الفكر الفلسفي وإلى النظريات  
الكلامية ما ظهر على يد «ديكارت»<sup>(١)</sup> حيث حاول استيعاب النظرية السينوية  
في شموليتها محاولاً التعيم عليها من خلال التركيب مع المذاهب الكلامية دون أن  
يذكر مفكراً اسلامياً على الاطلاق، ومنها قيام لايبنتز<sup>(٢)</sup> من بعده بعملية تركيب  
اوسع وأشمل ليكمل ما اهمله «ديكارت» وهكذا من بعده امثال مالبرانش وفولف  
وكروزيو...

وقد اعترف «لايبنتز» باغترافه من معين المعرفة في الفكر الاسلامي  
خاصة علم الكلام، فانه أي «لايبنتز» يصف هذا العلم بأنه وجده كذهب مكنوز

(١) ديكارت، رينه (١٥٩٦ - ١٦٥٠م)، فيلسوف وفيزيائي ورياضي فرنسي، يُعتبر في رأي كثير من  
الباحثين أباً الفلسفة الحديثة ومؤسسها، اشتهر بكتابه «مقالة في المنهج» عام ١٦٣٧م وفيه أخرج كل  
المعتقدات السابقة ليعاود البحث عن الحقيقة شاكاً في كل شيء، إلا حقيقة واحدة وهي انه يشاك، ومن هنا  
كلمته المشهورة: «أنا أشك فأذن أنا أفكر». وأنا أفكر فأذن أنا موجود». عن موسوعة المورد المجلد ٣،  
ص ١٨٠.

(٢) لايبنتز غوتفريد فيلهلم (١٦٤٦ - ١٧١٦م)، رياضي وفيلسوف ومخترع الماني، ولد في لايبسيك حاول  
مع بوسيه دمج الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية، اكتشف أسس «التحليل الحسابي» من اتساع  
الفلسفة المثالية وقال انه لا تعارض بين الايمان والعقل، انتكر عام ١٦٧١م اول آلة حاسبة تقوم بعمليات  
الجمع والضرب.

عن المنجد - في الاعلام - ص ٦١٠ وكذلك موسوعة المورد المجلد ٦ ص ١٠٤.

في القرب المتبرر،<sup>(١)</sup> بل انه لا يكتفي بوصف المسلمين بالمتوحشين بل يخطط في كتب ثلاثة لاستعمار مصر ويحرض على ذلك، وبرغم اعترافه بأن النبي محمد ﷺ قد بشر بالدين الطبيعي، فانه حاول النيل من الاسلام في الكثير من كتاباته. ولا يفوتنا ان نسجل تحفظنا العلمي من محاولة التغريب هذه، حيث اننا نرفض ان يكون مضمون هذا التغريب بصورته الفعلية هو في اصله منسوب إلى الحضارة والفكر الاسلامي، وذلك لما أحدث فيه من تركيب وخلط وتغيير افقده الكثير من حقيقته وصورته الاصلية، ولأن الهدف الحقيقي من وراء هذا التغريب ليس هو فرز ونقل النموذج الحضاري وعلوم المسلمين إلى أوروبا فحسب، بل هو في شقه الثاني محق هوية وعوامل القوة والاصالة في الفكر الاسلامي ومنهجه في الحياة، ويمكننا استثناء ما يتعلق منها بالعلوم الطبيعية (كالطب والفيزياء والكيمياء والفلك وأمثالها)، فهي غالباً ما تكون في اصولها لدى المسلمين سُرقت ونُسبت إلى أوروبا واستثمرت مدينياً.

## المرحلة الرابعة

### مرحلة استعمار الشرق وتطبيعته على الحضارة المغربية

في هذه المرحلة التي غالباً ما كانت متداخلة ومصاحبة لمراحل الاستشراق وتطوره، عمل الاستشراق على التعاون والامتزاج مع الحركة الاستعمارية للبلدان الاسلامية، وبالذات في النصف الاخير من القرن التاسع عشر والنصف

(١) نسبة إلى البرابرة، وهو اسم أطلقه اليونان ثم الرومان على الاجانب من الأمم من غير اليونانيين والرومانيين.

الاول من القرن العشرين، حيث تمكن الاستعمار من تطبيع الثقافة المغربية وضخها إلى البلدان التي يريد استعمارها وتعميمها في كافة مرافق الحياة بحيث تكون هذه الثقافة المغربية متزامنة مع نمو المد الاستعماري لهذه البلدان، كذلك عند استقرارنا للتاريخ الحديث الذي يؤرخ للاستعمار العسكري للبلدان الاسلامية، نرى ان كثيراً من المستشرقين كان لهم الدور الكبير في مساعدة الدول الاوربية المستعمرة، حتى أن قسماً منهم قد عمل في نفس وزارة المستعمرات لتلك البلدان كما أسلفنا سابقاً، وعندما كان الشرقيون وخاصة المسلمين منهم في تلك الفترة يشكون العزلة الفكرية والحصار الحضاري والافتقار إلى أبسط وسائل التعليم والانتشار الثقافي التي فرضتها حالة السلطات المتحكمة فيهم، بعد ان كانوا متريعين كاساتذة واساطين على عرش العلم والحضارة الانسانية في أنحاء المعمورة، أخذ الاوربي المستعمر يجهز جيشه المسلح من جهة وعلماءه ومثقفيه من جهة اخرى لكي يغزو العالم الاسلامي عسكرياً وفكرياً، وحتى عندما انتهى عهد الاستعمار العسكري - شكلياً - بقي أثره واضحاً في استمرار الحركة الاستعمارية الفكرية والمنهجية التي غزت العالم الاسلامي متمثلة بالنظريات المادية والاتجاهات القومية التي صيغت باشكال براقية وجذابة اتخذت طابعاً تحررياً وسياسياً يناغي العواطف الساذجة للمسلمين. بهذا نرى أن تطبيع بلاد المسلمين على التغريب كان له دور كبير في تأكيد التسلط الاستعماري على الشرق، ولعل آثاره ونتائجه ومصاديقه واضحة وجلية إلى يومنا هذا.

## الفصل الثالث

### المدارس الاستشراقية

- خافيات المستشرقين
- المدارس الاستشراقية
- التمهيد: المدرسة الاستشراقية الفرنسية
- المحيرت لأستاذية للمدرسة الاستشراقية الفرنسية
- نشأة المدرسة الاستشراقية الفرنسية وعوامل نموها وتطورها
- مناطق نفوذ المدرسة الاستشراقية الفرنسية
- صيغ وأمال لبب مدرسة الاستشراقية الفرنسية وتشكيلاتها
- أثر المدرسة الاستشراقية الفرنسية على الفكر الاستشراقي العام





## خلفيات المستشرقين

لقد أصبح من الواضح لدينا أن حقيقة الاستشراق والتعريف الدقيق له هو: أنه حركة ذات جذور ودوافع أوسع وأعمق من المدعى المعلن له من أنه: عمل علمي محض يُعنى باللغات والآداب والعلوم الشرقية، أو أنه اتجاه علمي لدراسة الشرق الاسلامي وحضارته. بل إن هذا الادعاء لا يعدو كونه ظاهراً يُخفي تحته أهدافاً غير معلنة هي الواقع الحقيقي من ورائه. وقد تجلّت هذه الاهداف شيئاً فشيئاً في القرنين الاخيرين حتى بان - بشكل لا يدع مجالاً للشك والتردد - أن الاستشراق قد استوعب في حركته أغلب التطلّعات الحضارية لأوروبا، ومهد لحركتها الاستعمارية في الشرق.

وتأكد هذا المعنى عند استعراضنا لنشأة الاستشراق وتبلوره ضمن مسير حركته الأولى، وسيتأكد لنا أكثر عند تقييمنا للجهد الاستشراقي المطروح ضمن مراحل تكوّنه وصيرورته إلى عصرنا الحاضر. وتمهيداً لذلك نعرض عدّة خلفيات في واقع المستشرقين استلّت من خلال ما سبق لنسلط من خلالها الضوء على منهجية التقويم والمراحل التي مرّ بها:

### الخلفيّة الأولى:

بلحاظ نشأة الاستشراق واقتترانه بالتبشير بصبغته الاستعدادية التي بدأ بها

بهدف اختراق المسلمين ثقافياً، لدمرهم باستلاب مواطن قوتهم وإخمادها في واقعهم، نجد أن أوائل المستشرقين كانوا مبشرين نصارى، وكان طابع احتقار الاسلام والمسلمين السمة البارزة في اتجاهاتهم الفكرية والثقافية، مما انعكس بشكل كبير على ما استهدفوا دراسته من الاسلام وواقع المسلمين، فجاءت تلك الدراسات والأبحاث مشوّهة ناقصة مليئة بالمثالب والافتراءات التي لا تستند إلى دليل، فهم لا يرون لغير مذهبهم فضلاً وحقاً في الوجود. يقول هنري جيسب المستشرق والمبشر الاميركي: «المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها... إنهم لصوص، وقتلة، ومتأخرون، وإن التبشير سيعمل على تدميرهم»<sup>(١)</sup>. إن هذا المعنى الذي أشرنا إليه يعتبر جزءاً أساسياً من التفكير الأوربي، وغريزة موروثية، وانطباعاً راسخاً فيهم منذ سقوط الأندلس.

وقد اتخذت المواجهة للاسلام شكلاً جديداً بعد الحروب الصليبية، حيث انتهجت أسلوب الغزو الفكري المبرمج للمسلمين بهدف فصلهم عن الأسس والمضامين الحية لدينهم، والتي يكمن فيها سرّ قوتهم، مما خلف تأثيرات بالغة في عقول الأوربيين استثمرتها المؤسسات السياسية، ووظفتها في عملية خلق الأرضية الفكرية والثقافية للقيام بغزو شامل للشرق وإحكام السيطرة الاستعمارية عليه.

### الخلاصة الثانية:

إن المستشرقين الذين كرّسوا حياتهم لدراسة كل ما يتعلق بالاسلام يُعديهِ الإيديولوجي والحضاري قد تركّز في أذهانهم اعتقاد ثابت بأن الاسلام الأصل

(١) د. خالد د. د. فروخ - التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ٣٧.

يشكل خطراً حقيقياً يقف سداً منيعاً أمام كل التطلعات الاستعمارية - لدولهم الأوربية - في الشرق، بل إنه يحمل في واقع النقيض الشامل لمدارسهم الفكرية وكيانهم الحضاري، ويهدد بالزوال كل وجودهم القائم على أساسها لما يملكه من عمق وواقعية وشمولية منحه وتمنحه القدرة الفائقة على التغيير والامتداد إلى أي مجتمع إنساني يجد طريقاً للنفوذ إليه. وإلى هذا يشير لورانس براون بصراحة في كتابه الذي أصدره عام ١٩٤٤م قائلاً: «إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الاسلام وفي قدرته على التوسع والاختضاع وفي حيويته. إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي». ويضيف براون في مناسبة أخرى قائلاً: «إذا اتحد المسلمون في امبراطورية أمكن ان يصبحوا لعنة على العالم وخطراً... أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن وتأثير»<sup>(١)</sup>.

وبنفس المضمون نشرت مجلة العالم الاسلامي The Muslim World - الاستشراقية التي تصدر في لندن - في عددها المؤرخ في حزيران سنة ١٩٣٠م ما نصه: «إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي، ولهذا الخوف أسبابا منها: ان الاسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عددياً، بل هو دائماً في ازدياد واتساع، ثم إن الاسلام ليس ديناً فحسب<sup>(٢)</sup>، بل إن من أركانه الجهاد. ولم يتفق قط أن شعباً دخل في الإسلام ثم عاد نصرانياً»<sup>(٣)</sup>. ولعل المستشرق الألماني كارل بيكر كان أكثر صراحة حينما قال: «إن هناك عداءً من النصرانية للاسلام، بسبب

(١) 48 - 44 C. F. Brown 37, Islam And Missions عن د. خالدي، مصطفى ود، فروع، عمر -

التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ٣٧.

(٢) يقصد - حسب عقيدتهم - أن الدين هو الذي ينحصر في إطار الكنيسة والطقوس المقررة من قبلها فقط، لا كما تعتقد من أن الدين - كما هو الاسلام - عقيدة ونظام شامل لكافة أبعاد الحياة وجوانبها.

(٣) عدد يونيو سنة ١٩٣٠م تحت عنوان «الجغرافية السياسية للعالم الاسلامي».

The Political Geography Of The Mohammadan World.

أن الاسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سداً منيعاً في وجه انتشار النصرانية ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعةً لصولجانها»<sup>(١)</sup>.

### الخلفية الثالثة:

إنَّ منهجية البحث الاستشراقي ومنطقه عبارة عن محاكاة الماديّة الوضعيّة ومنهج العلمانية الضاربة في صميم الوجود الغربي، وإن رؤيته منزعة من بيئة تلك المنهجية الغربية. لذلك فقد كانت الدراسات الاستشراقية بعيدة كل البعد عن المسلك الإلهي والمنطق العقلي الذي تتميز به المدرسة الاسلامية، إن لم نقل إنها جاءت مشبعة بالروح الماديّة التي تتحكّم في طريقة تفكير تلك المجتمعات، وبهذا الصدد يرى دينيه<sup>(٢)</sup> مثلاً: «إنه من المتعذر إن لم يكن من المستحيل أن يتجرّد المستشرقون عن عواطفهم وبيئتهم ونزعاتهم المختلفة...، وإنهم لذلك قد بلغ تحريفهم لسيرة النبي والصحابة مبلغاً يُخشى على صورتها الحقيقية من شدّة التحريف فيها. ورغم ما يزعمون من اتّباعهم لأساليب النقد البريئة ولضوائن البحث العلمي المجاد فإننا نلمس من خلال كتاباتهم محمداً ﷺ يتحدث بلهجة ألمانية إذا كان المؤلف ألمانياً، وبلهجة إيطالية إذا كان الكاتب إيطالياً، وهكذا تتغيّر صورة محمد ﷺ بتغيّر جنسية الكاتب. وإذا بحثنا في هذه السيرة عن لصورة الصحيحة فإننا لا نكاد نجد لها من أثر. إنَّ المستشرقين يقدّمون لنا صوراً خياليّة هي أبعد ما تكون عن الحقيقة. إنها أبعد عن الحقيقة من أشخاص القصص

(١) راجع د. محمد البهي في «الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي»: ٥٢٧. وراجع أيضاً

جريدة البلاغ الكويتية العدد ٥٨: ١٢. وراجع أيضاً مجلة البحث الاسلامي الهندية العدد ٩، السنة الثامنة.

(٢) هو «ألفونس اتيان دينيه»، وهو عالم مستشرق درس الشرق ونتاجه دراسة عميقة حتى اعتدى إلى الاسلام واعتنقه وأصبح سيفاً من سيوفه يدافع عنه ويردّ الشبه والمكائد التي يبررها أعداؤه. «من بحث للدكتور شوقي أبو خليل».



التاريخية التي يؤلفها أمثال «وولتر سكوت»<sup>(١)</sup>، و«الكسندر دوماس»<sup>(٢)</sup>. وذلك أن هؤلاء يصورون أشخاصها من أبناء قومهم، فليس عليهم إلا أن يحسبوا حساب اختلاف الأزمنة. أما المستشرقون فلم يمكنهم أن يلبسوا الصورة الحقيقية لأشخاص السيرة، فصوّروهم حسب منطقهم الغربي وخيالهم العصري»<sup>(٣)</sup>.

إنّ من الأمور التي باقت واضحة اليوم هي ارتباط المنهج - كروية فكرية وطريقة للعمل - بالموقف الفكري والثقافي من حيث الانتماء والهوية، وهذه العلاقة لا تستثنى في حقل دون حقل، ولا في طريقة دون أخرى.

فخلاصة الخلفيات السالفة الذكر هي: أن جهود المستشرقين وثمرات حركتهم تصدر جميعاً وفق أهدافٍ مشخصة سلفاً، وتقع - عند التأمل - على نسق واحد يتمثل في موقفهم الفكري والثقافي وما يلزمه من دفاع عن الهوية الأوربية بصورة عامة. ولهذا السبب نجد أنهم قد جانبوا الحق، فأوقعوا الكذب والاختلاف في دراساتهم، فكانت أساليبهم لا تنبئ عن أمانتهم وصدقهم في مجالات البحث العلمي مترسّمين هدفهم الراسخ أولاً وقبل كل شيء وهو: تهديد الأرضية لعالمية أوروبا وسيطرتها كقاعدة تأسست عليها الحركة الاستشراقية العالمية.

(١) سكوت (وولتر): (١٧٧١ - ١٨٣٢م)، شاعر وروائي اسكتلندي من أشهر رواياته «آيسنهور» و«ابنة الجراح» (موسوعة المورد ٩: ١٠).

(٢) دوماس (الكسندر) رواي فرنسي (١٨٠٣ - ١٨٧٠م)، وضع عدداً كبيراً من الروايات التاريخية. من أشهر رواياته: «الفرسان الثلاثة» و«الكونت دي مونت كريستو» (موسوعة المورد ٤: ٧).

(٣) ديبية «محمد رسول الله» المقدمة: ٢٧ و ٢٨، و ٤٣ و ٤٤.



## المدارس الاستشرافية

عندما نريد أن نشخص الاهداف الحقيقية للاستشراق كحركة لها مراحلها وأدوارها، لابدّ من استقراء الواقع الميداني الفعلي لها ضمن خلفياته التاريخية ومناطق نموه التي وُلد وترعرع في أحضانها. وعليه فقد ارتأينا أن نصفّ الاستشراق إلى مدارس تعتمد أولاً على جنسية المستشرق وانتمائه إلى وطنه الأم. وثانياً على مراكز التنظير والجهد الاستشرافي، وذلك لما لهما من تأثير على الطرح الاستشرافي للمدرسة المعنية. وسوف ينعكس تقويمنا للجهد الاستشرافي من خلال:

- ١- استعراض ابرز الشخصيات التي عملت في هذا الحقل، وكانت بحق من الرواد الحقيقيين لتلك المدرسة.
- ٢- المصنّات الموضوعية الأساسية التي وقع الجهد الاستشرافي عليها.
- ٣- نماذج مختارة من الجهد الموسوعي للمستشرقين، التي تعتبر من المصادر العلمية المهمة عند الكثير من الباحثين المؤرخين. مع أننا سوف نبين الخلط والابتعاد عن الروح العلمية في أغلب الموارد التي تعرّضت لها هذه الموسوعات. ويمكن أن نقسّم المدارس الاستشرافية إلى نوعين:
- الأولى: المدارس الرئيسية ذات التأثير المستقل الفاعل على الدراسات

والبحوث الاستشراقية العالمية، والتي لم تكن انشطتها تقتصر على الجوانب العلمية فحسب، بل امتدت لتشمل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ورسمت الكثير من الخطوات على طريق الأحداث والتغيرات السياسية وملحقاتها في العالم.

الثاني: المدارس الثانوية التي لم يكن لها الثقل المهم في مجمل الحركة الاستشراقية، أو التي انحصرت انشطتها في فترات زمنية محدودة، أو كانت لها أنشطة مشتركة مع إحدى المدارس الرئيسية، بحيث كانت تأثيراتها تصبّ ضمن أهداف تلك المدرسة.

وفي مجال الإحاطة بالاهداف العامة للمدارس الاستشراقية، يمكننا اعتبار المدرسة الاستشراقية الفرنسية نموذجاً محققاً لها، لأنها تجسّد لنا بشكل شمولي ونوعي، من خلال ملاحظتها ودراستها، كافة الأبعاد الأساسية للجهود الاستشراقية لجميع المدارس الاستشراقية الأخرى، مما يجعل انتخابها وافرادها بالدراسة قائم على أساس الضرورة الموضوعية التي تبرز الأهم والأخطر والأكثر عمقاً من بين غيرها من المدارس، مما يساهم بدرجة كبيرة في تسليط الضوء على الهدف من دراسة الاستشراق، وهو كشف دوره في حركة الاستعمار الأوربي للشرق الاسلامي، ببعديه الفكري والميداني، وتزامنه مع حركة الاستعمار العسكري وغزوه الحضاري لهذه المنطقة، والذي من أبرز معالمه جملة من النظريات والاطروحات المستحدثة التي تلبّست بالقومية أو الوطنية تارةً، وبالتمدّن والتحديث تارةً أخرى، وبالدفاع عن حق الشعوب تارةً ثالثة. وعلى الرأس من هذه وتلك زرعُ الكيان الصهيوني الغاصب في قلب العالم الاسلامي، وجعله بؤرةً للقلق والاضطراب في المنطقة، ومركزاً لتحقيق الأطماع الاستعمارية والطموحات الاستكبارية.

## النموذج: المدرسة الاستشراقية الفرنسية

يمكن القول إن المعالم الرئيسية للمدرسة الاستشراقية الفرنسية قد بدت واضحة بعد فشل الحروب الصليبية التي شنها الغرب المسيحي على المسلمين، والتي كان لفرنسا الحظ الأوفر في اندلاعها وقيادتها قرابة ثلاثة قرون انتهت بطرد الأفرنج تماماً من الأراضي العربية الإسلامية على يد المماليك في أواخر القرن الثالث عشر.

ولعل ما نادى به لويس التاسع<sup>(١)</sup> بعد فشله في إحدى الحملات الصليبية دليل على أنها كانت أرضاً خصبة لنمو الاستشراق مما ساعد على تأسيس مدرسة كان لها الدور الكبير في رَفْد الحركة الاستشراقية العالمية. وليس من باب المصادفة أن تكون أول ترجمة للقرآن الكريم قد تَمَّت في فرنسا، وبقيت محفوظة في دير كلوني بجنوبي فرنسا حتى سنة ١٥٤٣م، ولا بدون قصد أن تبدأ مرحلة التنظيم الفعلي لحركة الاستشراق من فرنسا في مطلع القرن الثامن عشر، وأن يعقد أول مؤتمر عالمي للمستشرقين في باريس عام ١٧٨٣م. كما أن أول جمعية

---

(١) لويس التاسع، (١٢١٤ - ١٢٧٠م) أشهر الملوك الفرنسيين، قاد الحملتين الصليبيتين: السابعة التي وصل فيها إلى دمياط عام ١٢٤٩م، وأُسِر في معركة المنصورة عام ١٢٥٠م، وانتقل إلى فرنسا بعد أربع سنوات. وقاد الحملة الصليبية الثامنة ولكنه مات بالطاعون في تونس بُعيد مغادرته فرنسا عام ١٢٧٠م. «المتجدد في الأعلام، وموسوعة المورد ٦: ١٤٦».

للمستشرقين تأسست في باريس باسم جمعية باريس الآسيوية Societe Asiatique De Paris في سنة ١٨٢١م، التي أصدرت دوريتها تحت اسم «المجلة الآسيوية» Asiatique Journal في سنة ١٨٢٢م.

### المميزات الأساسية للمدرسة الاستشراقية الفرنسية

من الواضح لمتتبعي شؤون الحضارات الإنسانية أن لأوروبا حضارة خاصة تتميز بها عبر تاريخها الطويل، إلا أن الذي نريد أن نضيفه هنا أو نؤكد عليه هو أن لبعض الشعوب الأوربية - خصوصاً الكبيرة منها - بعض الخصائص الحضارية التي تتميز بها عن غيرها من شعوب أوروبا تدفعنا لأخذها بنظر الاعتبار ضمن المؤثرات الإيديولوجية على موضوع دراستنا للاستشراق، وبعبارة أخرى: إن منهج دراستنا للمدارس الاستشراقية التي برزت على سطح الواقع الميداني ستم على ضوء تشخيصنا المسبق للخصائص الإضافية لبلد ومجتمع المدرسة الاستشراقية التي نشأت فيه وترعرعت في أجوائه الحضارية. إذن فالتمييز بين مدرسة استشراقية وأخرى سوف لا يلحظ في جانبه الميداني جغرافياً فقط، بل يلحظ في جانبه الميداني حضارياً أيضاً، والمدرسة الفرنسية للاستشراق مما يناهنا نصيب بارز من هذا اللحاظ. وباستقراءنا للنماذج البارزة من المستشرقين الفرنسيين في إطار التأريخ الفرنسي يمكننا استخلاص المميزات الأساسية التالية لهذه المدرسة:

١ - العداء والحقن للإسلام ديناً وللحضارة الإسلامية بمختلف معطياتها وانعكاساتها وامتداداتها الزمانية والمكانية؛ ويعزى ذلك إلى الصراع الطويل



الذي كان محتدماً بين الطرفين إثر استيقاظ فرنسا بشكل خاص، وأوروبا بشكل عام على صوت الإسلام والدعوة الإسلامية، حيث كانت غارقة في وحشية القرون الوسطى والحروب القبلية، والصراعات بين الأمراء والتبلاء والملوك، وحيث تحكم الكنيسة بأفكارها الخرافية وسيطرتها على مراكز القرار، وابتداع أساليب الظلم والجور باسم الدين المسيحي. في هذه الفترة المظلمة جاء الإسلام بمثابة حافزٍ ومنبّهٍ عظيم لا يطاق الفرنسيين بالخصوص، لأن الدولة الإسلامية أصبحت قريبة ومجاورة للجسد الأوربي «في إسبانيا والبحر الأبيض المتوسط وجنوبه» وهي تحمل فكراً جديداً وعقيدة ساطعة. فلم يكن من الكنيسة وملوك فرنسا إلا أن يشحنوا الفرنسيين بالعداء للمسلمين على أنهم كفرة برابرة يجب مواجعتهم بعنفٍ دموي وسحقهم وإبادتهم. وابتدأت المعارك فكانت «بلاط الشهداء» المعركة الأولى عام ٧٣٢م التي مهّدت للحروب الصليبية، حتى تمكّن الفرنسيون عام ١٠٩٩م من دخول القدس بقيادة «غودفري دي بويون»<sup>(١)</sup>. ولم تكن هذه هي المعركة الوحيدة التي خاضها الفرنسيون ضد المسلمين، فقد قاد الفرنسيون وحدهم خمس حملات صليبية كان آخرها الحملة الصليبية الثامنة عام ١٢٧٠م، التي قادها لويس التاسع، وقد مُنيت بالفشل الذريع.

إن هذا الصراع المرير قد انعكس على كافة الجوانب الحيوية للفرنسيين، حتى امتدّ إلى الحياة الأدبية والثقافية، وألقت بظلالها الثقيلة على الدراسات والبحوث التي تعالج قضايا الشرق عموماً، والإسلام بشكل خاص. فجاء العديد

(١) غودفري دي بويون (١٠٦٠ - ١١٠٠م): أمير فرنسي اشترك في الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٦ - ١٠٩٩م) وأسهم في حصار القدس، أول ملوك المملكة اللاتينية في بيت المقدس (١٠٩٩ - ١١٠٠م)، توفي بعد أن أصيب بجحشٍ التيفوئيد في أغلب الظن. عدته الأساطير المتأخرة «الفارس النصراني الأمثل» موسوعة المورد ٥: ٧.

من الدراسات محققاً بالتشويه المتعمد لصورة الإسلام وشخصية النبي الأكرم محمد ﷺ، كما في كتاب «تاريخ فرنسا» للمستشرق الفرنسي «جولمين» حيث جاء: «إن محمداً مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم، وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين «المسلمين» وبين النصاري؟ إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس أسلموا أو موتوا، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرّهم وإحسانهم. ماذا كان حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا؟ إذن لكنّا مسلمين كالجزائريين والمراكشيين»<sup>(١)</sup>.

وعندما نلاحظ كتابات الفرنسيين نراهم يضعون أنفسهم في أوروبا ثم ينظرون منها، فيعكسون وجهة نظر الغرب إلى الشرق الإسلامي، كما جاء في الدراسة التي أعدها المستشرق الفرنسي اليهودي الأصل «مكسيم رودنسون» تحت عنوان «الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية»، تختار منها المقاطع التالية مصداقاً لما أشرنا إليه: «كان المسلمون يشكّلون تهديداً للعالم المسيحي الغربي قبل أن يصبحوا مشكلة بزمان طويل. فقد حدث - في نظر الأوربيين - تحوّل في القوى في الأقسام البعيدة من الشرق، وقام شعب هائج هم «العرب أو السراسنة»<sup>(٢)</sup>. عرف بالسلب والنهب، وهو علاوة على ذلك شعب غير مسيحي، فاجتاح وخرّب أراضي واسعة، وانتزعها من قبضة المسيحية... ولقد وصلت

(١) جولمين، «تاريخ فرنسا» ٨٠ - ٨١.

(٢) السراسنة: هذه الكلمة آتية من الكلمة اللاتينية Saracenus (نقلاً عن اليونانية sarakenos)، وتطلق على المسلمين. وقد ظهر هذا الاصطلاح أول مرة في مؤلفات كتاب القرن الأول الميلادي، وقصدوا به البدو الذين كانوا يعيشون منذ أزمان طويلة على أطراف المناطق الزراعية ما بين النهرين، ويهدّدون طرق التجارة أو يجمعونها بتكليف من القوتين العظيمين يومذاك الرومان والفرس، والكلمة في اليونانية تعني ساكني الخيام، وتستخدم في كتابات الأوربيين استخداماً يعطي معنى السلب والنهب والتدمير، ولا تطلق إلا على المسلمين.

(راجع تراث الإسلام ترجمة د. السمهوري، الهامش: ٢٨).

الكارثة أخيراً إلى إسبانيا والشواطئ الإيطالية وبلاد الغال، وكانت موجة البرابرة الغزاة ذاتها هي دائماً المسؤولة»<sup>(١)</sup>.

٢- الروح الصليبية النصرانية كانت غالبة على معظم كتابات المستشرقين الفرنسيين: حتى يمكن القول: إن المدرسة الفرنسية قد نصبت نفسها حامية للنصارى، رافعة شعار الدفاع عن الشرقيين منهم، مستخدمة بذلك شتى الوسائل والأساليب لتحقيق هذا الهدف، وهذا يفسّر لنا سرّ الإسفاف والسقوط في الافتراء الذي مارسه المستشرقون الفرنسيون لتشويه الحقائق الإسلامية.

ومما يحكي هذه الحقيقة بل هو دليل صريح عليها ما جاء في كتابات المستشرق الفرنسي رودنسون ما نصّه: «لقد برزت صورة الإسلام، ليس كما قال البعض بنتيجة الحروب الصليبية، بقدر ما برزت بنتيجة الوحدة الإيديولوجية التي تكوّنت ببطء في العالم المسيحي اللاتيني. وقد أدّت هذه الوحدة إلى رؤية أوضح للعالم العدو، كما أدّت إلى تضافر الجهود نحو الحروب الصليبية، وفي القرن الحادي عشر وبنتيجة زيارات الحجّاج المتزايدة في العدد وفي التنظيم للأرض المقدسة «في فلسطين» والتي كانت قد تحوّلت إلى هجمات مسلّحة ضدّ (البدو أصحاب السلب والنهب) «المسلمين»، توطّد لدى الأوربيين المثل الذي يمكن أن يُحتذى للدخول إلى الأرض المقدّسة. كما أن القيمة الأخروية للقدس وللقرى المقدّسة الذي دُنّسه وجود الكفار، والقيمة التطهيرية للحج، والفكرة القائلة بأنّه من الواجب تقديم العون للمسيحيين الشرقيين الذين أُذِلّوا، كانت كلها من الأمور التي أدّت إلى جعل الحملة على الأرض المقدّسة واجباً مقدّساً يوضع نصب أعين

(١) رودنسون، مكسيم: «تراث الإسلام»، القسم الأول، تصنيّف: سناخت وبوزورت، ترجمة: د. السهوري:



المؤمنين (المسيحيين)»<sup>(١)</sup>.

٣ - تعميق الروح العنصرية للثقافة الفرنسية في الدراسات الاستشراقية وإيراز التراث والتاريخ الفرنسي بشكل مبالغ به، والتجديد بحضارة الاغريق التي تنتمي لها فرنسا، والخط من قيمة الحضارة الاسلامية والعربية، والتقليل من شأن اللغة العربية «لغة القرآن الكريم».

وهنا لابد من الاشارة إلى نقطة جوهرية وهي: أن الثقافة الفرنسية المعدة للتصدير، والتي سرت إلى نظريات الدراسات الاستشراقية، هي ثقافة نصرانية خالصة، بل هي تجهّز وتُعدّ إعداداً خاصاً للتصدير إلى الأمة الإسلامية.

تقول جريدة «لاستامبا» الايطالية النصرانية عن ذلك: «إنّ وطنية الرهبانيات الفرنسية في المشرق هي وطنية نقية وغيورة، والثقافة التي تنشرها هي ثقافة مسيحية خالصة وفرنسية واضحة، إنّها قبل كل شيء ثقافة فرنسية، ومن ثم مسيحية، لقد أصبحت فرنسا سيدة...»<sup>(٢)</sup>. وقد ذكر ذلك الشاعر الباكستاني المعروف محمد إقبال، حيث قال: «إن سحر الافرنج أو فنّه - ثقافته - أذاب الصخور وأسأها ماء»<sup>(٣)</sup>.

والشواهد كثيرة لبيان تأثير التعصّب للثقافة الفرنسية على المدرسة الاستشراقية الفرنسية، منها كتاب «بجد الاسلام» للمستشرق الفرنسي «جاستون فييت».

والذي يلفت النظر في أغلب كتب المستشرقين هذه هو: العناوين البراقة لكتبهم والتي تخالف المضمون الحقيقي لها بشكل كامل، ولعلّها إحدى الأساليب

(١) رودنسون، مكسيم «تراث الاسلام»، تصنيف: شاخت وبوزورث، ترجمة: د. السهوري: ٢١.

(٢) مجلة المنق، العدد الأول، نقلًا عن مجلة لاستامبا الايطالية.

(٣) الندوي، أبو الحسن «الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية»: ١٧٢.



لخداع القراء المسلمين، حيث أن العنوان المتحقق يخفي بين طياته سموما تعمل عملها في نفسية القراء وأذهانهم. فكتاب «مجد الإسلام» مثلاً الذي أشرنا إليه يبدأ من فصله الأول حتى نهايته بترديد أفكار مشوهة عن الإسلام، وعن الرسول محمد ﷺ، وعن التاريخ الإسلامي، طالما قد تكررت في كثير من كتب المستشرقين.

فمثلاً عندما يتحدث الكاتب عن التاريخ الإسلامي لا يذكر إلا الوقائع والحروب فقط، وقيام الدولة الإسلامية وسقوطها، وقد فاتته أن للمسلمين تاريخاً آخر غير هذه السلسلة الطويلة من الوقائع والحروب، فاتته تاريخ المجتمع الإسلامي كيف نشأ وكيف قام، وكيف تطوّر وشيّد حضارة امتدّ إشعاعها إلى أوروبا بالذات، في وقت كانت غارقة في ظلمات الجهل والانحطاط. كما لا يتناول تاريخ اللغة العربية، وكيف سارت من الخليج إلى المحيط. فليس بين فصول الكتاب ذكر لنواحي حضارتنا الإسلامية، أو أثر لثرائنا ودوره العلمي في انتشار الإسلام. وكل ما هناك هو أنه يقف في نهاية الكتاب - وهو بيت القصيد - فيقول: «إن الحضارة الإسلامية ركزت لأنها لم تقم على أساس حضارة اليونان»<sup>(١)</sup>.

وسنشير فيما بعد إلى أمثال هذه النماذج عند الدخول في تفصيل دراسة الجهد الاستشراقي إن شاء الله.

٤ - نزع التعصب الاستكباري التي نجدها مهيمنة على أغلب الدراسات الاستشراقية للمدرسة الفرنسية. وقد أشرنا إلى هذا المعنى سابقاً في باب «هوية الاستشراق» بما كتبه المستشرق الفرنسي «هانوتو» الذي كان يعمل مستشاراً

(١) من دراسة حول كتاب «مجد الإسلام» للأستاذ الدكتور حسين مؤنس، استاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة، نشرت بالملحق الأدبي لجريدة الاهرام «أهرام الجمعة»، وتتضمن عرضاً وتحليلاً ومناقشة للفكر الاستشراقي بين واقع إنتاجه العلمي.

لوزارة المستعمرات الفرنسية حيث قال: «إن شعباً جمهوري المبادئ «شعب فرنسا» يبلغ عدد نفوسه أربعين مليوناً لا مرشد له إلا نفسه، لا عائلات ملوكية فيه يتنازع عن الحكم، ولا رؤساء يتناولون الرئاسة بطريق الوراثة، هو الذي تقلد زمام إدارة شعب آخر لا يلبث أن ينمو حتى يساويه في العدد، وهو ذلك الشعب المنتشر في الأرجاء الفسيحة والأصقاع المجهولة، والمتبع لتقاليد وعادات غير التي نعوها ونحترمها... وهو الشعب الإسلامي السامي الأصل، الذي يحمل إليه الشعب الآري المسيحي الجمهوري الآن ملح المدنية وروحها»<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن نستطلع رأي مستشرق فرنسي آخر وهو «مكسيم رودنسون» الذي يعتبر أحد أركان مدرسة الاستشراق الفرنسية، والذي يتجلى بالبزة العنصرية الاستكبارية بشكل لا يقبل الشك حيث يقول: «وهكذا بعد أن أصبح القتال أكثر تركيزاً وتوجيهاً، كان لابد من إعطاء العدو صفات أوضح وأدق، وكان لابد من تبسيط صورته وإعطائها طابعاً نمطياً. كان «المراسنة» - يقصد بهم المسلمين - بالنسبة للحجاج - المسيحيين - مجرد أعداد زائدة لا وجود لها، ومجرد كفار تافهين، حكم بحكم الأمر الواقع، يتحرك المرء بينهم بلا مبالاة... وفي الواقع لم تكن لدى أوروبا المسيحية صورة واحدة عن العالم المعادي الذي كانت في صدام معه، بل كانت لديها عدة صور...»<sup>(٢)</sup>.

إن الاستكبار الأوربي لعب دوراً كبيراً في تحديد طبيعة النظرة الأوربية إلى الشرق الإسلامي، وخصوصاً بعد منتصف القرن التاسع عشر. يقول المستشرق رودنسون: «لقد كان التفوق الأوربي من النواحي الاقتصادية والفنية والعسكرية والسياسية والثقافية طاغياً، في الوقت الذي كان فيه الشرق يغرق في التخلف،

(١) د. محمد البهي «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» ٣٢.

(٢) رودنسون، مكسيم «تراث الإسلام»، تصنيف: شاخات وبوزورث: ٣١ و ٣٢.

وأصبحت إيران والإمبراطورية العثمانية - عملياً - محييتين أوروبيتين»<sup>(١)</sup>.  
لقد أرادت فرنسا أن تكون حاملة للواء العظمة الأوربية في العالم،  
وانعكست هذه الإرادة على الثقافة الاجتماعية والرأي العام للمجتمعات الشرقية،  
فأصبح كل ما من شأنه أن يفتح نافذة التطلع نحو الإسلام أو العودة إلى تحكيمه، أو  
دراسة منهجه الأصيل وتأثيره في العالم الإسلامي ضرباً من الجمود والتحجر،  
ونزوعاً نحو الرجعية والتخلف والتعصب. وهذه هي صورة التطلعات الإسلامية  
في نظر المستشرقين الفرنسيين، أو هكذا يصوّرونها للآخرين من خلال كتاباتهم  
ومناهج عملهم.

فثلاً، عندما تأسست «حركة الجامعة الإسلامية»<sup>(٢)</sup> في القرن التاسع عشر  
كردة فعل للاستعمار الأوربي، وازدياد نفوذ دوله على حساب الدول الإسلامية،  
تعالّت صرخات الغرب والأوروبيين بشكل خاص في وجه هذه الحركة. وبفعل  
الوسائل الإعلامية والثقافية كالصحافة والأدب والفنون الأخرى استطاعت هذه  
الدول الاستعمارية توجيه المجتمع الأوربي ورأيه العام ضد هذه الحركة. وقد كتب  
أحد المستشرقين الفرنسيين في ذلك قائلًا: «كانت حركة الجامعة الإسلامية  
(Pan - Islamism) هي الغول المرعب في ذلك العصر، على نفس الطريقة وفي نفس  
الزمن اللذين انتشر الرعب فيها من «الخطر الأصفر»<sup>(٣)</sup>، وكانت هذه الكلمة -

(١) مجلة رسالة الجهاد، العدد ٧٠، السنة السابعة، الاستشراق في الميزان: ٥٩.

(٢) حركة ظهرت في القرن التاسع عشر، واستهدفت توحيد المسلمين في دولة كبرى على رأسها خليفة  
قادر على وقف الغزو النصراني للديار الإسلامية، يعتبر جمال الدين الأفغاني أبرز الداعين إليه. وقد  
رعاها السلطان عبد الحميد الثاني، وشن حملة واسعة للتبشير بها، بيد أن أثرها ضعف وتضاءل إثر سقوطه  
عام ١٩٠٩م. وهي غير الجامعة الإسلامية الحديثة التي تأسست بعد الحرب العالمية الثانية. (عن موسوعة  
المورد ٧: ١٩٨).

(٣) يُرغم أنه ناشئ عن تعاضد قوة العرق الأصفر بملايين التي تفوق الحصر، وقد يطلق على العرق الأصفر  
نفسه بوصفه مصدر هذا الخطر. (عن موسوعة المورد ١٠: ١٨٥).



حركة الجامعة الإسلامية - نفسها توحى بالتطلع الإسلامي للسيطرة  
ويأيد يولوجية عدوانية، وبمؤامرة على نطاق عالمي»<sup>(١)</sup>.

## نشأة المدرسة الاستشراقية الفرنسية وعوامل نموها وتطورها

إن تاريخ نشوء المدرسة الفرنسية للاستشراق يرجع في بداياته الأولى إلى  
الفترة الزمنية التي بدأت بها فرنسا الاحتكاك بالشرق الإسلامي مع بداية ظهور  
الإسلام في شمال إفريقيا، ثم أعقبته المداخلة الميدانية في إسبانيا بعد إسقاط الدولة  
البيزنطية وتأسيس دولة الأندلس في نفس الفترة الزمنية التي ابتدأ بها القساوسة  
والرهبان الأوروبيون يتجهون صوب دراسة وترجمة الفكر والثقافة الإسلامية،  
محددن لهذا الهدف العديد من العلماء والمفكرين الأوروبيين، كالذي قام به بطرس  
الموقر رئيس رهبان كلوني<sup>(٢)</sup> (١٠٩٤ - ١١٥٦) من أجل الحصول على معرفة  
علمية موضوعية عن الفكر الإسلامي منطلقاً من موطنه فرنسا لنقل هذه المعرفة  
إلى كل أوروبا، تلك المعرفة التي حصل عليها بطرس الموقر بصورة مباشرة أو غير  
مباشرة قد تأثت من خلال نشاطاته وزياراته لأديرة رهبنته في إسبانيا - عندما  
كانت تحت الحكم الإسلامي - عن القضايا الإسلامية ونشاط الترجمة، ومما زاد

(١) Cf. J. J. Wardenburg, L' Islam Dans Le Miroir De L' Occident (Paris - The Hague, 1963), PP. 102 - 6.

(٢) كلوني: مدينة في شرق فرنسا أسس فيها الدير المعروف باسمها سنة ٩١٠ م، وهو من أشهر الأديرة  
الرهبانية في التاريخ الأوروبي الوسيط في منطقة الصون - اللوار في فرنسا - واطلقت من هذا الدير حركة  
إصلاح دبية رهبانية امتدت في القرن الحادي عشر والثاني عشر من فرنسا إلى كل المسيحية الأوروبية،  
وقد لعب هذا الدير دوره في التحريض على الصليبيات وفي إيصال عدد من رهبانه إلى سدة البابوية -



من تشبّثه بمشروعه هو اهتمامه بمحاربة الهرطقات «حسب رأيه» المتمثلة باليهودية والإسلام «وإن يكن ذلك بجدية ومحبة إزاء الأفراد «الضالين» بما ينسجم مع شخصية رئيس رهبان كلوني»<sup>(١)</sup>. وبسبب أنه كان مدركاً بعمق الأخطار التي كانت تواجهها الكنيسة في عصرٍ تميز بالاضطراب الفكري والانشقاق، لذلك فقد رغب أن يسلح الكنيسة ضدّ هذه الأخطار منطلقاً من اعتقاده الشخصي أنه رئيس لرهينة مكرّسة لهذا الهدف. ويبين بطرس الموقر الهدف من مشروعه - الاستشراق - الذي كرّسه ضد الإسلام في معرض ردّه على بعض من اقترح عليه عدم جدوى عمله حيث يقول: «إذا كان عملي يبدو عديم الفائدة لأن العدو يبقى منيعاً ضد مثل هذه الأسلحة، فإني أجيب أنه في بلاد ملك عظيم تكون بعض الأشياء من أجل الحماية، وأخرى للزينة، وأخرى أيضاً للغرضين معاً. لقد صنع سليمان المسالم أسلحة للحماية، لم تكن هناك حاجة إليها في أيامه، وقام داود بإعداد الزينة للمعبد. وإن كان استعمالها متعذراً في أيامه... وهذا العمل كما أراه لا يمكن أن يقال إنه عديم الفائدة. فإذا تعذّر هداية المسلمين «الضالين» به فإن العلماء الذين يغارون على العدالة يجب أن لا يفوتهم تحذير أولئك الضعفاء من أفراد الكنيسة الذين يروّعون أن يثاروا عن غير ما قصد بالقضايا النافهة»<sup>(٢)</sup>.

وامتدّت نشاطات الموقر من فرنسا إلى إسبانيا حيث شكّل جماعة من الترجمة يعملون تحت إشرافه، وترجموا القرآن الكريم عام ١١٤٣ م. ومجموعة من

(١) رودنسون، مكسيم - تراث الإسلام ق ٣٧: ١.

(٢) انظر 2 - 651 Migne; Patrologio Latina, CL XXXIX واظر أيضاً الكتاب السابق الذّكر. CF

Southern, PP - 38 FF وكتاب Domj. Laclercq, Pierre Le Venerable

(A Bbaye St. Wandrille , 1946) PP. 211-212.

النصوص العربية الأخرى وأعدّوا مؤلفاً لتعليقات بطرس الموقر نفسه.  
على أن هناك قولاً آخر يؤرّخ النشوء مع بدايات الصراع العسكري  
الصليبي، والحملات الصليبية ضد المسلمين، وبخاصة بعد الصرخات المعادية التي  
أطلقها لويس التاسع سنة ١٢٥٠م. ورغم ما يمكن أن يقال من أن هذه البدايات  
وانظواهر لا تخص بالمدرسة الفرنسية وحدها، بل هي بدايات وظواهر مشتركة  
في قيام جميع المدارس الاستشراقية ونشوتها، إلا أنه يمكننا أن نجعل الخصوصية  
هنا للمدرسة الفرنسية في أن أول كرسي للعربية تأسس عام ١٥٣٩م، واقترن  
بأوج ما وصلت إليه الحروب الصليبية، كان في «الكاليج دو فرانس» في باريس،  
التي كانت قد تأسست حديثاً، وشغل هذا الكرسي المستشرق الفرنسي غليوم  
بوستل<sup>(١)</sup>، العالم المستنير - حسب وصف رودنسون - الذي درّب تلاميذ  
عديدين من أمثال «سكاليجر» الذي كانت مكانته في مجال الاستشراق لا  
يستهان بها<sup>(٢)</sup>.

إن الحروب الصليبية وتأثيرات التحريض الكنسي العنصري، بالإضافة  
إلى التطلعات الاستكبارية الفرنسية، وانهايار الدولة الإسلامية - لأسباب كثيرة  
كان أهمها تعرّضها لتلك الهجمات الوحشية التي قادتها أوربا وخصوصاً فرنسا -  
أدّت إلى ظهور الاستشراق الفرنسي بصورته الحقيقية العنصرية، وبواقفه العدائية  
تجاه العالم الإسلامي. حتى أنه كان في بعض الفترات - إن لم نقل في معظمها - بدأً  
قوية للاستعمار الفرنسي، كما سيتوضح ذلك في محله إن شاء الله.

لقد أفادت المدرسة الاستشراقية الفرنسية من الحروب الصليبية أيما فائدة،

(١) بوستل غليوم (١٥١٠ - ١٥٨١)م. مستشرق ورحالة فرنسي ألف كتاباً في أبجديات انتي عشرة لغة،

منها اللغة العربية - المجد في الاعلام.

(٢) رودنسون، مكسيم - قراء الاسلام ق ١، ٦٢.

حيث أن الثمار الإيجابية لأوروبا وفرنسا التي تمخضت عن هذه الحروب أعطت دفعا وزخما للاستشراق الفرنسي، لأن دور هذه الحروب لم يقتصر فقط على ساحات القتال، بل تجاوز إلى ميادين أخرى ثقافية وتبشيرية وأخلاقية على طريق الكثير من المؤسسات والجامعات التي مارست نشاطا استشراقيا واضحا، ولا سيما أن الحروب الصليبية كانت تمر في بعض الأوقات بفترات هدنة وسلام كانت فرصة مواتية استثمارها الفرنسيون لصالحهم بقصد تدمير البناء الإسلامي من الداخل، وتخريب المجتمع الإسلامي بزرع الخلافات وإذكاء أوار الصراعات الداخلية التي أخذت تنهش في أوصاله.

إن الدراسات الشرقية التي شاعت في أوروبا زوّدت الفرنسيين بكنوز من المعلومات سُخّرت لخدمة المصالح الفرنسية، فكان كل شخص في أوروبا يرغب في التعرف بشكل وافٍ على لغات المشرق الأدنى وحضاراته يتوجّه إلى مدرسة اللغات الشرقية الحيّة في باريس التي أسّستها حكومة المؤتمر الثوريّة «الكونفانسيون» في مارس سنة ١٧٩٥م بإيعاز من المستشرق «لانجلين»<sup>(١)</sup>.

إن المدرسة الفرنسية بلغت أوج عظمتها في بعض الفترات، فلمع فيها بعض الشخصيات الاستشراقية التي كان لها دور كبير في تطوير الاستشراق الأوروبي، فأصبحت باريس القبلة التي يؤمّها جميع المستشرقين الأوروبيين الذين يرغبون في التخصص بدراسة الشرق الأوسط، ومن هذه الشخصيات «سلفستر دو ساسي» الذي لقّب بأستاذ جميع المستشرقين الأوروبيين في زمانه، وبقي أسلوبه في العمل حتى يومنا هذا هو الأسلوب نفسه الذي يتّبعه عدد كبير من المستشرقين. وفي

(١) مستشرق فرنسي (١٧٦٣ - ١٨٢٤م)، تعلّم على المستشرقين الفرنسيين كوسان دي برسفال، ودو ساسي، ترجم قسما من ألف ليلة وليلة، ورحلات العرب والفرس إلى الصين والهند في القرن العاشر - المتجدد في الأعلام.



عهد كانت مدرسة باريس للغات الشرقية - التي أشرنا إليها والتي قامت في أوج حماسة فرنسا الثورية - النموذج لمؤسسة الاستشراق العلمي والعلمي. ومن جرّاء ذلك ظهرت كلمة مستشرق *Orientaliste* في فرنسا عام ١٧٩٩م. وأدرجت كلمة الاستشراق *Oriental* في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٢٨م. وأخذت فكرة إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق تلقى المزيد من التأييد. ولم يكن هناك حتى ذلك الوقت مختصون بأعداد تكفي لتأسيس مجلات أو جمعيات تهتم حصراً ببلد واحد أو بشعب واحد أو منطقة واحدة في الشرق. وبدلاً من ذلك كان نطاق المجلات والجمعيات يمتد ليشمل عدّة مجالات، وإن لم تحظ جميعها بدرجة العمق نفسها في البحث<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن نقول: إن الاستشراق الفرنسي بشكل خاص قد نما وترعرع عندما جاءت مبادراته الميدانية نتيجة للأحداث المتعلقة بالشرق الإسلامي، من حيث التغيرات السياسية والنظرة الأوروبية التي كانت تعتبر الشرق الإسلامي من المشاكل العظمى التي تواجه السياسة الأوروبية بالخصوص في القرن التاسع عشر.

### مناطق نفوذ المدرسة الاستشراقية الفرنسية

إن الاقتران الذي أكدناه في حركة الاستشراق بالتبشير والاستعمار يحتم علينا جدلاً أن نجعل من مناطق النفوذ السياسي والثقافي لفرنسا مجالاً سياسياً للاستشراق الفرنسي على نحو التمهيد أو الترسخ لتلك الحركة السياسية والثقافية،

(١) رودنسون، مكسيم - تراث الإسلام ق ١، ٧٨.



سواء أكانت على شكل عمل تبشيري بكافة أبعاده الثقافية والدينية، أو نفوذ اقتصادي أو استعمار عسكري مباشر. ومن خلال استعراض الجغرافية السياسية لمناطق النفوذ الفرنسي نجدها تحتل رقعة واسعة ومهمة من مناطق الوطن الاسلامي ابتداءً من سواحل شمال افريقيا (الجزائر، المغرب، تونس، مصر) إلى وسطها الذي يسمى بالسودان الفرنسي بما فيها جيبوتي والسنغال وموريتانيا وتشاد ومالي وغينيا والنيجر وكاتم البرتو والغور والحوصة وسنغاي ومن غرب آسيا المتمثل ببلاد الشام «سوريا ولبنان الى شبه القارة الهندية».

وقد بدأ الاستشراق الفرنسي عمله الميداني المباشر عندما اكتشف رأس الرجاء الصالح عام ١٤٨٨م، فتدفق المستشرقون بعناوينهم المتعددة علماء ومنقبين عن الآثار ومبشرين للنصرانية. وقد سبق هذا الانتشار افتتاح مراكز للتبشير في إفريقيا السوداء، كان أولها في الكونغو عام ١٤٩١م، فعملت على التعرف على هذه القارة، والتهيد بالتعاون مع عصابات تجار الرقيق لدخول فرنسا بوصفها اكبر قوة غازية ثقافياً واقتصادياً وعسكرياً لهذه القارة<sup>(١)</sup>.

ومن انتحل صفة الاستكشاف والبحث والتقيب الكاردينال لافيجري<sup>(٢)</sup> الذي عمل بشكل فاضح وصريح لتكريس الوجود الاستعماري الفرنسي من خلال عمله. وقد أعلن عن ذلك في معرض حديثه عن إفريقيا، وأبدى أسفه الشديد من عدم تمكنه من نشر النصرانية بين المسلمين وخصوصاً الجزائريين بقوله: إنه أراد أن يحبب فرنسا إلى الناس باسم المسيح<sup>(٣)</sup>.

(١) محمود، سامي - انتشار الاسلام والدعوة إليه: ٤٣ - ٤٤.

(٢) لافيجري (١٨٢٥ - ١٨٩٢م) كاردينال فرنسي اهتم بشؤون الشرق، رئيس أساقفة الجزائر. أسس جمعية الآباء البيض عام ١٨٦٨م، بدأ حياته مبشراً في شمال إفريقيا والسودان، كلفه بذلك البابا بيوس التاسع (١٨٤٦ - ١٨٧٨م) نفسه.

(٣) فروخ، عمر. والخالدي، معطى - التبشير والاستعمار: ٢٤٧.

وقد تبلورت وتحددت مناطق النفوذ الفرنسي خصوصاً في القارة  
الافريقية، وقد بدأت عملية الإخضاع العسكري المباشر للنفوذ الفرنسي بالجزائر  
عام ١٨٣٠م، ثم تونس عام ١٨٨١م، ودخلوا السنغال عام ١٨٥١م، أما بنين  
(داهومي سابقاً) فقد احتلتها فرنسا عام ١٨٩٤م. ومنذ عام ١٨٥٤م خاص  
الاستكبار الفرنسي من خلال السنغال عدة محاولات لاحتلال موريتانيا حتى تم  
له احتلالها في عام ١٩٠٣م، أما احتلال بلاد الشام (سوريا ولبنان) فقد تم في  
مطلع هذا القرن<sup>(١)</sup>. كما امتد النفوذ الفرنسي وثبت أقدامه في مسقط وزنجبار عام  
١٨٨٤م عندما عقدت فرنسا معاهدة مع سعيد بن سلطان، حاكم هاتين المنطقتين،  
كما حصلت في عام ١٨٩٩م على تنازل من سلطان مسقط تحصل بموجبه على  
مستودع للوقود بطريقة الإيجار في ميناء الحصنة<sup>(٢)</sup>، وقد نافس الفرنسيون  
الانجليز على شبه القارة الهندية واشتبكوا معهم في صراع اقتصادي سياسي عنيف  
حتى اضطروا لتأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية في «بندر عباس» في نفس  
العام في مقابل شركة الهند الشرقية البريطانية<sup>(٣)</sup>. على ضوء مقررات مؤتمر برلين  
الذي انعقد في عام ١٨٧٨م والتي وضعت أسس هذا النفوذ وحاولت أن تخفف من  
أسباب الصراع بين الدول الأوروبية، وخصوصاً بين فرنسا وإنجلترا حول القارة  
الافريقية<sup>(٤)</sup>. وبعد وضوح حدود النفوذ الفرنسي في افريقيا بدأت حركة واسعة  
لإخضاع شعوبها إلى الثقافة الفرنسية وبشتى الصيغ والأساليب. ففي عام ١٨٩٨م  
كتب البابليون الثالث عشر إلى الكاردينال لانجينو ما يلي: «لقد علمنا برضا

(١) انتشار الإسلام والدعوة إليه: ٤٠ - ٤٩ والخطابي وجمهورية الربيع.

(٢) السياسة الفرنسية في الشرق الأوسط / المركز الإسلامي للأبحاث السياسية: ٣٦١.

(٣) الخطيب، معطي عقيل اسحاق - التنافس الدولي في الخليج، السياسة الفرنسية: ٣٨٤.

(٤) للمؤلف - السياسة الفرنسية في الشرق الأوسط: ٨٢.

كامل... بأن تفكير شخصيات بارزة يتجه نحو تكوين لجنة وطنية في فرنسا للحفاظ على الحماية الفرنسية في الأراضي المقدسة والدفاع عنها... فمعنى أن تضمن هذه الجهود المتحدة وجوداً مستقراً للكنيسة الكاثوليكية في الشرق لكي تعمل بنجاح على نشر الايمان الحقيقي ولعودة الرعايا الضالين إلى حضيرة المراعي الكنسي الأوحـد والاعلى»<sup>(١)</sup>.

### صيغ وأساليب المدرسة الاستشراقية الفرنسية وتشكيلاتها

إن من أبرز وأهم الأساليب والتشكيلات التي اعتمدتها هذه المدرسة في عملها الاستشراقي والتي أثرت في النتائج اثراً بليغاً حقق أغلب الأهداف والمرامي المتوخاة منه هي:

أ - تسخير المبشرين والأقليات النصرانية واليهودية المتواجدة في البلدان الإسلامية لتجميع المعلومات الأولية والدراسات الميدانية عن الإسلام والمسلمين في بلدانهم لتكون مادة أولية بين يدي المستشرقين لينطلقوا منها ويتابعوا تفصيلاتها ويخضعوها للبحث والتحليل ضمن الخطط الموضوعة لذلك من قبلهم، وقد تم ربط النصارى من مواطني البلدان بالتشكيلات التي اعتمدتها فرنسا عن طريق الحصول على امتيازات خاصة بحجة «حماية المسيحيين في الإمبراطورية العثمانية». ويشير إلى ذلك G. Bouchad أحد مسؤولي البعثات الفرنسية حيث قال: «... في هذا القرن [القرن التاسع عشر] دخلت أوربا في عصر جديد من

(١) مجلة المنتقى - العدد الأول، ٦٧ إبريل ١٩٨٣ م.



التوسع العسكري والسياسي بدأ مع الثورة الصناعية التي قلبت الأوضاع الاجتماعية والفكرية داخل أوروبا وأدت إلى ولادة الرأسمالية، وخروج أوروبا من حدودها لمواجهة الكتلة الإسلامية الضخمة المتمثلة في «الإمبراطورية العثمانية» المترامية الأطراف وكانت الامتيازات التي حصلت عليها دول أوروبا «لحماية المسيحيين» داخل «الإمبراطورية» حجة وجسراً عبرت عليه البعثات المختلفة إلى الطوائف المسيحية والأقليات الدينية، تحميها شرعية القنصليات والسفارات، أو القوة العسكرية المباشرة، فأسست مدارسها الخاصة بها، وأرست أسس نظام تعليمي يستلهم الثقافة الأوروبية ويبشر بها»<sup>(١)</sup>.

ولم يكتفوا بذلك بل أخذوا بأعداد وتربية مبشرين محليين من خلال مدارس اكليركية يتخرج منها ما يسمى بالاكليروس المحلي، خصوصاً وأن عامل اللغة يعدّ أساساً في أداء الدور الأمثل لهؤلاء المبشرين المحليين، وفي هذا الصدد يركز مؤرخو تلك الفترة: أن اليسوعيين لجأوا بعد سنوات من العمل المتواصل والدؤوب إلى إعداد «الدعاة المحليين» أملاً في تثبيت مستقبل العمل التبشيري في المشرق، وسعياً لتجاوز عائق اللغة الذي كان يقلق مرسلهم ويعرقل صلتهم اليومية بالذين يتوجهون إليهم، لأن المبشرين لا يعرفون العربية لغة السكان في هذه المناطق. هذه الحاجة الماسة والمتناهية لهؤلاء «الدعاة» يعبر عنها أحد الآباء المسؤولين في دمشق عام ١٨٦٠م بقوله:

لا اكليروس محلي بدون مدرسة اكليركية، ولا مستقبل للارساليات في المشرق في غياب الأكليروس المحلي. إن إرسال البعثات مفيد ولا شك، خاصة وسط هذه الأمم الجاهلة والكسولة، لكن المؤسسة الأوربية ليست مؤسسة صلبة

(١) الدكتور عثريسي، طلال - البعثات اليسوعية: ٢٤.



بشكل كاف، لأن جذورها لا توجد في البلد نفسه... والسبب الذي يدعونا لتكوين اكليروس محلي هو عينه الذي يدفعنا لإعداد اساتذة محليين أيضاً. إن المعلم والمعلمة العرييين يستطيعان الذهاب، وكل بمفرده، إلى أية قرية، فهما متكيفان مع اللغة والمناخ والعادات والغذاء مع بؤس البلد. كما يكفي الواحد منهما مئة فرنك في السنة<sup>(١)</sup>.

لذا وتثبيتاً لمستقبل هذه الارساليات، ضم اليسوعيون مساعدين لهم من أهل البلاد، بعد اختيارهم بدقة وعناية، لأن بإمكانهم ممارسة نفوذ وتأثير يعجز عنه الاجانب غالباً.

«لقد كان ذلك تطبيقاً للقاعدة الحكيمة التي طالما نادى بها البابا ليون الثالث عشر وهي اغواء الشرق بواسطة الشرقيين أنفسهم»<sup>(٢)</sup>.

واتسعت فكرة استثمار النصارى والأقليات المذهبية الاخرى من أبناء الشرق لتشمل اليهود، خصوصاً في بعض المناطق التي كانت لهم فيها طموحات دينية وتاريخية كفلسطين، حيث ذهب بعضهم إلى: «أن المبشرين كانوا مقتنعين جداً بأن جمع اليهود في فلسطين يسهل لهم مهمتهم في الوصول إلى المسلمين، من أجل ذلك ارادوا أن يفتحوا أبواب فلسطين على مصارعها لهجرة اليهود»<sup>(٣)</sup>.

«فليس من المستغرب إذن أن تجد سبعا وعشرين جمعية تبشيرية مختلفة الجنسيات كانت تعمل بلا ملل في فلسطين»<sup>(٤)</sup>.

ب - اعتماد اسلوب ضخ اكبر عدد من المستشرقين الفرنسيين من ذوي

(١) شقاليه، مجمع جبل عامل: ٢٦٧.

(٢) Bullet In Œuvres Des Ecoles D'orient 1862 : 210 - 212.

(٣) Christian Mission 188.

(٤) Richter 238.

الاختصاصات التبشيرية إلى بلدان الشرق الاسلامي.

لقد أعدت فرنسا جيشاً من المبشرين والمستشرقين الذي ينتشرون في افريقيا ولبنان، ويذكر مالك بن نبي: «أن المستشرق الفرنسي (ماسنيون) قد تفرغ آخر حياته للتبشير ومدّ وزارة الخارجية الفرنسية بالمعلومات والتوصيات حول البلاد الاسلامية وتهيئة العملاء والكتاب»<sup>(١)</sup>.

ويكفي أن نشير إلى الرقم الآتي ليعبر عن مدى العمق الرابط الوثيق بين الصليبية والرهبانية الفرنسية وبين الاستشراق والاستكبار، فقبل الحرب العالمية الاولى بلغ عدد المبشرين المرتبطين بالمقام البابوي ٧٣٠٠٠ مبشراً، كان ثلاثة أرباع هؤلاء من التابعة الفرنسية الذين توجهوا إلى سوريا في مجال التعليم.

أما «مؤسسة الدعاية»، وهي منظمة صليبية تبشيرية فرنسية، فقد أصدرت عام ١٨٨٨م هذا التعميم: «إننا نعلم بأن الحماية الفرنسية قائمة في المشرق منذ عدة قرون، ولقد تأكدت هذه الحماية من خلال المعاهدات الموقعة بين الحكومات، لذلك يجب أن لا يتم أي تغيير على الاطلاق بخصوص هذه النقطة. يجب المحافظ دينياً على هذه الحماية أينما كانت سارية، كما يجب أن تعلم البعثات التبشيرية بأن تلجأ عند الحاجة - لأي عون - إلى قناصل وممثلي الامة الفرنسية»<sup>(٢)</sup>.

ج - توجيه المبشرين الفرنسيين للتخصص في الاستشراق ورسم مناهجه بما يخدم الأهداف الثقافية والسياسية للاستكبار الفرنسي.

فقد تلبّس المبشرون بجميع المظاهر حتى في ثوب المستكشفين الذين ظهروا أمام العالم علماء أعلاماً، بل ان نابليون حوّر وطوّر من أساليب الاحتواء

(١) د. الخالدي، مصطفى، د. فروغ، عمر - التبشير والاستعمار: (٢٢).

(٢) مجلة المنتقى - ج ٦: ٦٨ أبريل ١٩٨٢م.

الاستشراق لمصر قبل وبعد احتلالها باستخدام ادوات المعرفة والقوة الغربيتين. ومنذ ذلك التاريخ تغيرت لغة الاستشراق ذاتها تغيراً جذرياً، فقد ارتقت واقعتها الوصفية وغدت لا مجرد اسلوب للتمثيل، بل لغة، بل بالأحرى وسيلة للخلق<sup>(١)</sup>. لقد اصبح المستشرقون، خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، جماعة أكثر جدية، لان ابعاد الجغرافيا التخيلية والواقعية كانت بهذا الوقت قد تقلصت، إذ إن العلاقة الشرقية الاوربية كانت قد تحددت بتوسع اوربي لا يُصد، بحثاً عن الاسواق والمصادر الطبيعية والمستعمرات. واخيراً لأن الاستشراق كان قد أنجز تقمصه وتحوّله من انشاء بحثي إلى مؤسسة إمبريالية<sup>(٢)</sup>.

ولقد اصبحت باريس فترة تنوف على النصف الاول من القرن التاسع عشر عاصمة للاستشراق (وعاصمة القرن التاسع عشر نفسه، كما يرى فالتر بنجمن)<sup>(٣)</sup>.

وتكفي للاحاطة بهذه الحقيقة المراجعة لكتاب جُول مول «سبعة وعشرون عاماً من تاريخ الدراسات الشرقية»<sup>(٤)</sup>.

د - خلق ارضية الارتباط الروحي والمعنوي بفرنسا والعمل على تشويه الثقافة الاسلامية وإثارة الشبهات حول الاسلام والحركات الاسلامية باعتبارها عقبة اساسية امام ترسيخ اتجاهات الفكر الاستكباري. وهذا ما يؤكد المستخصون في دراسة الاستشراق، فعند المقارنة والتمييز بين المدرسة الاستشراقية الفرنسية والمدرسة الاستشراقية البريطانية مثلاً يقولون: «... في

(١) سعيد، ادوارد - الاستشراق: ٥١، ١١٢.

(٢) سعيد، ادوارد - الاستشراق: ١٢٠.

(٣) سعيد، ادوارد - الاستشراق: ٨٢.

(٤) وهو سجل في مجلدين لكل ما له قيمة من أحداث في الاستشراق بين ١٨٤٠م - ١٨٦٧م، وقد كان مول هذا أميناً للجمعية الآسيوية في باريس.

عرف بريس - موريس بريس مؤلف كتاب «اكتناه بلدان شرق المتوسط» وهو سجل لرحلة عبر الشرق الأدنى عام ١٩١٤م - ان الحضور الفرنسي يُرى بافضل صورة في المدارس الفرنسية... وإذا كانت فرنسا لا تمتلك مستعمرات في الشرق فعلياً، فإنها ليست دون ممتلكات بصورة مطلقة... ثمة في الشرق شعور حول فرنسا هو من الدينيّة والقوة بحيث انه قادر على أن يتمثل، ويصالح بين تطلعاتنا الأكثر اختلافاً وتنوعاً. ففي الشرق نمثل نحن الروحانية، والعدالة، وقُصَّة المثلالي... نحن نمتلك الأرواح الشرقية... كيف نستطيع ان نشكل لأنفسنا نخبة فكرية تقدر على العمل معها، تتألف من شرقيين لن يكونوا قد اقتلعوا من جذورهم، شرقيين يستمرون في الارتقاء تبعاً لمعاييرهم الخاصة، وتظل تحترقهم تقاليد العائلة، ويشكلون، هكذا، رباطاً بيننا وبين جماهير السكان الأصليين؟ كيف سنخلق علاقات بهدف تمهيد الطريق لاتفاقيات ومعااهدات ستكون هي الشكل المرغوب فيه لمستقبلنا السياسي «في الشرق»؟ هذه الاشياء جميعاً في النهاية ذات مدار واحد، هو تنمية ذوق استمراء لدى هذه الشعوب الغربية للبقاء على اتصال بذكائنا، رغم ان هذا الذوق قد ينبع في الواقع من حسّهم الخاص بمصيرهم القومي»<sup>(١)</sup>.

ويؤكد هذه الميزة أيضاً منهج السياسة الفرنسية في التعامل مع الشرق التي تتمثل بمقولة: «إذا كان لفرنسا أن تستمر في منع «عودة الاسلام» فقد كان من الخير لها أن تحلّ الشرق، وكانت هذه منظومة طرحها كريسماني وثنيّ عليها السيناتور بول دومر. وقد كرّرت هذه الآراء في مناسبات كثيرة، وبالفعل فقد نجحت فرنسا بمفردها في شمال افريقيا بعد الحرب العالمية الاولى»<sup>(٢)</sup>.

(١) سعيد، ادوارد - الاستشراق: ٢٥١.

(٢) سعيد، ادوارد - الاستشراق: ٢٣٤.



ويحذر الكاردينال لافيجيرى من خطر قوة الإسلام وتهديدها للتطلعات الفرنسية في الشرق فيقول: «وبينما كان الإسلام على وشك أن ينهار في أوروبا مع عرش السلاطين «من آل عثمان» كان لا يزال ناشطاً في تقدمه وفتوحه على أبواب مملكتنا الأفريقية»<sup>(١)</sup>.

ولا يجد هؤلاء من الأمعان في تشويه الإسلام تحقيقاً للهدف الأساسي في إضعاف قوته وردم سدوده أمام غزوهم الثقافي واستعمارهم السياسي والعسكري، حتى وصل بهم الأمر إلى أن يقول أحدهم: «إن الإسلام مقلد، وإن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية، وسائر ما فيه أخذ من الوثنية كما هو أو مع شيء من التبديل»<sup>(٢)</sup>، ويبلغ التدجيل ذروته بجون ثاكلي أن يقول عن المسلمين: «يجب أن نستخدم كتابهم أي القرآن الكريم، وهو أقصى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماماً. يجب أن نري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً»<sup>(٣)</sup>.

وفي معرض آثارهم للشبهات حول الحركات الإسلامية كتب يوليوس رشتز عن ثورة المهدي على الإنجليز في السودان قائلاً في وصفها: «... هذا التعصب الإسلامي الضيق الأفق بكل ما فيه من بغض للثقافة»<sup>(٤)</sup>.

٥- الدعوة إلى تطوير الإسلام كاسلوب للدرس فيه وتشويه معالمه. فمن انجازات المستشرقين الكبيرة - وفي مقدمتهم المستشرقون الفرنسيون - أنهم أثاروا في قلوب قادة العالم الإسلامي اليوم وزعمائه - ممن تتقفوا في مراكز الغرب

(١) Pottier 113.

(٢) Islam And Missions 43.

(٣) Islam And Missions 2171.

(٤) Julius Richter 366.

الثقافية الكبرى أو درسوا الاسلام بلغات الغرب - شبهات حول الاسلام والمصادر الاسلامية، وأحدثوا في نفوسهم بأساً كبيراً في الحث على نعمة «إصلاح الديانة» و «إصلاح القانون الاسلامي»<sup>(١)</sup>.

ومن أبرز هؤلاء المستشرقين الذين بذلوا عناية خاصة بهذه الدعوة هو المستشرق الفرنسي ماسينيون، فقد كان له حضور رئيسي في العلاقات الإسلامية الفرنسية، في السياسة كما في الثقافة، وكان بوضوح رجلاً ذا شجوب انفعالي. آمن بأن عالم الاسلام يمكن اختراقه لا عن طريق البحث، حصرياً، بل عن طريق تكريس النفس لجميع أوجه نشاطاته، التي لم يكن اقلها عالم المسيحية الشرقية المنضوية ضمن الاسلام والتي تلقت احدى جماعاتها الفرعية، الجمعية الخيرية البديلة، تشجيعاً حاراً من قبل ماسينيون<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد هذه الدعوة، التي اخذت اتجاهها عاماً في اغلب الدراسات الاستشراقية، التركيز والاهتمام الشديد الذي اولاه المستشرقون الفرنسيون بالدراسات الاسلامية، وهذا نابع من روحهم الصليبية وغرضهم الرئيسي، وهو تحديد نقاط ضعف المسلمين ومحاولاتهم فهم الاسلام لكي ينفذوا الى المجتمع الاسلامي عن طريق ذلك ولهذا تجد ان «كريسافي» ومن بعده السيناتور «بول دومر» قد طرحا منظومة مفادها ان من الخير لفرنسا إذ كانت مستمرة في منع عودة الاسلام ان تحتل الشرق. وقد كرر هذان المستشرقان هذه الآراء في مناسبات كثيرة، وبالفعل فقد نجحت فرنسا بفردها في شمال افريقيا وسوريا بعد الحرب العالمية الاولى<sup>(٣)</sup>.

(١) الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية: ١٧٨.

(٢) سعيد، ادوارد - الاستشراق: ٢٧٠.

(٣) سعيد، ادوارد - الاستشراق: ٢٣٤.

و - توقيت حركة المستشرقين الفرنسيين وتغلغلهم في البلاد الإسلامية بما عهد لمقدمات الغزو الفرنسي لهذه البلدان، وتحكيم السياسة الفرنسية فيها. ومن الأرقام الكاشفة عن هذه الحقيقة أن عدداً كبيراً من مترجمي نابليون كانوا تلاميذ «سلفستر دوساسي» الذي كان - بدءاً من حزيران عام ١٧٩٦م - المدرس الأول والأوحد للعربية في المدرسة الأهلية للغات الشرقية. وأصبح ساسي فيما بعد تقريباً معلماً لكل مستشرق بارز في أوروبا، حيث سيطر تلاميذه على هذا الحقل ما يقارب ثلاثة أرباع القرن. وكان كثيرون منهم نافعين سياسياً، بالطرق التي كان بها عدد آخر نافعاً لنابليون في مصر (١).

بل إن دور المستشرقين أخذ مدى أكبر من ذلك عندما أصبح التناقض الاستكباري يدفع بالمستكبرين إلى ادخال دول الشرق بمنظورهم الاستعماري في مجال الاستشراق فقد «كان قدر كبير من الحمى التوسعية في فرنسا خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وليد رغبة صريحة للتعويض عن النصر البروسي في ١٨٧٠م - ١٨٧١م، وإلى حدٍ لا يقل أهمية وليد رغبة لمضاهاة الانجازات الامبريالية البريطانية ولقد كانت الرغبة الأخيرة من القوة، كما كانت نابعة من تراث طويل من المنافسة الانكلو - فرنسية في الشرق، بحيث أن فرنسا بدت حريفاً مشبوحة ببريطانيا، حريصة في كل ما يتعلق بالشرق على اللحاق بالبريطانيين ومحاكاتهم. وحين صاغت الجمعية للهند الصينية في أواخر عام ١٨٧٠م أهدافها وجدت مهماً أن «تدخل الهند الصينية في مجال الاستشراق» لماذا؟ من أجل أن تحيل صين كوشين إلى «هند فرنسية»!

وقد عزا العسكريون إلى عدم وجود ممتلكات استعمارية كبيرة لفرنسا،



ذلك المزيج من الضعف العسكري والتجاري أثناء الحرب ضد بروسيا، كي لا تقول شيئاً عن الشعور العريق والصريح بالنقص، استعمارياً، بالمقارنة مع بريطانيا. وقد طرح جغرافي بارز هو «لارونسيير لو نوري» منظومة تقول: إن قوة توسع العروق الأوروبية وأسبابه وعناصره وتأثيراته على المصائر البشرية تشكل مادة دراسة جميلة للمؤرخين في المستقبل»<sup>(١)</sup>. ولهذا تجد أن «أكثر الإرساليات مساهمة في تحقيق انتداب فرنسا على سوريا ولبنان هي الإرساليات الفرنسية». «لأن من بين الاثني عشر ألفاً من طلابهم، كما يقول الأب لوروا، سبعة كانوا وزراء أو سكرتيري دولة في مصر.. وان مدراء الخدمات الرسمية في لبنان وسوريا وفي دولة العلويين آنذاك كانوا جميعاً من طلاب العازارين»<sup>(٢)</sup>. كما «لم تحمل البعثات الفرنسية والتبشيرية التي توافدت إلى سوريا ولبنان مشاريع مستقلة عن السياسة الفرنسية فيها، إنما اقتصر أمر التمايز والاختلاف على المرحلة الأولى من عمل اليسوعيين التي احتلت موقع الصدارة بين البعثات جميعاً»<sup>(٣)</sup>. والطريف المثير ذكره هنا أنه «في الحرب العالمية الأولى ترك المبشرون عملهم التبشيري وجعلوا يطوفون في المناطق ويجمعون المتطوعين لجيوش دولهم»<sup>(٤)</sup>.

ز - استعانة المستشرقين الفرنسيين، ضمن برامج المؤسسات السياسية الفرنسية، بالأقليات النصرانية واليهودية وامثالها القاطنة في البلدان الإسلامية، كمصدر للمعلومات الميدانية والرؤى المباشرة للواقع، وكسند سياسي واقتصادي

(١) Agnes Murphy, The Ideology Of French Imperialism 1817 - 1881 (Washington : Catholic University Of America Press, 1948) PP. 46, 54, 36, 45.

(٢) Revue D'histoire Des Missions. P. 522.

(٣) الدكتور عتمريسي، طلال - البعثات اليسوعية : ١٦١.

(٤) الدكتور خالد، مصطفى والدكتور فروغ، عمر - التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ٢٤٤.



بل وعسكري للاستعمار الفرنسي. ويميط اللثام عن هذا الأمر ما أشار إليه كتاب السياسة الدولية في الشرق العربي حيث جاء فيه: «كانت بلاد الشام محطة نموذجية لنشاط البعثات واطماع الدول الاوربية وتنافسها»<sup>(١)</sup> ولانتشار المدارس التي رافقت عمل المبشرين، بحيث تحولت الخصوصيات الاجتماعية والطائفية الى صراعات وولاءات ثقافية وسياسية تحتضنها الارساليات ويدعمها القناصل والتجار. وتحول الهدف الأساسي لتعليم المرسلين، بعد أن تداخل مع السياسة والتجارة، إلى اعداد «لعقول» تتلاءم مع الأوضاع الجديدة، و«نخب» ستترفع على رأس كيانات التجزئة التي فرضت قسراً.

وكان لجبل لبنان، قبل أن تلحق به اقضية ومناطق في سوريا، ويتحول إلى «دولة لبنان الكبير» عام ١٩٢٠م، وبعد ذلك أيضاً، حصة وفيرة من نشاط البعثات وأهدافها. لا بل نقطة جذب قوية لها بسبب كاثوليكيته من جهة، والحضور الفرنسي السياسي والعسكري والاقتصادي من جهة أخرى. وهي عوامل أدت إلى إلحاق سكان الجبل المسيحيين بفرنسا على جميع المستويات<sup>(٢)</sup>. وفي اجواء هذه التحولات الاقتصادية السياسية والتدخل في شؤون الطوائف المحلية انتشرت بعثات التبشير والتعليم اليسوعية لتجعل لتلك التحولات ولذلك التدخل أسساً فكرية «وجذوراً تاريخية»، «فتحت نفوس الأهالي على الأفكار الفرنسية، وعلى العواطف الفرنسية، واصبحوا فرنسيين نوعاً ما... هذه السياسة تؤدي إلى فتح بلد بواسطة اللغة»<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع اسماعيل عادل - السياسة الدولية في الشرق العربي ١: ١١٣ - ١١٦.

(٢) الدكتور عتريسي - البعثات اليسوعية: ٢٧.

(٣) Paul Huvelin - Congrès Français Syria - Fascicule 111. Chambre De Commerce Marseille 1919 - P.7.8.

وهكذا حتى أصبح الموارنة، مثلاً، في منتصف القرن التاسع عشر مركزاً لتلقي التأثيرات الثقافية والاقتصادية والسياسية الفرنسية. خاصة وان فرنسا أصبحت صاحبة «الحق» في «حماية مسيحي الشرق» فتدخل آنذاك هذا الموقع المتقدم لفرنسا، قياساً إلى الدول الأوروبية الأخرى، مع علاقاتها التاريخية مع الموارنة التي يعرب كل طرف عن شدة تمسكه بها وفقاً للظروف السياسية والدولية<sup>(١)</sup>. وتختلف الروايات التاريخية في تحديد هذه العلاقة، ما بين الدعم العسكري المتبادل أو الحماية المعنوية فيقول بوديكور مثلاً: «عندما انطلق ملكنا سان لويس في حربه الصليبية، توقف في قبرص حيث لاقاه دعم ٣٥ ألف ماروني خاض معهم معركة مصر...»<sup>(٢)</sup>، «كما أرسل اليهم بونابرت مبعوثه قائلاً لهم: «اعترف أن الموارنة فرنسيين منذ الأزل»<sup>(٣)</sup>. ووجه ملك فرنسا إلى أمير الموارنة الرسالة التالية: «... نحن مقتنعين بأن هذه الامة التي تنتسب إلى القديس مارون هي جزء من الامة الفرنسية»<sup>(٤)</sup>. كما كتب وزير البحرية الفرنسية عام ١٧٥٠م إلى القناصل الفرنسيين في الدولة العثمانية: «إن الرهبان الموارنة الذين يؤلفون رهبنة مارانطونيوس في جبل لبنان قد شملهم الملك بحمايته الخاصة في كل وقت، وقد توسطوا إلى جلالته أن يجدد تلك الحماية ويثبتها لهم، فتنازل جلالته واستجاب طلبهم وأوصاني أن أكتب إليكم أن تعاملوهم كما تعاملون المرسلين الفرنسيين الموجودين في الشرق من قبل جلالته...»<sup>(٥)</sup>.

(١) الدكتور عتريسي، طلال - البعثات اليسوعية: ٤٩.

(٢) Baudicour. Louis De: Le France en syrie - Paris 1860 - P.6.

(٣) Rochementeix C.P.J: Leban Et l' ex Pédition Française En Syrie 1860 - 1861

Documents Inédits Du Général A. Ducroix Paris 1921 - P.79.

(٤) المصدر السابق، عتريسي: ٧٠.

(٥) الخورس بطرس غالي - «فرنسا صديقة وحامية»: ٣٢٦ - ٣٢٧. ذكره الكوثراني: ٤٤.

وتزداد هذه الحقيقة وضوحاً إذا عرفنا «إن فرنسا تعتبر نفسها مسؤولة عن حماية مسيحي المشرق أمام الباب العالي، وإن هذه المسؤولية تشكل دعماً أساسياً لقوتها في المشرق، ولا يمكن لرجال الدين الذين ترسلهم روما أن يتجاوزوا هذه الحماية القانونية والعملية»<sup>(١)</sup>.

ولم يقتصر الأمر على الطوائف المسيحية، بل استخدم اليهود في المشرق كرتل خامس ورجال المعلومات الخاصة. فمثلاً «عندما قامت الثورة الفرنسية التي لعبت اليهودية الفرنسية فيها دوراً خطيراً، قامت اليهودية العالمية بخدمات جليلة لحساب نابليون بونابرت، حيث تحول اليهود في أوروبا وفي المشرق العربي إلى طابور خامس يعمل لحساب جيوش بونابرت، وتقديراً لتلك الخدمات التي تبلغ مرتبة الحياة العظمى لشعوب دول روسيا القيصرية، أعلن نابليون هيئة السنهاريون، وكون فرقة من اليهود لاعادتهم إلى فلسطين، إلا أن المشروع لم يتحقق لظروف لم تكن مواتية»<sup>(٢)</sup>.

ح - توصية المستشرقين الفرنسيين لحكوماتهم المتعاقبة على اعتماد أسلوب التجزئة للبلاد الاسلامية، وتدمير البنى الأساسية لها ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً، وتركهم ضعفاء لا يملكون القدرة على مواجهة تيار العلمانية الفرنسية الجديد. ولعل من ابرز من كان لهم الدور الاساسي في تنظيم هذه التوصيات هو ماسنيون احد اكبر أئمة المدرسة الاستشراقية الفرنسية خصوصاً عندما اصبح مستشاراً لوزارة المستعمرات الفرنسية، وتدلنا الوثائق العديدة التي نشرت وما زالت تنشر أن فرنسا، قبل وبعد دخولها إلى الشام، قد قامت من خلال الاستعانة بالمستشرقين وتوصياتهم بعدة دراسات عن الوضع الاجتماعي والطائفي

(١) شقالييه دومينيك، مجتمع جبل لبنان: ٢٦١.

(٢) السعديين، مصطفى - اخوان على الصهيونية: ١٠.



والاقتصادي.. وانها قد صممت سياسة فرنسية خاصة بها تقوم على تصورات دقيقة ومتعددة، منها ما يخص تصميم البنية السياسية، وبناء الدولة وإقامة الأنظمة الطائفية، أو تسليط طبقة معينة من النصاري على المؤسسات السياسية والثقافية والاقتصادية الحساسة.. وهذه كلها تهدف إلى نقطة جوهرية وأساسية هي ضمان إبعاد الاسلام عن مسرح الحياة والنشاط السياسي والثقافي، وخلق أنظمة علمانية وإعداد الكوادر والقيادات السياسية المواكبة لها<sup>(١)</sup>. كما جاء أيضاً في تقرير «دييوسك» إلى وزارة الخارجية الفرنسية: «لقد تسنى لي في القاهرة وبغروت ودمشق أن أطلع على الآراء الحميمة التي باح لي بها بعض المسلمين الذين يحتلون مراكز مرموقة، فلقد صرح لي هؤلاء ببساطة أن الوفاق مع المسيحيين يبدو في نظرهم ضرورياً، لأن المسيحيين هم اذكى منهم، وخصوصاً أكثر ثقافة منهم، وبالتالي فهم اجدر في اظهار مطالباتهم الخاصة، ومن جهتهم فلقد صرح لي مسيحيون أعضاء في المجالس - يقصد مجالس اللجان العربية - بأنهم لا يرتجون عن طريق انضمامهم إلى صفوف المسلمين سوى تدخل فرنسا، وفضلاً عن ذلك فانهم - أي المسيحيين - خلافاً لما يعتقد المسلمون، يرون أنه ليس بإمكان سورية أن تحكم نفسها بنفسها، إلا انهم يتجنبون مواجهة المسلمين بذلك»<sup>(٢)</sup>.

وبنفس الاتجاه يوصي القس سيمون حكومته الفرنسية قائلاً: «إن الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب السمر وتساعدهم على التخلص من السيطرة الاوربية».. ولذا «قالوا يجب أن تحوّل بالتبشير مجاري التفكير في الوحدة الاسلامية»<sup>(٣)</sup>.

(١) المؤلف - السياسة الفرنسية في الشرق الاوسط: ١١٠.

(٢) الكونتراتي، وحيد - بلاد الشام: ٣١٦.

(٣) الدكتور خالدي، مصطفى والدكتور فروخ، عمر - التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ٣٧.



وعلى ضوء ذلك فقد قام الاستعمار الفرنسي بإنشاء كيانات مجزأة سياسياً واقتصادياً وسكانياً وفقاً للنماذج والأشكال القومية الغربية والعلمانية، وبذلك يتمكن الاستعمار الفرنسي وشركاؤه أن يطمئنوا إلى أن البلاد الإسلامية أصبحت لا تشكل خطراً على نفوذهم ومصالحهم حاضراً ولا مستقبلاً، فالمسلم في «تشاد» هو «تسادى» لا علاقة له بما يجري في «المغرب» أو «تونس» لأن الآخرين «مغاربة» أو «تونسيون»... وهكذا الامر في كافة انحاء العالم الاسلامي (١).

ط - اعتماد أسلوب تربية وإعداد قادة ومفكرين للعالم الاسلامي على النهج العلماني من خلال الجامعات الفرنسية التي يشرف عليها كبار رجال الاستشراق الفرنسي المتميزين بقدرتهم على الدس في الاسلام وتشويه صورة مجتمعاته الاسلامية. وكان على رأس اساتذة ومنظري هذه الاطروحة هو المشرف الروحي للكنائس المسيحية البروتستانتية الفرنسية لما وراء البحار والمستشرق الشهير ماسنيون، الذي تعهد مجموعة من انبغ رجال الشرق - كما يصفهم - حتى قال بشأن احدهم وهو «ميشيل عفلق» مؤسس حزب البعث العربي الاشتراكي الذي ظل يلعب دوراً أساسياً في قيادة بعض الانظمة العلمانية في الشرق الاوسط طيلة الفترة بعد الحرب العالمية الثانية: «إنه أنبغ وأعز تلميذ في حياتي» (٢). ويتحدث الباحث الفرنسي دانيال لوغاك في كتابه «باسم فلسطين» عن دور فرنسا أيام الاحتلال في تنمية ورعاية حزب البعث فيقول: «إن ميشيل عفلق، وبدرجة أقل من صلاح الدين البيطار» «الابوين المؤسسين للبعث» بدينان جزئياً لفرنسا بتأليف الحزب الاكثر تماسكاً والأكثر تأثيراً في العالم العربي

(١) للمؤلف - السياسة الفرنسية في الشرق الاوسط: ٧٥.

(٢) بلوط، علي - دمشق، اعدام البعث / مجلة الدستور اللبنانية.

بأسره»<sup>(١)</sup>.

وكان لابد من التمهيد لهذا الامر عن طريق تشويه صورة الاسلام في كتب وبرامج التعليم المعتمدة في المدارس والجامعات المؤسسة بهدف صياغة وإعداد الكوادر والقادة السياسيين على الطريقة العلمانية الفرنسية، فقد جاء في كتاب «البحث عن الدين الحقيقي»، الذي صدر عن مؤسسات التعليم الفرنسي في باريس وعاش هذا الكتاب في المدارس النصرانية في الشرق والغرب حتى اليوم: «إن الاسلام عدو للمسيحية وإنه أسس بقوة السيف، وقام على أشد انواع انتعصب... ويؤكد هذا الكتاب - أيضاً - أن الرسول ﷺ قد سمح لاتباعه بالفجور والسلب»<sup>(٢)</sup>.

وقد حملت مؤسسات اليسوعيين على تنوعها، أهدافاً متكاملة فيما بينها، من نشر الثقافة الفرنسية، وسيطرة لغتها وافكارها، إلى اعداد «النخبة الفائدة» التي تمثل الهدف الرئيسي بينها، «لأن اعداد النخبة المسيحية.. يسمح لهذه الجماعة التي أثقل كاهله النير الاسلامي، أن تتحضر شيئاً قشياً. وقد أعد المرسلون لساعة الحرية، طبقة وسطى قادرة على انتزاع الفائدة، ونخبة ذكية، مثقفة ومؤهلة لقيادة الامم المحررة.. انه لو اوجب على المرسلين ان يطوروا النخبة الأهلية ويضاعفوها، وذلك بانتظار اليوم الذي سترك فيه سوريا ولبنان، لكن هناك شيء يجب الانتباه والاشارة إليه، ذلك إن النخبة لا تبقى كذلك إلا إذا سيطرت، وإذا أردنا توسيع هذه النخبة، فيجب ألا نخفض مستواها بأن نفتح المجال أمام الجميع لتولي المراكز والمسؤوليات، وذلك تفادياً للاخلال بالتوازن والانسجام الاجتماعي في

(١) دانيال لونغاك - باسم فلسطين / اصدار البعث العربي الاشتراكي - سلسلة الدراسات السياسية: ٦٤.

(٢) الدكتور خالددي، مصطفى والدكتور فروغ، عمر - التشهير والاستعمار في البلاد العربية: ٧٢.

البلد»<sup>(١)</sup>. ويرى بعضهم أن «المدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي أكثر من كل قوة أخرى، ثم إن هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً ما قادة في أوطانهم»<sup>(٢)</sup>، ويؤكد آخرون على أنه «كان للمبشرين غاية من التعليم العالي، هي أن يؤثروا في قادة الرأي في البلاد، وفي الجيل الناشئ في الشرق الأدنى خاصة، ذلك التأثير الذي لا يمكن أن يتحقق إذا لم يكن ثمة تعليم عال»<sup>(٣)</sup>. وعلى هذا الأساس أوجد المبشرون البروتستانت كلية في بيروت عام ١٨٦٢م وجعلوا على رأسها المحترم «دانيال بلس». هذه الكلية أصبحت فيما بعد: الكلية السورية الانجيلية ثم هي اليوم الجامعة الاميركية في بيروت.

ومن رأي المبشرين أن تؤسس الكليات في المراكز الاسلامية، ولذلك لم يكتفوا ببيروت بل أرادوا ان تكون ثمة كلية في القاهرة نفسها إلى جانب الأزهر. ولم يكن رأي المبشرين الفرنسيين مخالفاً لذلك فأنشأوا كلية لهم في مدينة لاهور، وهي مدينة من المدن الاسلامية الكبرى<sup>(٤)</sup>.

ي - انتهاج طريقة احياء الفكر القومي والطائفي، والدعوة إلى تنظيم الحركات القومية العلمانية والطائفية على أساسه، لتكون الأساس في حركة المجتمع الاسلامي السياسية. ولا تنفرد المدرسة الاستشراقية الفرنسية بهذه الميزة نظرياً بل أنها تمثل رؤية عامة لدى كافة المدارس الاستشراقية. فهذا المبشر الشهير «صموئيل زويمر» أحد كبار المستشرقين يقول: «إن أول ما يجب عمله للقضاء

(١) Revue D'histoire Des Missions P.334. 335.

(٢) Milligan 124 - 5.

(٣) Milligan 164.

(٤) الدكتور خالدي، مصطفى والدكتور فروخ، عمر - التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ٧٩.

على الإسلام إيجاد القوميات»<sup>(١)</sup>، وعلى ضوء ذلك «ولدت فكرة القومية اللبنانية المسيحية. هذه الفكرة التي شجعها الأوساط السياسية الدينية الفرنسية، ميّزت تلك الفترة من تاريخ لبنان»<sup>(٢)</sup>، ولا بدّ لأجل تحقيق هذا الهدف الكبير من توفير المستلزمات الأساسية لذلك خصوصاً على أرض الشرق وفي وسط مجتمعاته، فعمدوا إلى إنشاء المدارس والجامعات التي تقوم أساساً على التنظير للفكر القومي والطائفي، وتتعهد طلابها بالاعداد والتربية وفق منهج ذلك الفكر واساليب التعليم الغربية المتبعة في أوروبا، ومن أبرز أمثلة ذلك هو «قيامهم في عام ١٨٦٥م بإنشاء الكلية السورية الانجيلية الجامعة الأميركية حالياً في بيروت والتي وصفت جريدة «الديار» - في عددها المرقم ١٩١١ الصادر في ١٠ تموز ١٩٤٩م - طلابها بأنهم أرسل القومية العربية إلى انحاء الشرق العربي»<sup>(٣)</sup>.

وكان أول ثمرة لهذا التخطيط المدروس «عصبة العمل القومي» وهي أول منظمة قومية ولدت في ظروف التصارع بين أطراف الاستكبار العالمي حينذاك، وخصوصاً بين الفرنسيين والانجليز.. وكانت فرنسا قد ثبتت نفوذها في لبنان وسوريا وأوجدت لها قواعد فكرية وسياسية، وامتلكت العديد من المؤسسات الثقافية كالجامعات والمدارس ونحوها، التي أصبحت فيما بعد بمثابة مراكز لتخريج كوادر سياسية وفكرية مدربة لصالح فرنسا<sup>(٤)</sup>.

ك - إنشاء الكليات والمعاهد العلمية والثقافية في البلاد الاسلامية تحت اشراف وإدارة المستشرقين الفرنسيين واعتمادها وسيلةً لنشر الفكر العلماني

(١) مجلة رسالة الجهاد - ليبيا: العدد ١٤.

(٢) الصليبي، كمال - تاريخ لبنان الحديث: ١٥٢.

(٣) مجلة رسالة الجهاد - ليبيا: العدد ١٤.

(٤) للمؤلف - السياسة الفرنسية في الشرق الاوسط: ١١٥.



المعادي للاسلام. وباستقراء لنماذج مختارة من المشاريع التعليمية لفرنسا في الشرق يظهر بوضوح الهدف التخريبي المعادي للاسلام من إنشائها، منها إنشاء اول بعثة يسوعية في سوريا عام ١٦٢٦م وهي التي كانت تدار من قبل المشرف العام في «فرنسا - ليون»، والتي نقلت إلى بيروت سنة ١٨٧٥م، فانها بعد ذلك تحولت إلى ما يسمى بـ «جامعة القديس يوسف»، وفي عام ١٨٨١م، اعترف البابا «ليون الثالث عشر» بالصفة الجامعية لهذه المؤسسة، الذي أنشأ بأمر كنسي «كلية الفلسفة والعلوم الدينية للدراسات الشرقية» أي الاستشراقية<sup>(١)</sup>. وقد توسعت هذه المؤسسات التعليمية بعد ذلك توسعاً كبيراً في لبنان وسوريا وشمال افريقيا، وشكلت عنصراً أساسياً في الكيان الاستكباري الفرنسي لما مثلته من أهداف كبرى له، فقد «كان لابد من انشاء طبقة حاكمة لهذا الشعب المسيحي المستعبد والمنهك من قبل المشركين، كان لابد من تشكيل طبقة وسطى. يضاف إلى ذلك إن يحمل هذا الجزء من الشرق الأدنى كان يحكم الواقع ومن خلال علاقاته الطبيعية قد انجر وراء حضارة الغرب المادية، وبدل الوقوف ضد تيار لا يقاوم فضل السير معه. والاكثر من ذلك هو أن اليسوعيين في سوريا كانوا يسعون إلى تصدير هذا التيار لكي يتسنى لهم قيادته»<sup>(٢)</sup>. وحينما فرض الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان عام ١٩١٩م فرض معه منهاج التعليم الرسمي الذي كان يساعد المبشرين في اعمالهم<sup>(٣)</sup>، «وكانت مدارس الارشاليات الكاثوليكية تحبب فرنسا الى التلاميذ النصاري»<sup>(٤)</sup>.

(١) مجلة المنتقى / العدد الاول - ابريل ١٩٨٣م: ٦٩.

(٢) شارلوس - تقرير عن البعثات اليسوعية - باريس ١٩٢٩م / عن مجلة المنتقى / العدد الاول: ٦٩.

(٣) Les Jesuites En Syrie 10: 65.

(٤) Ibid, 2: 8.

يقول ساطع الحصري وزير التربية السوري في عهد فيصل: «إن النظم العديدة التي وضعت في سوريا، في عهد الانتداب الفرنسي، إنما كانت تنفيذاً لسياسة مرسومة بوضوح واتقان، ونستطيع أن نقول إن غاية هذه السياسة كانت تأمين سيطرة الثقافة الفرنسية والنظم الفرنسية على معارف البلاد سيطرة مطلقة من غير التفات إلى ما تتطلبه أصول التربية السليمة والعلم الصحيح. إنها كانت «تعطي للغة الفرنسية وللشهادات الفرنسية امتيازات مهمة، وتحيز للمعاهد التعليمية الفرنسية تحيزاً مفرطاً، يجعلها أحياناً ليست صاحبة امتياز فحسب، بل صاحبة انحصار واحتكار أيضاً»<sup>(١)</sup>.

ومن تلك النماذج أيضاً إنشاء كلية الطب في سوريا والتي عبر عنها السفير الفرنسي في القسطنطينية بالاشادة بـ «غامبيتا» والكاردينال «لافيجري» صاحبي فكرة الكلية | كلية الطب | اللذين أرادا إيجاد مدرسة فرنسية في سوريا يؤتمها شبان البلد من أجل العلوم الطبية، والتعمق في دراسة لغتنا، كي يتشربوا فيها بعد في أنحاء الشرق كافة كأصدقاء لنفوذنا وحضارتنا<sup>(٢)</sup>.

وفي عام ١٨٨٩م ألحق بكلية الطب كلية الصيدلة. ومنذ ذلك الحين ألغى التمييز بين الدبلوم الفرنسي وبين الدبلوم المعطى في بيروت. كما ألحقت كلية الطب في بيروت بكلية الطب في ليون وأُتبعَت مالياً للمساعدات الحكومية. وهكذا عدت مع كلية الصيدلة «أرضاً رائعة للتوسع الفرنسي، تخرج منها حوالي ٥٣٥ طبيباً، يحملون الدبلوم الفرنسي، ويبشرون بنفوذنا، وبفعالية طرائقنا العلمية لا في

(١) تقارير عن أحوال المعارف في سورية / عن الدكتور الخالدي مصطفى والدكتور مروج، عمر - التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ٨٦.

(٢) أرتيف وزارة الخارجية الفرنسية - رسالة من سفير فرنسا في القسطنطينية إلى وزير الشؤون الخارجية في أكتوبر (ت. ١) ١٨٩٨م / عن الدكتور عتريسي، طلال - البعثات اليسوعية: ١٢٠.

سوريا فقط، بل في الامبراطورية العثمانية بأسرها، وحتى في فارس ومصر...»<sup>(١)</sup>.  
ويؤكد الهدف غير العلمي لمثل هذه المعاهد والكلليات تحديد أحد المسؤولين الفرنسيين لأهداف كلية الطب اليسوعية في بيروت قائلاً: «إن غاية المؤسسين [غامبيتا والكاردينال لافيغري] الأولى، أن يجعلوا من هذه الكلية فكرة سياسية ومؤسسة دعائية...»<sup>(٢)</sup>.

والذي يؤكد هذه السياسة الفرنسية الوثائق الدامغة المتمثلة في مراسلات القناصل السياسية الفرنسية، نشير إلى نماذج منها:

١ - وثيقة رقم (١):

تركيا - بيروت مجلد رقم (٢) ١٨٤٠ - ١٨٤١ م.

بيروت ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٤١ م.

من ج. بریتون إلى الوزير غيزو سكرتير الدولة في وزارة الشؤون

الخارجية.

.. كنت قد قدمت في شهر أيار عام ١٨٤٠ م إلى حضرة وزير الشؤون الخارجية، بعض الملاحظات حول انشاء كلية في سوريا. وكانت الموافقة قد تمت على تصميم المشروع في روما في بداية ١٨٣٩ م ... هذه المؤسسة ستؤثر بشكل ايجابي جداً على مصالح فرنسا راهناً ومستقبلاً، لأنها ستلبي حاجة ملحة لدى المسيحيين، وستنشر بينهم، تحت الاشراف الفرنسي، المعارف الأخلاقية، والعلمية، والصناعية... إن مسيحيي لبنان وسوريا يأملونها ويتمنون افتتاح كلية آسيوية لانهم يشعرون بأنها ستكون نواة انبعاثهم الاجتماعي... حين ننشر في هذا البلد بواسطة اللغة الفرنسية، التعليم، والاخلاق، والفنون المفيدة، والزراعة، فإننا

(١) R. Ristelhueber ^ Traditions Francaises Au Liban Paris 1918 P. 279.

(٢) الدكتور عتريسي، طلال - البعثات اليسوعية: ١٢.

سنسيطر على الشعب، وسيكون لفرنسا هنا في كل وقت جيش متفان.

٢ - وثيقة رقم (١٤): مراسلات القناصل السياسية تركيا - بيروت - مجلد

رقم (٢).

إن الامبراطورية العثمانية تتلاشى، لكن سوريا بموقعها الجغرافي بين آسيا الصغرى ومصر، تعتبر مركز هذه الامبراطورية. لا بل قلبها، كما تملك في الوقت نفسه امكانية لإعادة الحياة التي انحسرت عن اطراف هذا الجسم الكبير.

أما أمر ذلك فنوط بفرنسا، بأن تؤسس وسط الشعب السوري كلية كبيرة دينية، مدنية، وزراعية، يكون هدفها إدخال الحضارة الفرنسية إلى سوريا، وتعميم اللغة الفرنسية فيها، وتأمين هيمنة بلدنا على منطقة خصبة ومنتجة وفي خلال علاقاتنا المزدوجة، السياسية والتجارية مع هذا البلد، يمكن أن نحني أكثر العلاقات نفعا...

إن انشاء مؤسسة تكون في الوقت نفسه كلية دينية، ومزرعة نموذجية، ومدرسة للفنون والمهن، ليس خرافة، فقد وافق الأب القديس «غريغور السادس عشر» على تصميم المشروع وأمر بتنفيذه، والأساتذة حاضرون. إنهم رجال كرام من جمعية يسوع تطوعوا بملء إرادتهم لهذا العمل... هكذا نجعل من سوريا حليفاً أكثر أهمية من مستعمرة، لأنها ستكون منتجة لنا دون أي تضحية في المال والأنفس.

إذن يجب ألا تناقش مسألة إرسال اليسوعيين إلى سوريا، بل علينا أن نعمل لجعل وجودهم في هذا البلد مفيداً لمصالح فرنسا. على أي حال، يجب الاعتراف بأن اليسوعيين هم خير العاملين.

«دون توقيع ودون تاريخ ومن المحتمل أنها كتبت بين عامي ١٨٤٠ -



١٨٤٤ نسبة إلى وثائق أخرى»<sup>(١)</sup>.

٣- الوثيقة رقم (٩): سفارة فرنسا لدى الباب العالي.

الادارة السياسية رقم ٢١٧.

١٨ ت ١ (أكتوبر) ١٨٩٨ م، سعادة الوزير Delcassé وزير الشؤون

الخارجية في باريس.

حول كلية الطب في بيروت:

تعود فكرة تأسيس هذه الكلية إلى «غامبيثا» والكاردينال «لافيجري»،  
والهدف من الفكرة ايجاد كلية فرنسية كبيرة في سوريا يأتي اليها شبان هذا البلد  
ليتعلموا فيها العلوم الطبيّة، ويتمكنوا من دراسة لغتنا، كي ينتشروا في المشرق، فيما  
بعد، على غرار الكثير من اصدقاء نفوذنا وحضارتنا.

ان الغاية الأولى للمؤسسين ان يجعلوا من هذه الكلية فكرة سياسية

ومؤسسة دعائية.

«التوقيع غير واضح»

ل - تبني العمل الاستشراقي وتزويده بكل عوامل القدرة والحركة بهدف

أن تكون فرنسا كعبة للاستشراق ومدارسه، وجعل اللغة الفرنسية بديلاً أساسياً

عن اللغة العربية. ولهذا نجد ان العلاقة على مستوى التخطيط والتنظيم بين

الاستشراق والتبشير من جهة والتوجهات الاستعمارية الفرنسية من جهة أخرى،

علاقة موضوعية مترابطة، كعلاقة أجزاء الشيء الواحد ببعضها، وتنعكس هذه

العلاقة على الواقع العملي لتكشف بشكل اوضح، عند المتتبع الهادف، الترابط

الميداني بين هذا الثالوث المبرمج، بشكل لا يمكن فصل احدها عن الآخر، وإلا

(١) جميع الوثائق المشار اليها اعلاه عن الدكتور عتريسي، طلال - البعثات اليسوعية: ٩١.

اختلفت المعادلة وتختلف النتائج الحقيقية المستهدفة عن التحقق في الواقع، وهذا يفرض لنا كيف أن فرنسا تريد أن تصبح قبلة الاستشراق والتبشير العالمي لتضمن لنفسها حركة استعمارية واسعة وفاعلة في عمق الشرق وبأكبر مدى زمني ممكن. ويؤكد ذلك «أن الدراسات الشرقية التي شاعت مجدداً والتي بدت بالفعل وكأنها عصر نهضة، زودت الرومانتيكيين بكنوز من المعلومات. ومع ذلك فإن جذور الاستشراق العلمي ترجع إلى اهتمامات حركة التنوير. وكان كل شخص في أوروبا يرغب في التعرف بطريقة وافية على لغات الشرق الأدنى وحضاراته يتوجه إلى مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس التي أسستها حكومة المؤتمر الثوري (الكونتانسيون) في مارس ١٧٩٥م بإيعاز من لانغليز. وقد أصر هذا الأخير بصورة خاصة على عنصر الفائدة العملية، ولكنه أكد أيضاً ما يمكن أن تسهم به اللغات الشرقية في تقدم الأدب والعلم»<sup>(١)</sup>.

ومن المفارقات أن يكون الرائد الكبير في هذا المجال هو «سلفستر دو ساسي»، الذي أصبح استاذ جميع المستشرقين الأوروبيين، وأصبحت باريس الكعبة التي يؤمها جميع الذين يرغبون في التخصص بدراسة الشرق الأدنى<sup>(٢)</sup>. وبقي أسلوبه في العمل حتى يومنا هذا هو الأسلوب الذي يتبعه عدد كبير من المستشرقين<sup>(٣)</sup>.

وفي سعيهم الهادف إلى جعل اللغة الفرنسية بديلاً أساسياً عن اللغة العربية كتب المستعمرون الفرنسيون في أحد التقارير التي وضعت سنة ١٨٤٨م: «إن

(١) Fück, Op. Cit, p. 141.

(٢) Fück, Op. Cit, pp. 140-58; H. Dehérain, Silver De Sacy, Ses Contemporains Et Ses Successeurs (Paris, 1938).

(٣) شاخت وبوزورث - ترجمة الدكتور السهوري، محمد زهير - تراث الإسلام «القسم الأول» - عالم المعرفة: ٧٥.

الجزائر لن تصبح فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها. والعمل الجبار الذي يتحتم علينا انجازه هو السعي وراء جعل الفرنسية اللغة الدارجة بين الاهالي إلى أن تقوم مقام العربية، وهذا هو السبيل لاستمالتهم إلينا، وتمثلهم بنا، واندماجهم، وجعلهم فرنسيين»<sup>(١)</sup>.

م - الدعوة إلى بعث الحضارات القديمة وإحياء اللغة العامية مقابل اللغة العربية الفصحى. ولا يخفى أن الهدف من وراء هذا الأسلوب هو إعادة الشرقيين إلى أصولهم الجاهلية قبل الاسلام، وإبعادهم عن أصول ومصادر دينهم الحنيف. يقول المستشرق الشهير «جب»: «... وقد كان من أهم مظاهر فرجة العالم الاسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن، فمثل هذا الاهتمام موجود في تركيا وفي مصر وفي اندونيسيا وفي العراق وفي ايران، وقد تكون اهميته محصورة الآن في تقوية شعور العداء لاوروبا، ولكن من الممكن أن يلعب في المستقبل دوراً مهماً في تقوية الوطنية الشعوبية وتدعيم مقوماتها»<sup>(٢)</sup>.

وفي سبيل احياء اللغة العامية مقابل اللغة العربية الفصحى يقول المستشرقون وتلاميذهم بكل قوة: «إن لغة القرآن الفصحى إنما هي لا تساير حاجات العصر، فيجب أن تعم اللغة العامية حتى تصبح لغة الجرائد والمؤلفات»<sup>(٣)</sup>. وقد تكررت منهم هذه الدعوة بصورة شائعة جذابة كسبت تأييد المثقفين في مصر وأوقفتهم بجانبها، وقد عنيت حكومات الاحتلال وبعيدو النظر من الولاة والمستعمرين والمفكرين الغربيين بهذا الموضوع عناية فائقة، ونشطوا

(١) الدكتور عمارة، محمد - الامة العربية وقضية التوحيد: ٩٦ - ٩٧.

(٢) جب - وجهة الاسلام: ٣٤٢.

(٣) حسين، محمد محمد - الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر: الجزء الثاني.

في تحبيب هذه الفكرة وترويجها، وقد كان لهذه الدعوة دوي في مصر في فجر هذا القرن أفزع كثيراً من المحبين للإسلام والغياري على اللغة العربية<sup>(١)</sup>.

## اثر المدرسة الاستشراقية الفرنسية على الفكر الاستشراقي العام

خلال السنوات الأولى من القرن العشرين، كان بإمكان رجال مثل بلفور وكرومر أن يقولوا ما قالوه، وبالطريقة التي بها قالوه، لأن تراثنا من الاستشراق، أقدم من تراث القرن التاسع عشر، زودهم بمفردات وصور، وبلاغة، ومجازات ليقولوه بها. ومع ذلك فإن الاستشراق عزّز وعزّز بالمعرفة الأكيدة لكون أوروبا أو الغرب تسيطر، بمعنى الكلمة الحرفي، على الجزء الأعظم من سطح الأرض. ذلك أن مرحلة التقدم الضخم في مؤسسات الاستشراق وفي مضمونه تواكبت تماماً مع مرحلة التوسع الأوروبي الفريد. فمن ١٨١٥م إلى ١٩١٤م اتسع مجال السيطرة الأوروبية الاستعمارية المباشرة من حوالي ٣٥ ٪ من سطح الأرض إلى حوالي ٨٥ ٪ منه. وقد تأثرت بهذا التوسع جميع القارات، وبشكل خاص إفريقيا وآسيا. وكانت الامبراطوريتان العظيمتان الامبراطورية البريطانية والامبراطورية الفرنسية، اللتان كانتا حليقتين وشريكتين في بعض الأشياء، ومتنافستين ومتعاديتين في أشياء أخرى؛ وكانت ممتلكاتها المستعمرة ومجالات نفوذها الامبراطورية في الشرق، من شواطئ المتوسط الشرقية إلى الهند الصينية، والملايو، متلاصقة، وأحياناً كثيرة، متداخلة؛ وكثيراً ما دارت حولها الحروب،

(١) الندوي، السيد أبو الحسن علي الحسيني - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية: ١٨٦.



غير أن الشرق الادنى أو بلدان الشرق الادنى والعربي - حيث كان الاسلام قد حدّد الخصائص الثقافية والعرقية - كان المجال الذي واجه فيه البريطانيون والفرنسيون احدهما الآخر، و«الشرق» باكثر درجات الحدة والتوتر، و لالفة، والتعقيد. وطوال معظم القرن التاسع عشر، كما قال لورد - الزبري عام ١٨٨١م، كانت وجهة نظرهما المشتركة للشرق إشكالية بصورة معقدة: «حين يكون لديك... حليف وفي مصم على أن يتدخل في بلد أنت عميق الاهتمام به، فإن أمامك ثلاث سبل للتصرف: فقد تشجب، أو تحتكر، أو تشارك. أما الشجب فإنه كان سيؤدي إلى وضع الفرنسيين عبر طيقنا إلى الهند؛ والاحتكار كان سيعني الاقتراب جداً من المخاطرة بالحرب. وهكذا عقدنا العزم على المشاركة»<sup>(١)</sup>.

«وقد شاركوا فعلاً... إلا أن ما شاركوا به لم يكن ارضاً أو أرباحاً أو حكماً وحسب، بل كان القوة الفكرية التي ما فتئت اسميها الاستشراق. وبمعنى ما، كان الاستشراق مكتبة أو سجل حفظ (أرشيفاً) من المعلومات المشتركة، وفي بعض جوانبها، المملوكة بصورة جماعية، وكان ما يضم هذا الملف إلى بعضه بعضاً أسرة من الافكار، وطقماً من القيم الموحدة برهن بطرق مختلفة أنها فعالة»<sup>(٢)</sup>.

إن المبادرة والسبق الذي تميزت به المدرسة الاستشراقية الفرنسية وتبنيها لمنهج يتناول اساسيات العمل الاستشراقي جعل من باريس كعبة لجميع المستشرقين الاوربيين، الامر الذي أثر على مجمل المدارس الاستشراقية الأوربية في الطريقة والاسلوب، وفي المنهج والاهداف.. ويثبت هذه ما قاله كل من شاخت وبوزورث وهما يوردان اصول وآثار الاستشراق الفرنسي على عموم الاستشراق الاوربي: قائلين: «وكان كل شخص في اوربا يرغب في

(١) سعيد، ادوارد - الاستشراق: ٧٢.

(٢) المصدر السابق.

التعريف بطريقة واقية على لغات الشرق الأدنى وحضاراته يتوجه إلى مدرسة اللغات الشرقية المحيية في باريس، التي أسستها حكومة المؤتمر الشورية (الكوتفانسيون) في مارس ١٧٩٥م بإيعاز من لانغلير... ومن المفارقات ان يكون الرائد الكبير في هذا المجال هو (سلفستردو ساسي) الذي أصبح استاذ جميع المستشرقين الاوربيين، واصبحت باريس الكعبة التي يؤمها جميع الذين يرغبون في التخصص بدراسة الشرق الأدنى... وبقي أسلوبه في العمل حتى يومنا هذا هو الأسلوب نفسه الذي يتبعه عدد كبير من المستشرقين»<sup>(١)</sup>.

(١) شاخت وبوزورث - ترجمة الدكتور السحهوري، محمد زهير - تراث الاسلام «القسم الاول» - عالم المعرفة.



## الفصل الرابع

مِمَّا أَخْرَجَ مِنْ رَبِّهِ الْمَوَاضِعَ الَّتِي تَرَكْنَا  
عَلَيْهَا الْمَسْبُتَاتِ فَوْنٌ دَسَمَهُمْ فَتَشَوَّجَهُمْ

• الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

• إِحْكَازُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ  
• الْوَحْيُ الْقُرْآنِي  
• تَرْجُمَةُ الْقُرْآنِ لِللُّغَاتِ الْأُخْرَى

• سِيَرَةُ الرَّسُولِ (ص) وَأَهْلِ بَيْتِهِ (ع)





لما كانت اغلب دوافع الاستشراق - كما ذكرنا سابقاً - إما تبشيرية أو استعمارية، أو أنها مستوحاة منها وتصب في غاياتها، فإن أبرز الموضوعات التي سيتناولها المستشرقون ستكون موضوعات الدين الاسلامي الذي حل محل النصرانية في اغلب بلدان الشرق، ووقف في طريق امتدادها وامتداد دولها في تلك البلدان، بل انه ظل على مدى التاريخ المقارع والمنافس الرئيسي لها بين الشعوب، واستطاع ان يغزوها في عقر دارها، كما حصل في غرب اوربا مستولياً على اسبانيا إلى حدود فرنسا، وما حصل في شرق اوربا إلى حدود الصين، وكذلك في وسطها إلى حدود النمسا.

وبهذا الصدد قال أحدهم وهو المستشرق الالماني «بيكر»: «... ان هناك عداءً في النصرانية للاسلام بسبب ان الاسلام عندما انتشر في العصور الوسطى اقام سداً منيعاً في وجه انتشار النصرانية، ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانيها». ويقول آخر وهو «لورانس براون»: «ان الخطر الحقيقي كامن في نظامه [الاسلام] وفي قدرته على التوسع والاختضاع وفي حيويته. انه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الاوربي»<sup>(١)</sup>. ولا شك في أن اول اساس يقوم عليه الاسلام والثقل الاكبر فيه وفي ارتباط المسلمين به، عقيدة وديناً، هو القرآن الكريم، باعتباره كلام الله ووحيه لرسوله محمد ﷺ، وثاني هذه الاسس

---

(١) راجع: د. خالدى، مصطفى. ود. فروخ، عمر «التبشير والاستعمار في البلاد العربية». وراجع أيضاً:

جريدة البلاغ الكويتية، العدد ٥٨ ص ١٢.

وراجع أيضاً: مجلة البعث الاسلامي الهندية العدد ٩ السنة ٨.

والمقومات هي سيرة رسول الاسلام ﷺ واهل بيته الطاهرين عليهم السلام. وتمرور سريع على كتابات المستشرقين تتأكد دعوانا هذه، فنجد ان اكثر ما تناولوه بالدس والتشويه وركزوا شبهاتهم عليه في كتاباتهم هما هذان الاساسان، فلنر ماذا كتبوا عنهما؟ على اننا سنتناول اهم تفاصيل الدس والتشويه وبيان مغالطاتهم فيها، وكذلك الرد على اهم شبهاتهم المثارة حول هذين الاساسين في الفصل القادم.

## القرآن الكريم

من خلال استعراض كتابات جميع المستشرقين واعمالهم التي تناولوا فيها القرآن، نجدها مليئة بالشبهات وإثارات التشكيك والتشويه حول جوانب أساسية هي المقوم الرئيسي له بصفته كتاباً سماوياً كريماً - على اختلاف في درجات ومستويات التشكيك والشبهة والتشويه - ومن أبرزها هي:

### إعجاز القرآن الكريم

الهدف الاساسي من وراء التشكيك ونفي إعجاز القرآن الكريم، في أسلوبه البلاغي وإخباراته الغيبية وحقائقه العلمية واضح، وهو إسقاط الدليل الذي يثبت سماويته وخلوده بخلود جوانب إعجازه من جهة، وإسقاط دعوى نبوة محمد ﷺ وأرساله من قبل الله تعالى للعالمين من جهة أخرى، وبذلك يفقد القرآن الكريم والنبي ﷺ قدسيتهما لدى المسلمين، تلك القدسية القائمة على أساس أن القرآن الكريم كلام الله أوحاه لنبيه محمد ﷺ وعندها يصبح شأن القرآن لديهم شأن أي كتاب بشري يطاله التغيير والتعديل أو الإهمال، وما «محمد» إلا رجلٌ متميز بذكاءٍ وقدرةٍ اجتماعية استطاع من خلالها أن يهيمن على قومه ويقنعهم بأساليبه النفسية، انه نبيٌ ورسول لهم من الله بهذا القرآن. وفي مقدمة من اورد



الشبهات وأثار التشكيكات في هذا الجانب من المستشرقين هو المستشرق الانجليزي «دافيد صموئيل مرجليوث» الذي سبقت منا ترجمة مختصرة له، والذي ركز شبهاته على إثارة الشك برواية الشعر العربي الجاهلي، فلعل في الشعر الجاهلي الذي لم يرو ما هو أبلغ من القرآن.

وذلك لمنزلة الشعر الجاهلي باعتباره أمانة وعلامة على بلاغة القرآن وفصاحته. وهذا القول يطوي تحته تشكيكا في الاعجاز البلاغي للقرآن الكريم. وممن في المقدمة أيضاً المستشرقان «كارل فلرّس»<sup>(١)</sup>، و«پاول كراوس»<sup>(٢)</sup> اللذان يدعيان ان القرآن لم يكن معرباً، وان اللغويين هم الذين حذوه على مثال لغة الشعر العربي الذي يتميز بوجود الاعراب في مقابل اللهجة المكية التي كانت على زعمها غير معربة<sup>(٣)</sup>.

ويمكن تلخيص محاولتهم هنا بلحاظ وجهين رئيسيين<sup>(٤)</sup>:

**الوجه الاول:** محاولة ابراز النقص والخطأ في الاسلوب والمحتوى القرآني، من خلال ثلاث شبهات:

**الشبهة الاولى:** بما ان المرتكز الرئيسي للاعجاز القرآني هو الفصاحة والبلاغة القرآنية، ولما كنا نجد في القرآن الكريم بعض الآيات التي لا تنسجم مع

(١) مستشرق ألماني (١٨٥٧ - ١٩٠٩ م).

(٢) مستشرق ألماني من أصل تشيكوسلوفاكي (١٩٠٤ - ١٩٤٤ م).

(٣) الجندي، انور - مخططات الاستشراق - مجلة منار الاسلام - العدد ٧ - السنة ١٤.

(٤) في عرض الشبهات حول الاعجاز القرآني، تراجع المصادر التالية:

أ - الخوئي، أبو القاسم - البيان.

ب - البلاذري، محمد جواد - الهدى إلى دين المصطفى.

ج - الحكيم، محمد باقر - علوم القرآن.

د - ابن نبي، مالك - الظاهرة القرآنية.

قواعد وأسس الفصاحة والبلاغة والنطق التي وضعها العرب، بل أنها تخالفها، اذن يمكننا [والقول للمستشرقين] الادعاء بأن القرآن الكريم ليس معجزاً، لأنه لم يسر على نهج القواعد العربية واصولها.

الشبهة الثانية: بالمقارنة بين القرآن والكتب الدينية الاخرى كالتوراة والانجيل، نجد أنه يختلف عنها عندما يتحدث عن قصص الانبياء، في حوادث كثيرة ينسبها إلى الانبياء وامهم، وهذا يدعونا للشك في ان يكون مصدر القرآن هو الوحي الالهي، وذلك لان الكتب الدينية الاخرى هي من الوحي الالهي باعتراف القرآن، فكيف يناقض الوحي نفسه في الاخبار عن حوادث تاريخية واقعية؟ ثم ان هذه الكتب الدينية لازالت تتداولها امم هؤلاء الانبياء، وهم بطبيعة ارتباطهم الديني والاجتماعي بانبيائهم ادق اطلاعاً على احوالهم من القرآن الذي جاء في امة ومجتمع منفصلين عن تاريخ هؤلاء الانبياء.

الشبهة الثالثة: ان اسلوب القرآن في تناول الافكار والمفاهيم وعرضها لا ينسجم مع اساليب البلاغة العربية، ولا يسير على الطريقة العلمية في المنهج والعرض، وذلك لأنه يجعل المواضيع المتعددة متشابكة بعضها مع بعض، فهو حين يتحدث في التاريخ ينتقل إلى موضوع آخر من الوعد والوعيد والحكم والامثال والاحكام وغير ذلك من الجهات، فلا يجعل القارئ قادراً على الإلمام بالافكار القرآنية.

الوجه الثاني: محاولة اثبات ان القرآن الكريم ليس معجزة، لقدرة البشر على الاتيان بمثله، وتمثلت محاولاتهم بالشبهات التالية:

الشبهة الاولى: اننا لا نشك في ان يتمكن ذوو القدرة والمعرفة باللغة العربية من الاتيان بمثل بعض الكلمات القرآنية، فحين تتوفر هذه القدرة في بعض

الكلمات فمن المعقول أن تتوفر أيضاً في كلمات أخرى، وهذا ينتهي بنا إلى أن نحزم بوجود القدرة على الاتيان بسورة أو أكثر من القرآن الكريم لدى أمثال هؤلاء، لأن من يقدر على بعض القرآن يمكن أن نتصور فيه القدرة على الباقي بشكل معقول.

الشبهة الثانية: ان العرب الذين عاصروا الدعوة أو تأخروا عنها بزمان قليل لم يعارضوا القرآن الكريم، لا لعدم قدرتهم على ذلك، بل خوفاً على أنفسهم واموالهم من المعارضة بسبب سيطرة المسلمين الدينية على الحكم، ومحاربتهم كل من يعادي الاسلام أو يظهر الخلاف معه. وحين انتهت السلطة إلى الامويين الذين لم يكونوا مهتمين بالحفاظ على الاسلام والالتزام به، الامر الذي كان يفسح المجال لمن يريد أن يعارض القرآن الكريم أن يظهر معارضته - انصرف الناس عن التفكير بمعارضته لأنه اصبح من المرتكزات الموروثة لديهم، ولأن القرآن كان في ذلك الحين قد أصبح أمراً معروفاً ومألوفاً في حياة الامة، بأسلوبه وطريقة عرضه، بسبب رشاقة الفاظه ومتانة معانيه.

الشبهة الثالثة: ان المعجزة لا يكفي فيها ان تكون معجزة لجميع البشر عن الاتيان بمثلها، بل لابد ان تكون صالحة لان يتعرف جميع الناس على جوانب التحدي فيها، لانها الدليل الذي بواسطته تثبت النبوة. والقرآن ليس كذلك، لان اعجازه في الاسلوب البلاغي لا يكفي فيه عجز الناس عن الاتيان بمثله، بل لابد من معرفة جوانب التحدي والاعجاز فيه من بلاغته وسمو التعبير فيه، وهذه المعرفة لا تتوفر إلا للخاصة من الناس، الذين يمارسون الكلام العربي البليغ، ويعرفون دقائق تركيبه وميزاته.

## الوحي القرآني

أن موضوع الوحي مرتبط بشكل وثيق ببحث اعجاز القرآن، لأننا بإثباته ثبت أن القرآن ليس ظاهرة بشرية، فهو أذن ليس من صنع «محمد ﷺ»، وأن السر في كل ما فيه من جوانب تحدّ ناشئ من ارتباطه بعالم الغيب، وأية محاولة لنفي الوحي تعني فصل الرسول محمد ﷺ والقرآن الكريم عن عالم الغيب، فلو اثبتنا اعجاز القرآن لكان دليلاً حاسماً على ارتباطهما بالغيب. وقد انقسمت محاولات المستشرقين إلى قسمين: قسم منها حاول نفي الاعجاز لينفي بذلك دليل الوحي الكاشف عن الارتباط بالغيب، والقسم الثاني حاول إبراز شخصية الرسول محمد ﷺ على أنها شخصية ذات ملكات وقابليات نادرة، كان ما أبدعه من قرآن وحديث وسيرة علامة بارزة على عبقريته الفريدة، وبذلك طوّوا مسألة الاعجاز ليؤكدوا على أن القرآن ظاهرة بشرية من صنع محمد ﷺ، وما يترأى من أنه اعجاز ليس إلا نتاج عبقرى بهرّ الناس به. وبذلك تتكامل المحاولتان لضرب أساس الدين الاسلامي، وبالتالي انهيار عقيدة المسلمين، فيفتح الطريق امام اوربا النصرانية لتغزو الشرق الاسلامي فكرياً وحضارياً. وتدرجت محاولات المستشرقين في مسألة نفي الوحي القرآني فمنها ما كان بصيغة النفي المتعصب الذي لا يلبث أن يكشف عن خطئه العلمي، ومنها ما ارتقى إلى المحاولات المتقنة بأساليب التنظير العلمي والاستدلال البرهاني. ولناخذ نماذج من ذلك ثم نختم الموضوع بخلاصة جامعة لمقولاتهم.

فشلاً يقول المستشرق البريطاني «مونتغمري وات»: «إن زيارة محمد



لحراء، وهو جبل قريب من مكة، بصحبة عائلته أو بدونها ليست مستحيلة، ويمكن أن يكون ذلك للفرار من اتون المدينة خلال فصل الصيف للذين لا يستطيعون التوجه إلى الطائف»<sup>(١)</sup>. ويحاول المستشرق «كازانوف»<sup>(٢)</sup> في كتابه «محمد ونهاية العالم» أن يثبت أن القرآن قد اضيف إلى الرسول محمد ﷺ بعد وفاته، وأنه لم يكن وحياً من الله، وإنما دعت الحاجة في نظر أبي بكر وعمر إلى نسبته إلى الرسول ﷺ.

أما المستشرقون «بول ديك» و«نولدكه»<sup>(٣)</sup> و«بور»<sup>(٤)</sup> و«جونت» فقد ادعوا أن فواتح السور ليست من القرآن في شيء، واختلفوا في نسبتها، فالأول قال: إنها رموز لمجموعات الصحف، التي كانت عند المسلمين قبل أن يوجد المصحف العثماني. والثاني ادعى أن الحروف المقطعة في أوائل بعض السور ما هي إلا اختصارات لأسماء مالكي النسخ التي استخدمها زيد بن ثابت لجمع القرآن في مصحف واحد. أما الأخيران فزعا أنها اختصارات للأسماء القديمة لسور القرآن، وحاولا ترقيع هذه الاختصارات في أكثر من سورة واحدة. أما المستشرقان «أبراهام جيجر» و«رودي باريت» فقد ادعيا أن النبي محمد ﷺ قد استقى الكثير من تعاليم القرآن الكريم من كتب الأديان السابقة، فقال الأول منها: «أن النبي قرأ كتب اليهود المختلفة، من التوراة والمكتوبات والأنبياء، و«المشناو»

(١) وات، مونتغمري - «محمد في مكة» - ص ١٨.

(٢) كازانوف (١٨٦١ - ١٩٢٦ م) : مستشرق فرنسي ، استاذ أصول العربية في الجامعة المصرية ، ترجم «المخطط» للمقريزي، عن المنجد «الاعلام»، ص ٥٨٠.

(٣) نولدكه، ثيودور (١٨٣٦ - ١٩٣٠ م) من مشاهير المستشرقين الألمان، ولد في هامبورغ، اشتغل خصوصاً في اللغات السريانية والعربية والفارسية، له «تاريخ القرآن»، عن المنجد «الاعلام» ص ٧١٩.

(٤) بور، دي (١٨٦٦ - ١٩٤٢) مستشرق هولندي - استاذ الفلسفة في أمستردام له، «الفلسفة في الإسلام» و«الغزالي وابن رشد»، عن المنجد «الاعلام» ص ١٤٨.

و«الجمارا»<sup>(١)</sup> وهي من كتب التلمود و«المدراش»<sup>(٢)</sup> و«الترجوم» وضمن تعاليمها في القرآن الكريم». أما الثاني فقال: «إن النبي قد تأثر في قرآنه بتعاليم النصرانية والبوذية، وعلى الأخص دعوة التوحيد والايان بالبعث والنشور، فالاولى في نظره من خصائص اليهودية، والثانية من تعاليم النصرانية».

ولعل من اخبت اساليب اثاره الشبهة حول الوحي هو الاسلوب القائل بما سمي بالوحي النفسي، الذي حاول أن يضيف على النبي محمد ﷺ، صفات الصدق والامانة والاخلاص والذكاء، الامر الذي ادعى به ان يتخيل نفسه انه ممن يوحى إليهم. فان هذا الاسلوب يحاول ان يستر دوافعه المغرضه بمظاهر الانصاف والمحبة والاعجاب. وأبرز من فصل في هذه الشبهة هو المستشرق الانجليزي «جب»<sup>(٣)</sup>، وكذلك المستشرق «أميل درمنغام»<sup>(٤)</sup> على ضوء ما اجملة سابقه «مونتيه»<sup>(٥)</sup>. ومن خلال ما اثاره المستشرق «جب» والمقدمات العشر التي ساقها «درمنغام».

(١) «المشتاور» هو الجزء الاول من التلمود، «الجمارا» الجزء الثاني من التلمود، وهي لفظة ارامية الاصل تعني «التكملة» أو «التتمة»، ويعتبر شرحاً وملحقاً للجزء الاول من التلمود، وقد جمع خلال فترة طويلة امتدت من القرن الثالث إلى القرن الخامس للميلاد. عن البعلبكي، منير، موسوعة المورد المجلد الرابع ص ١٩٩.

(٢) «المدراش»: مجموعة التفاسير التقليدية للتوراة عند اليهود ويرجح الباحثون انها وضعت ما بين عام ١٠٠ ق.م وعام ٢٠٠ م. واللفظة عبرية الاصل، ومعناها «الشرح» أو «التفسير».

عن البعلبكي، منير «موسوعة المورد» المجلد السابع ص ٢٧.

(٣) جب (عبد)، هاملتون الكسندر Gibb Hamilton Alexander Russkeen (١٨٩٥-...)، مستشرق انجليزي، استاذ الدراسات العربية بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأميركية، طرح أفكاره في كتابه «المذهب المحمدي» عني بدراسة التراث الاسلامي وتعريف الغربيين به. من أشهر آثاره: «دراسات في حضارة الاسلام» عام (١٩٦٢م) وقد نقله إلى العربية الدكتورة إحسان عباس ومحمد يوسف نجم ومحمود زايد.

راجع: البعلبكي، منير، موسوعة المورد - المجلد ٤ ص ٢١٥.

(٤) راجع كتاب «حياة محمد».

(٥) مونتيه، ادوار (١٨٥٦ - ١٩٢٧م) مستشرق فرنسي ولد في ليون له «حاضر الاسلام ومستقبله». عن

المنجد «الاعلام» ص ٦٩٦.

ورتب عليها مقولة الوحي النفسي<sup>(١)</sup>، نستطيع ان نصوغ الشبهة بالخلاصة التالية: «ان محمداً عليه السلام قد ادرك بقوة عقله الذاتية وبما تشع به من نقاء وصفاء روحي ونفسي بطلان ما كان عليه قومه من عبادة الاصنام، كما ادرك ذلك أيضاً أفراد آخرون من قومه. وان فطرته الزكية - بالاضافة الى بعض الظروف الموضوعية كالفقر - حالت دون ان يمارس اساليب الظلم الاجتماعي من الاضطهاد، واكل المال بالباطل، أو الانغماس بالشهوات وارتكاب الفواحش، كالاستمتاع بالسكر والتسري وعزف القيان وغير ذلك من القبائح. وانه طال تفكيره من اجل انقاذهم من ذلك الشرك القبيح وتطهيرهم من تلك الفواحش والمنكرات.

وقد استفاد من النصارى الذين لقيهم في اسفاره أو في مكة نفسها كثيراً من المعلومات عن الانبياء والمرسلين، ممن بعثهم الله في بني إسرائيل وغيرهم، فأخرجوهم من الظلمات إلى النور، كما انه لم يقبل جميع المعلومات التي وصلت إليه من هؤلاء النصارى كألوهية المسيح وامه، وغير ذلك. وانه كان قد سمع أن الله سيبعث نبياً، مثل اولئك الانبياء، من عرب الحجاز بشراً بعيسى المسيح وغيره من الانبياء، وتولد في نفسه امل ورجاء في ان يكون هو ذلك النبي الذي آن أوانه. وأخذ يتوسل الى تحقيق هذا الامل بالانقطاع إلى عبادة الله تعالى في خلوته بغار حراء. وهنالك قوي ايمانه وسما وجدانه، فاتسع محيط تفكيره، وتضاعف نور بصيرته، فاهتدى عقله الكبير إلى الآيات والدلائل البيّنة في السماء والارض، على وحدانية الله سبحانه وتعالى خالق الكون ومدبر اموره. وبذلك اصبح اهلاً لهداية الناس واخراجهم من الظلمات إلى النور. ثم ما زال يفكر ويتأمل ويتقلب بين الآلام والآمال حتى تكوّن في نفسه يقين انه هو النبي المنتظر الذي يبعثه الله لهداية

(١) راجع رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي - الفصل الثالث من ٨٧ - ١١٠.



البشرية، وتجلّى له هذا الاعتقاد في الرؤى المنامية، ثم قوي حتى صار يتصور أن الملك يتمثل له ليلقنه الوحي في اليقظة. وأما المعلومات التي جاءته من هذا الوحي، فهي مستمدة في الأصل من تلك المعلومات التي حصل عليها من اليهود والنصارى، ومما هداه إليه عقله وتفكيره في التمييز بين ما يصح منها وما لا يصح، ولكنها كانت تتجلّى وكأنها وحي السماء، وخطاب الخالق عز وجل، يأتيه بها الناموس الأكبر، الذي كان ينزل على موسى بن عمران وعيسى بن مريم، وغيرهما من النبيين ﷺ».

ولم يكف هؤلاء المستشرقون بطرح شبهاتهم هذه عن القرآن الكريم سواء في مسألة الإعجاز أو مسألة الوحي، بل راحوا يدخلونها فقرات في المناهج والبرامج الدراسية لبعض الجامعات، وتبنّوا مجموعة من الطلبة المسلمين لاستئناف دراسات وأبحاث في هذين الموضوعين، إدراكاً منهم أن حساسية المسلمين تجاه ما يصدر عن غير المسلمين، خصوصاً ما يتعلق بمعتقداتهم ومقدساتهم، سيشكل عقبة رئيسية في التأثير والتسليم بما يدعيه هؤلاء المستشرقون، إضافة إلى أن استئناف دراسة وبحث مثل هذه المسائل ذات العلاقة الموضوعية الوثيقة بتراث الإسلام والمسلمين، وخصوصاً العرب ولغتهم العربية، سيثري الشبهات المطروحة من قبلهم، ويعمق مطالبها من الناحية العلمية، باعتبار أن هؤلاء المسلمين العرب هم أعرف بدقائق لغتهم ومعتقداتهم، وفعلاً نجحوا في ذلك واستطاعوا من خلال أمثال الدكتور طه حسين<sup>(١)</sup> الذي فصل كثيراً فيما ادعوه

(١) طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣م) أديب وناقد مصري. درس في الأزهر والجامعة الأهلية (المصرية القديمة)، نال الدكتوراه فيها. ثم درس في جامعة السوربون، وتسلّم مناصب عديدة، منها عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة، ثم وزيراً للمعارف أيام الحكم الملكي في مصر عام ١٩٥٠م، وعضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق، ورئيساً لمجمع اللغة بمصر. أسس جامعتي الإسكندرية التي تولى إدارتها عام ١٩٤٢م وجامعة عين شمس. له عشرات الكتب الأدبية والنقدية من أبرزها «في الأدب الجاهلي» =



بشأن الشعر العربي الجاهلي، وكذلك أمين الخولي<sup>(١)</sup> وتلميذه الدكتور «خلف الله»، أن يصلوا إلى ما ربههم، خصوصاً فيما تناولوه بشأن الاسلوب الفني للقصص والاعبار القرآنية، بدعوى أنها لا يلتزم فيها الصدق وتحري الواقع، وإنما يعطي فيها القاص لنفسه الحرية فيغير ويبدل ويزيد ويُنقص، وبهذا يحاولون أن يشككوا فيما جاء في القرآن من قصص الانبياء والرسل والامم، ويحاولون الادعاء بأن القرآن المعتمد على التمثيل والتشبيه لا ينظر إلى الواقع، وبذلك يفقد المسلمون ثقتهم بجانب اخباراته الغيبية كأحد ادلة إعجازه وكونه وحياً من الله لا يأتيه الباطل ولا يطرأ عليه التبديل.

## ترجمة القرآن للغات الأخرى

في هذا الجانب تبرز بشكل واضح النزعات العدائية للمستشرقين، ويتفاقم خطر الشذوذ الاستشراقي لديهم، إضافة إلى السبب الذي يعود إلى عدم إيمانهم بالنص القرآني وعدم تقديسهم للأمانة العلمية في الترجمة، فتكون النتيجة مليئة بالمغالطات الكبيرة. وقد كانت أغلب ترجمات القرآن إلى اللغات الشرقية والغربية هي ما تم على يد المستشرقين، حيث تُرجم ترجمة كاملة إلى ٧٩ لغة، وترجمة ناقصة إلى ٤٩ لغة. وبرز ما يؤخذ على هذه الترجمات هي:

= عن الزركلي، خير الدين الاعلام «قاموس تراجم» م ٣ ص ٢٣١، والمنجد - «الاعلام» - ص ٤٣٧.  
 (١) أمين الخولي (١٨٩٥ - ١٩٦٦ م) مصري، تعلم بالازهر وتخرج من مدرسة القضاء الشرعي وعين في الشؤون الدينية في السفارة المصرية بروما، ثم انتقل إلى برلين، ثم استأذناً في الجامعة المصرية، القديمة، ثم وكيلاً لكلية الآداب إلى سنة ١٩٥٣ م. من أعضاء المجمع اللغوي بمصر. مثل مصر في عدة مؤتمرات، له كتب لغوية وأدبية متعددة.  
 عن الزركلي، خير الدين، الاعلام «قاموس تراجم»، ص ١٦.

١ - أنها ترجمات مصوغة صياغةً تساعد على استنباط مبادئ مغايرة للنظريات الإسلامية الصحيحة، كالذي قام به المستشرقان «جولد صهر» و«الفريد غيوم».

٢ - أنها ترجمات حرة غير ملتزمة، وموافقة لأهوائهم من حيث التصرف بالنصوص عن طريق التقديم والتأخير والإهمال والتحويل. من قبيل ترجمتهم لقوله تعالى من سورة النساء: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ...﴾، فقد ترجمها «سافاري آب» كالآتي: «لا تتزوجوا النساء اللاتي كنّ زوجات لأبائكم، تلك جريمة، انه طريق الضياع، ولكن إذا كان الشر قد حدث فاحتفظوا بهن»، وترجم «ماكس هاتنج» لفظة «الابل» إلى الألمانية في قوله تعالى من سورة الغاشية: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ بكلمة «فولكن Wolken» أي سحاب.

أما «جورج سيل»<sup>(١)</sup> فقد ترجم خطاب «يا أيها الناس» إلى «يا أهل مكة» وذلك بناءً على ادعائه أن محمداً ﷺ كان يريد إصلاح بني جلدته وتقديمهم اقتصادياً وسياسياً، ولم يقصد إلى مخاطبة البشر كلهم<sup>(٢)</sup>.

٣ - محاولة البحث عن القراءات الشاذة واتخاذها ذريعة لإيجاد الشك في وثاقة ومصدرية القرآن.

٤ - كانت بعض عمليات الترجمة لدحض المبادئ الإسلامية وتغييرها.

٥ - نشر الترجمات المضلّة التي تنطوي على الحقد والتعصب الأعمى.

(١) جورج سيل (١٦٩٧ - ١٧٣٦م) مستشرق بريطاني. درس العربية واهتم بالإسلاميات. نشر مؤلفات كثيرة، له ترجمة إنجليزية شهيرة للقرآن. عن المنجد «الاعلام»، ص ٣٧٧.

(٢) الجندي، أنور، مخططات الاستشراق في ضرب العقيدة والقرآن والسنة - مجلة منار الإسلام العدد ٧ - السنة ١٤.

٦ - استخدام كلمات قديمة بائدة بحيث لا يفهمها المتقنون الجدد.

٧ - الترجمة قامت في كثير من الاحيان بأسماء مستعارة وفيها التضليل

الكثير.

٨ - حاولوا من خلال ترجماتهم - خصوصاً الفرنسية منها - أن يثبتوا في

الروح أن القرآن من وضع محمد ﷺ، وأنه كتاب متناقض وليس بكتاب يوحى به من الله تعالى.

٩ - حاول بعض اليهود، ومنهم المستشرق (ابراهيم جيجر) اثبات نظريته

الشريرة القائلة بأن النبي ﷺ اطلع على كتب اليهود بلغاتها المختلفة، وأخذ منهم كل ما يهيمه.

١٠ - عند متابعة المقدمات التي وضعت قبل الترجمات نجد التشهير

بالاسلام وبالمسلمين وبالنبي بشكل يأباه العلم والباحثون المنصفون.

١١ - حاولوا إثارة ترجمة القرآن حسب النزول لإيجاد حالة التشكيك

والتردد لدى المسلمين العاديين والمتقنين المتأثرين بالثقافة الغربية.

هذه خلاصة نماذج هي ابرز ما طالته يد المستشرقين للنيل من قدسية

القرآن الكريم ومقامه باعتباره كتاباً إلهياً، وقد جاءت معبرة عن غاية خبثهم

وعمق دوافعهم المعادية للاسلام وللأمة الاسلامية لتهديد الطريق أمام حضارة

أوروبا الاستعمارية.

## سيرة الرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ

لما كان الثقل الثاني من الدين الاسلامي بعد القرآن الكريم هم أهل البيت ﷺ، وأصلهم البارز ومبدأهم الاول وعمود نورهم المقوم هو الرسول محمد ﷺ، كان ثاني ما اهتم به المستشرقون من موضوعات هذا الدين. فتناول الكثير منهم شخصياتهم وسيرتهم بطريقة مليئة بالشيطنة والخبث والتزوير مستترين بستار البحث والنقد العلميين، خصوصاً ان الرسول ﷺ، وأهل بيته ﷺ رسموا تاريخ هذا الدين وترجموه في الواقع حركة تغييرية شاملة عملت على استئصال جذور الجاهلية والظلم والانحراف، واماطت اللثام عنها، وكشفت مواطن الحق من الباطل، وما هو لله منه وما هو للشيطان... لتميز البشرية طريق الهدى من طريق الضلال، لا من خلال المفاهيم والنظريات فحسب، لانها قد لا تسلم من التحريف والتلبيس عند التطبيق، بل من خلال المصاديق المعصومة التي تكشف عن الارادة الحقيقية لله سبحانه وتعالى في خطابه للبشرية وتشريعاته لنظم حياتهم وترشيد مسيرتهم نحو السعادة والكمال المطلق. وكان محور محاولات المستشرقين في تناول السيرة النبوية هو اسقاط هذا الثقل في واقع المسلمين منضماً إلى الثقل الاول وهو القرآن الكريم، وبذلك ينهار البناء الاسلامي بكل ابعاده الفكرية والسياسية... ومن اجل ذلك راحوا يتتبعون مفردات التاريخ الاسلامي لاستقصاء موارد الشذوذ ومواطن التزوير في السيرة النبوية، التي احدثها وعاظ



السلطين ومرترقة الحكام المنحرفين، كخلفاء بني امية وخلفاء بني العباس، وتسليط الضوء عليها واظهارها على انها السيرة الفعلية للرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ، ثم يبدأ استثمار ذلك عند تأسيس بحث نقدي لشخصية الرسول ﷺ لتحقيق هدفين: الاول: ابراز تهافت وتناقض في سيرته وصولاً لنفي نبوته وعالميته، وتقرير انه ليس إلا رجل اصلاح قومي استثمار النصرانية واليهودية وامثالهما واطاف اليها من عنده لتنسجم مع مجتمعه وظرفه الزماني والمكاني. والثاني: وصم السنة النبوية بالاختلاق والوضع، ومن ثم الدعوة إلى عدم حجتها كمصدر اساسي من مصادر التشريع في الاسلام، ولم تكن هذه المعطيات جزافاً، بل هي افراز طبيعي للصراع المحتدم بين الاسلام والصليبية، وقد كان للنتائج التي تمخضت عنها الحروب الصليبية طعم العلقم في حلق الاوربيين لا ينسونه أبداً.

ويتحدث الكاتب المسلم «ليوبولد فايس» - (محمد أسد) - عن التجربة المرة التي استحوالت معضلة في مناهجهم يصعب تجاوزها، فيقول: «فيما يتعلق بالاسلام فان الاحتقار التقليدي أخذ يتسلل في شكل تحزب غير معقول إلى بحوثهم العلمية، وبقي هذا الخليج الذي حفره التاريخ بين اوربا والعالم الاسلامي - منذ الحروب الصليبية - غير معقود فوقه جسر، ثم اصبح احتقار الاسلام جزءاً اساسياً في التفكير الاوربي، والواقع ان المستشرقين الاوائل في الاعصر الحديثة كانوا مبشرين نصارى يعملون في البلاد الاسلامية، اما تحامل المستشرقين على الاسلام فغريزة موروثية وخاصة طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلفتها الحروب الصليبية بكل ما لها من ذيول في عقول الاوربيين».

لقد كشفت اقلام الكثير من المستشرقين عن الحقد والغريزة العدائية الموروثة تجاه الاسلام والمسلمين ونبههم نبي الرحمة محمد ﷺ، حتى كالموا من الشتائم ما يربأ قلمنا عن تناوله، لولا اننا بصدد تعريتهم وكشف مخططاتهم الخبيثة

التي تنسج تحت ستار العلم والمعرفة. فهذا (المونيسيور كولي) يقول في كتابه (البحث عن الدين الحق): «برز في الشرق عدو جديد هو الاسلام الذي أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب، ولقد وضع محمد السيف في ايدي الذين تبعوه وتساهل في أقدم قوانين الاخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب، ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات في الجنة، وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وافريقيا واسبانيا فريسة له، حتى ايطاليا هددتها الخطر وتناول الاجتياح نصف فرنسا، لقد أصيبت المدينة... ولكن انظر: ها هي النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سداً في وجه سيل الاسلام المنتصر عند بوابات «بواتيه» ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين تقريباً (١٠٩٩ - ١٢٥٤م) في سبيل الدين فتدجج اوربا بالسلاح وتنمي النصرانية.

وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب، وانتصر الانجيل على القرآن، وعلى ما فيه من قوانين الاخلاق الساذجة».

أما «المسيو كيمون» فيقول في كتابه (ميثولوجيا الاسلام): «ان الديانة المحمدية جذام نشأ بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعاً، بل هو مرض مروع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الانسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منها الا ليسفك الدماء ويد من معاقرة الخمر ويجمع في القبائح. وما قبر محمد في مكة! (١) إلا عمود كهربائي يبت الجنون في رؤوس المسلمين ويلجئهم إلى الاتيان بمظاهر الصرع الهستيريا والذهول العقلي، وتكرار لفظ (الله ... الله ...) إلى ما لا نهاية وتعود عادات تنقلب إلى طباع أصيلة ككراهية لحم الخنزير والنبذ والموسيقى وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور في الملذات».

(١) قبر رسول الاسلام محمد ﷺ في المدينة المنورة وليس في مكة المكرمة.

وتستمر أقلام الحقد الاستشراقي المشبع بالدوافع التبشيرية والاستعمارية تسطر جزافاً أو صافاً ومقولات رخيصة بحق الرسول محمد ﷺ دون مراعاة لأي حقيقة تاريخية أو قاعدة من قواعد الطرح العلمي، فقد كتب الدكتور «غلاوو» في نهاية الباب الرابع من كتابه (تقدم التبشير العالمي) الذي نشره في نيويورك سنة ١٩٦٠م: «إن سيف محمد والقرآن أشدّ عدو وأكبر معاند للحضارة والحرية والحق، ومن العوامل الهدامة التي اطلع عليها العالم إلى الآن». ويستمر في نقده الوضع لشخصية الرسول ﷺ فيقول: «كان محمد حاكماً مطلقاً، وكان يعتقد أن من حق الملك على الشعب أن يتبع هواه ويفعل ما يشاء، وكان مجبواً على هذه الفكرة، فقد كان عازماً على أن يقطع عنق كل من لا يوافق في هواه، أما جيشه العربي فكان يتعطش للتهديم والتغلب، وقد أرشدتهم رسولهم أن يقتلوا كل من يرفض اتباعهم ويبعد عن طريقهم!». أما «سفاري» الذي ترجم معاني القرآن سنة (١٧٥٢م)، فيعتقد «أن محمداً لجأ إلى السلطة الإلهية لكي يدفع الناس إلى قبول هذه العقيدة، ومن هنا طالب بالآيمان به كرسول الله، وقد كان هذا اعتقاداً مزيفاً أملت الحاجة العقلية....». وبنفس المنطق يقول «جويليان» في كتابه (تاريخ فرنسا): «إن محمداً، مؤسس دين المسلمين، قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو،.... ماذا كان حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا؟ إذن لكانا مسلمين كالمجزيين والمراكشيين».

وعلى نفس المنوال كانت كتاباتهم عن أئمة أهل بيت النبوة ﷺ، نذكر أدناه نماذج منها: منها ما أورده المستشرق «تسترشتين K. V. Zettersteen» عن «ابن تيمية» في دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة «ابن تيمية» طعناً في عصمة الإمام



علي عليه السلام، من «أن علي بن أبي طالب أخطأ ثلاثاً مرة»<sup>(١١)</sup>.

وبهدف الانتقاص والنيل من شخصية ومقام الامام الحسن عليه السلام توالى افتراءات العديد من المستشرقين في اتهام الامام الحسن عليه السلام واختلاق الاكاذيب حول أخلاقه الشخصية وسيرته ومواقفه الرسالية وعلى رأسها إهram الشبهات حول حقيقة صلحه مع معاوية بن أبي سفيان، وكان في مقدمة هؤلاء المستشرقين «بروكلمان» و «راويت روثلدسن» و «هوكلي» و «ساكيس». على أن أكثرهم افتراءً ودساً وتحاملاً حاقدًا فيما قال هو المستشرق «لامنس H. Lammens» المعروف بعدائه للإسلام وحفده على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام. ومن مفترياته المليئة بالعبارات التجديفية الكاشفة عن سقوط منهجه العلمي إلى حضيض السب والشتائم الرخيصة ما جاء تحت مادة «الحسن» بن علي بن أبي طالب، الذي خالف فيه بشكل فاضح المعقول والمنقول من ثوابت التاريخ الاسلامي في حق الامام الحسن عليه السلام، كقوله: «... ان الصفات الجوهرية التي كان يتصف بها الحسن هي الميل إلى الشهوات والافتقار إلى النشاط والذكاء. ولم يكن الحسن على وفاق مع ابيه وإخوته. وقد انفق خير سني شبابه في الزواج والطلاق فأحصي له حوالي المائة زيجة عداءً، وألصقت به هذه الأخلاق السائبة لقب المطلاق وأوقعت عليا في خصومات عنيفة. وأثبت الحسن كذلك أنه مبذر كثير السرف، فقد اختص كلا من زوجاته بمسكن ذي خدم وحشم. وهكذا ترى كيف كان يبعثر المال ايام خلافة علي التي اشتد عليها الفقر. وشهد يوم صفين دون أن تكون له فيها مشاركة ايجابية. ثم هو إلى ذلك لم يهتم أي اهتمام بالشؤون العامة في حياة أبيه».



وبويع الحسن بالخلافة في العراق بعد مقتل علي فحاول أنصاره أن يقنعوه بالعودة إلى قتال أهل الشام، وقلب هذا الالحاح من جانبهم خطط الحسن القعيد المهمة فلم يعد يفكر إلا في التفاهم مع معاوية كما أدى إلى وقوع الفرقة بينه وبين أهل العراق، وانتهى بهم الأمر إلى إيثخان إمامهم اسماً لا فعلاً بالجراح. فتملكت الحسن منذ ذلك الوقت فكرة واحدة هي الوصول إلى اتفاق مع الأمويين. وترك له معاوية أن يحدد ما يطلبه جزاء تنازله عن الخلافة، ولم يكتف الحسن بالمليون درهم التي طلبها معاشاً لأخيه الحسين بل طلب لنفسه خمسة ملايين درهم أخرى ودخل كورة في فارس طيلة حياته. وعارض أهل العراق بعد ذلك في تنفيذ الفقرة الأخيرة من هذا الاتفاق، بيد أنه أجيب إلى كل ما سأله حتى أن حفيد النبي اجترأ فجاهر بالندم على أنه لم يضاعف طلبه. وترك العراق مشيعاً بسخط الناس عليه ليقبع في المدينة.

وهناك عاد إلى حياة اللهو واستسلم للذات ووافق معاوية على أن يدفع نفقاته ولم يطلب في مقابل ذلك إلا أمراً واحداً هو ألا يخل الحسن بأمن الدولة، وكان قد أجبره من قبل على الجهر بتنازله عن الخلافة في اجتماع عقد في «اذرح» ولم يعد معاوية يشغل باله به، ذلك أنه كان واثقاً من قعود همته وإيثاره للذعة. ومع هذا فقد استمر الانقسام في البيت العلوي، ولم يكن الحسن على وفاق مع الحسين وإن اجتمعا على مناهضة ابن الحنفية وغيره من أبناء علي.

وتوفي الحسن في المدينة بذات الرثة. ولعل إفراطه في الملذات هو الذي عجل بمنيته. وقد بذلت محاولة لإلقاء تبعة موته على رأس معاوية، وكان الغرض من هذا الاتهام وصم الأمويين بهذا العار، وتبرير لقب الشهيد أو «سيد الشهداء» الذي

خلع على ابن قاطمة هذا...<sup>(١)</sup> ولم يجرؤ على القول بهذا الاتهام الشنيع جهره سوى المؤلفين من الشيعة أو أولئك الذين كان هواهم مع العلوية بنوع خاص. وقد أعطى هذا الاتهام في الوقت نفسه فرصة للايقاع بأسرة الأشعث بن قيس المبغضة من الشيعة، لما كان لها من شأن في الانقلاب الذي حدث يوم صفين. وما كان معاوية بالرجل الذي يقترف إثماً لا مبرر له.

كما أن الحسن كان قد أصبح مسالماً منذ أمد طويل، وكانت حياته عبثاً على بيت المال الذي أهدته مطالبه المتكررة، ومن اليسير أن نعلل ارتياح معاوية وتنفسه الصعداء عندما سمع بمرض الحسن<sup>(٢)</sup>.

ومن اقوالهم وآرائهم الجرافية التي تكشف عن سطحية معلوماتهم وعدم استقصائهم لحقائق تاريخ أئمة أهل البيت عليهم السلام ما أورده «تسترشتين K. V. Zettersteen» في دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة «جعفر» بقوله: «جعفر بن محمد، ويلقب أيضاً بالصادق: سادس الأئمة الاثني عشرية... وخلف في الإمامة أباه محمداً الباقر، ولم يكن له شأن في عالم السياسة، ولكنه عرف بدرايته الواسعة بالحديث، ويقال أيضاً إنه اشتغل بالتنجيم والكيمياء وغيرهما من العلوم الخفية، أما المؤلفات التي تحمل اسمه فقد دسست عليه فيما بعد...»<sup>(٣)</sup>.

بهذا المنهج وبهذه الروح المتعصبة تناولوا شخصية الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وسيرتهم فكانت المعطيات رؤى واستنتاجات ما أنزل الله بها من سلطان، يصورونها وكأنها حقائق ثابتة ويقين راسخ، رغم أنها بُنيت أساساً على الوهم الذي تستحيل معه رؤية الحقائق بحجمها الطبيعي، لأنها انبثقت عن زاوية

(١) اعرضنا من ذكر هذا المحدث لما فيه من إساءة فاحشة بحق الإمام الحسن عليه السلام لا يليق بنا إيراده.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: ٧: ٤٠٠.

(٣) ١٣٠: ١٠٠ = المعارف الإسلامية: ٦: ٤٧٣.

ضيقة مترعة بالتعصب، ونظر إليها من خلال خلفية سلبية مسبقة، جعلت منهم ينتقون لبناء نظريتهم عن الرسول ﷺ، وأهل بيته عليه السلام الشاذ الغريب مما نُقل عنهم صلوات الله عليهم، بل واختلاق الأكاذيب والافتراءات عليهم. ويمكننا وضع اليد على الكثير من مصاديق ذلك في كتاباتهم ومؤلفاتهم، ونكتفي بالإشارة لأهم انماط هذه المصاديق المنحرفة التي تضمنتها نظريتهم عن الرسول محمد ﷺ وأهل بيته عليه السلام:

أولاً: تتبع الشاذ والضعيف من الاخبار الواردة عن رسول الله ﷺ وأهل بيته عليه السلام وعن سيرتهم وتاريخهم: وهذه الاخبار غالباً ما تكون من تلك التي عرفت بالاسرائيليات أو من الموضوعات في ظل الحكومات التي كانت تعادي أهل بيت النبوة عليه السلام، وبإبرازها دون المشهور والموثوق منها لكي يتم لهم الأساس الذي يبنون عليه نظريتهم عن سيرة الرسول ﷺ وأهل بيته عليه السلام. وبهذا الصدد يقول «جواد علي» في كتابه (تاريخ العرب في الإسلام): «لقد أخذ المستشرقون بالخبر الضعيف والموضوع في بعض الأحيان وحكموا بموجبه واستعانوا بالشاذ والغريب، فقدموه على المعروف والمشهور»<sup>(١)</sup>. وقد مهد لذلك قيام بعضهم بإصدار كتب عن السنة النبوية ومعاجم مفهرسة لألفاظ الحديث دسّت فيها الاخبار والتقارير الشاذة والمردودة ضمن سياق الصحيح لتسوغ معها ويختلط أمرها فيعتمد القارئ أو الباحث عليها على أنها من السنة النبوية، كما فعله المستشرق «فينسنت» في كتابه (كنوز السنة) ومعجمه المفهرس لألفاظ الحديث.

ومن ذلك نقلهم للروايات الكاذبة حول زوجات الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام كرواية «السبعين والتسعين وغيرها من الروايات التي تصف

(١) علي، جواد - «تاريخ العرب في الإسلام» - الجزء الأول - ص ٨ - ١١ من موضوع «السيرة النبوية».



الامام الحسن عليه السلام بأنه مطلق، وأن والده كان يقول: لا تزوجوا ولدي الحسن فإنه مطلق، فلا مصدر لها إلا المدائني وأمثاله من الكذبة كما يبدو من أسانيدھا، والمدائني والواقدي وغيرهما من المؤرخين القدامى قد كتبوا التاريخ في ظل الحكومات التي كانت تناهض أهل البيت وتعمل بكل ما لديها من الوسائل على تشويه واقعهم وانتقاصهم، ولم يكن حكام الدولة العباسية بأقل سوءاً وتعصباً من أسلافهم الأمويين، فقد شاركوهم في وضع الأحاديث التي تسيء إلى العلويين، وكانوا يحقدون على الحسينيين بصورة خاصة لأن أكثر الثائرين على الظلم كانوا من أولاد الحسن وأحفاده.

وعلى ما يبدو أن الذين الصقوا بالحسن كثرة الزواج والطلاق هؤلاء الثلاثة: المدائني والشبلنجي وأبو طالب المكي في قوت القلوب، وعنهم أخذ المستشرقون، أما علي بن عبدالله البصري المعروف بالمدائني والمعاصر للعباسيين فهو من المتهمين بالكذب في الحديث، وجاء في ميزان الاعتدال للذهبي أن مسلماً في صحيحه قد امتنع عن الرواية عنه، وأن ابن عدي قد ضعفه، وقال له الأصمعي: والله لتترك الإسلام وراء ظهرك، وكان من خاصة أبي اسحاق الموصلي، وقد تبعه لثرائه، ويروي عن عوانة بن الحكم المتوفى سنة ١٥٨ والمعروف بولائه لعثمان والأمويين.

ونص ابن حجر في لسان الميزان أن عوانة كان يضع الأخبار لبني أمية، وجاء في معجم الأدباء أنه كان مولى لسمرة بن حبيب الأموي، أما صاحب لسان الميزان فقد قال: إنه كان مولى لعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب الأموي، هذا بالإضافة إلى أن أكثر رواياته من نوع المراسيل، كل ذلك مما يبعث على الاطمئنان بأن رواية السبعين التي لم يروها غير المدائني من موضوعاته لمصلحة الحاكمين اعداء العلويين.



أما رواية التسعين فقد أرسلها الشبلنجي في كتابه نور الابصار ولم ينسجها لأحد، والشبلنجي في كتابه المذكور لم يتحرر الصحيح في مروياته وأخباره كما يبدو ذلك للمتتبع فيه، والمرسل إذا لم يكن مدعوماً بشاهد من الخارج أو الداخل لا يصلح للاستدلال، في حين أن الشواهد والقرائن ترجح بأنه من صنع الحاقدين على أهل البيت.

وأما رواية المكي في قوت القلوب فهي أقرب إلى الأساطير من غيرها لأنها لم ترد على لسان أحد من الرواة، وأبو طالب المكي كان مصاباً بالهستيريا كما نص على ذلك معاصروه، وحينما وفد على بغداد وجد البغداديون في حديثه هذياناً وخروجاً عن ميزان الاعتدال والاستقامة»<sup>(١)</sup>.

ومثله ما ألصقوه، على أساس الروايات الشاذة والمختلفة، من تهم شنيعة وشبهات ظالمة للإمام الحسن عليه السلام حول صلحه مع معاوية بن أبي سفيان، وقد رد عليها علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام وكثير من المفكرين الإسلاميين والمنصفين من أهل العلم والتخصص، ومن أبرزهم العلامة المحقق الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي في مقدمته لكتاب صلح الحسن للشيخ راضي آل ياسين، التي جاء فيها: «... نشط معاوية في عهد الخليفين الثاني والثالث، بإمارته على الشام عشرين سنة، تمكن بها في أجهزة الدولة، وصانع الناس فيها وأطمعهم به فكانت الخاصة في الشام كلها من أعوانه، وعظم خطره في الإسلام، وعرف في سائر الاقطار بكونه من قريش - أسرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم - وأنه من أصحابه، حتى كان في هذا أشهر من كثير من السابقين الأولين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، كأبي ذر وعمار والمقداد وأضرابهم».

هكذا نشأت «الاموية» مرة أخرى، تغالب الهاشمية باسم الهاشمية في علنها، وتكيد لها كيدها في سرها، فتندفع مع انطلاق الزمن تخدع العامة بدهائها، وتشترى الخاصة بما تغدقه عليهم من أموال الامة، وبما تؤثرهم به من الوظائف التي ما جعلها الله للخونة من أمثالهم، وتستغل مظاهر الفتح واحراز الرضا من الخلفاء.

حتى إذا استتب أمر «الاموية» بدهاء معاوية، انسلت إلى احكام الدين انسلال الشياطين، تدس فيها دسها، وتفسد افسادها، راجعة بالحياة إلى جاهلية تبعث الاستهتار والزندقة، وفق نهج جاهلي، وخطّة نفعية، ترجوها «الاموية» لاستيفاء منافعها، وتسخرها لحفظ امتيازاتها.

والناس - عامة - لا يفطنون لشيء من هذا، فان القاعدة المعمول بها في الاسلام - أعني قولهم: الاسلام يجب ما قبله - ألقت على فطائع «الاموية» سترًا حجبها، ولا سيما بعد أن عفا عنها رسول الله وتألّفها، وبعد أن قربها الخلفاء منهم، واصطفوها بالولايات على المسلمين، وأعطوها من الصلاحيات ما لم يعطوا غيرها من ولايتهم. فسارت في الشام سيرتها عشرين عاما ﴿لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾ ولا ينهاون.

وهذا ما أظنى معاوية، وأرهف عزمه على تنفيذ خططه «الاموية». وقد وقف الحسن والحسين من دهائه ومكره ازاء خطر فطيع، يهدد الاسلام باسم الاسلام، ويطنى على نور الحق باسم الحق، فكانا في دفع هذا الخطر أمام امرين لا ثالث لهما: اما المقاومة، واما المسالمة. وقد رأيا أن المقاومة في دور الحسن تؤدي لا محالة إلى فناء هذا الصف المدافع عن الدين وأهله، والهادي إلى الله عزّ وجل، وإلى صراطه المستقيم. إذ لو غامر الحسن يومئذ بنفسه وبهاشميين وأوليائهم، فواجه بهم القوة التي لا قبل لهم بها مصمما على التضحية، تصميم أخيه يوم «الطف»

لا تكشفت المعركة عن قتلهم جميعاً، ولا تنصرت «الاموية» بذلك نصراً تعجز عنه امكانياتها، ولا تنحسر عن مثله أحلامها وأمنياتها، إذ يخلو بعدهم لها الميدان، تمنع في تيهها كل امعان، وبهذا يكون الحسن - وحاشاه - قد وقع فيما فر منه علي أقبح الوجوه، ولا يكون لتضحيته أثر لدى الرأي العام الا التشديد والتفنيذ، لأن معاوية كان يطلب الصلح ملحاً على الحسن بذلك، وكان يبذل له من الشروط لله تعالى وللأمة كل ما يشاء، يناشده الله في حقن دماء أمة جده، وقد أعلن طلبه هذا فعلمه المعسكران، مع ان الغلبة كانت في جانبه لو استمر القتال، يعلم ذلك الحسن ومعاوية وجنودهما، فلو أصر الحسن - والحال هذه - على القتال، ثم كانت العاقبة عليه لعذله العاذلون وقالوا فيه ما يشاؤون.

ولو اعتذر الحسن يومئذ بأن معاوية لا يفي بشرط، ولا هو بمأمون على الدين ولا على الأمة، لما قبل العامة يومئذ عذره، إذ كانت مغرورة بمعاوية كما اوضحناه. ولم تكن الاموية يومئذ سافرة بعيوبها سفوراً بينا بما يؤيد الحسن أو يخذل معاوية لا غترار الناس بمعاوية وبمكانته من أولى الأمر الأولين، لكن انكشف الغطاء، في دور سيد الشهداء فكان لتضحيته ﷺ من نصرة الحق وأوليائه آثاره الخالدة.

ومن هنا رأى الحسن ﷺ أن يترك معاوية لطغيانه، ويمتحنه بما يصبو إليه من الملك، لكن أخذ عليه في عقد الصلح، أن لا يعدو الكتاب والسنة في شيء من سيرته وسيرة أعوانه ومقوية سلطانه، وأن لا يطلب أحداً من الشيعة بذنب أذنبه مع الاموية، وأن يكون لهم من الكرامة وسائر الحقوق ما لغيرهم من المسلمين، وأن، وأن، وأن. إلى غير ذلك من الشروط التي كان الحسن عالماً بأن معاوية لا يفي له بشيء منها وأنه سيقوم بنقضها.

هذا ما أعده ﷺ لرفع الغطاء عن الوجه «الاموي» المموء، ولصهر الطلاء



عن مظاهر معاوية الزائفة، ليعبرز حينئذ هو وسائر أبطال «الاموية» كما هم جاهليين. لم تخفق صدورهم بروح الاسلام لحظة، تأريين لم تنسهم مواهب الاسلام ومراحمه شيئاً من أحقاد بدر وأحد والاحزاب.

وبالجملة فإن هذه الخطة ثورة عاصفة في سلم لم يكن منه بد، أملاه ظرف الحسن، إذ التبس فيه الحق بالباطل، وتسنى للطغيان فيه سيطرة مسلحة ضارية. وما كان الحسن يبادي هذه الخطة ولا بخاتها، بل أخذها فيما أخذه من ارثه، وتركها مع ما تركه من ميراثه. فهو كغيره من أئمة هذا البيت، يسترشد الرسالة في إقدامه وفي إحجامه. امتحن بهذه الخطة فرضخ لها صابراً محتسباً وخرج منها ظافراً طاهراً، لم تنجسه الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسه من مدلهيات ثيابها.

أخذ هذه الخطة من صلح «الحديبية» فيما أثر من سياسة جده ﷺ، وله فيه أسوة حسنة، إذ أنكر عليه بعض الخاصة من أصحابه كما أنكر على الحسن صلح «سبابط» بعض الخاصة من أوليائه، فلم يهن بذلك عزمه، ولا ضاق به ذرعه.

تهياً للحسن بهذا الصلح أن يغرس في طريق معاوية كميناً من نفسه يثور عليه من حيث لا يشعر فيرديه، وتسنى له به أن يلغم نصر الاموية ببارود الاموية نفسها. فيجعل نصرها جفاء، وريحها هباء.

لم يطل الوقت حتى انفجرت أولى القنابل المغروسة في شروط الصلح، انفجرت من نفس معاوية يوم نشوته بنصره، إذ انضم جيش العراق الى لوائه في النخيلة، فقال - وقد قام خطيباً فيهم - : «يا أهل العراق، اني والله لم أقاتلكم لتصلوا ولا لتصوموا، ولا لتركوا، ولا لتحجوا، وانما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وانتم كارهون. ألا وان كل شيء اعطيته للحسن بن علي جعلته تحت قدمي هاتين!».

فلما تمت له البيعة خطب فذكر علياً فقال منه، ونال من الحسن، فقام الحسين



ليرد عليه، فقال له الحسن: «عليّ رسلك يا أخي». ثم قام ﷺ فقال: «أيها الذاكر علياً! أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدتي رسول الله وجدك عتبة، وجدتي خديجة وجدتك فتيلة، فلعن الله أئمتنا ذكراً، والأئمة حسباً، وشرنا قديماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً!» فقالت طوائف من أهل المسجد: «آمين».

ثم تتابعت سياسة معاوية، تتفجر بكل ما يخالف الكتاب والسنة من كل منكر في الاسلام، قتلاً للأبرار، وهتكاً للأعراض، وسلباً للأموال، وسجناً للأحرار، وتشريداً للمصلحين، وتأبيداً للمفسدين الذين جعلهم وزراء دولته، كابن العاص، وابن شعبة، وابن سعيد، وابن اوطاة، وابن جندب، وابن السمط، وابن الحكم، وابن مرجانة، وابن عقبة، وابن سمية الذي نفاه عن ابيه الشرعي عبيد، وألحقه بالمسافح أبي سفيان ليحمله بذلك أخاه، يسلطه على الشيعة في العراق، يسومهم سوء العذاب، يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، ويفرقهم عباديد، تحت كل كوكب، ويحرق بيوتهم، ويصطفي أموالهم، لا يألو جهداً في ظلمهم بكل طريق.

ختم معاوية منكراته هذه بحمل خليعه المهتوك على رقاب المسلمين، يعيث في دينهم ودنياهم، فكان من خليعه ما كان يوم الطف، ويوم الحرة، ويوم مكة اذ نصب عليها العرادات والمجانيق!

هذه خاتمة أعمال معاوية، وانها لتلائم كل الملاءمة فاتحة أعماله القاتمة. ومهما يكن من أمر، فالمهم أن الحوادث جاءت تفسر خطة الحسن وتجلوها، وكان أهم ما يرمي إليه سلام الله عليه، أن يرفع اللثام عن هؤلاء الطغاة، ليحول بينهم وبين ما يبيتون لرسالة جده من الكيد. وقد تم له كل ما أراد، حتى برح الحفء، وأذن أمر الاموية بالجلاء.

وبهذا استتب لصنوه سيد الشهداء أن يشور ثورته التي أوضح الله بها الكتاب، وجعله فيها عبرة لأولي الألباب.

وقد كانا عليه السلام وجهين لرسالة واحدة، كل وجه منهما في موضعه منها، وفي زمانه من مراحلها، يكافئ الآخر في النهوض بأعبائها ويوازنه بالتضحية في سبيلها.

فالحسن لم يبخل بنفسه، ولم يكن الحسين أسخى منه بها في سبيل الله، وإنما صان نفسه، يجندها في جهاد صامت، فلما حان الوقت كانت شهادة كربلاء شهادة حسنية، قبل أن تكون حسينية.

وكانا عليه السلام كأنهما متفقان على تصميم الخطة: أن يكون للحسن منها دور الصابر الحكيم، وللحسين دور النائر الكريم، لتتألف من الدورين خطة كاملة ذات غرض واحد.

وقد وقف الناس - بعد حادثتي سباط والطف - بمعنون في الأحداث فيرون في هؤلاء الأمويين عصبة جاهلية منكرة، بحيث لو مثلت العصابات الجلفة التذلة الظلوم لم تكن غيرهم، بل تكون دونهم في الخطر على الإسلام وأهله. نعم أدرك الرأي العام بفضل الحسن والحسين وحكمة تدبيرهما كل خافية من أمر «الأموية» وأمور مسددي سهمها على نحو واضح.

أدرك - فيما يتصل بالأمويين - أن العلاقة بينهم وبين الإسلام إنما هي علاقة عداة مستحكم، ضرورة أنه إذا كان الملك هو ما تهدف إليه الأموية، فقد بلغه معاوية، وأتاحه له الحسن، فما بالها تلاحقه بالسّم وأنواع الظلم والهضم، وتنقصي الأحرار الأبرار من أوليائه لتستأصل شأفتهم وتقتلع بذرتهم؟!..

وإذا كان الملك وحده هو ما تهدف إليه الأموية، فقد أزعج الحسين من الطريق، وتم ليزيد ما يريد، فما بالها لا تكف ولا ترعوي، وإنما تسرف أقصى ما







وهو من كبار المستشرقين الاوائل الذين كتبوا عن حياة محمد ﷺ، كان يعتمد منهجاً معكوساً في البحث يذكرنا بكثير من المختصين الجدد في حقل التاريخ الاسلامي، والذين يعملون وفق منهج خاطئ من أساسه، إذ انهم يتبنون فكرة مُسبقة ثم يبحثون إلى وقائع التاريخ لكي يستلوا منها ما يؤيد فكرتهم ويستبعدوا ما دون ذلك، فلقد كان «كيناني» «ذا رأي وفكرة... وضع رأيه وكونه في السيرة قبل الشروع في تدوينها. فلما شرع فيها استعان بكل خبر من الاخبار ظفر به، ضعيفها وقويها، وتمسك بها كلها ولا سيما ما يلائم رأيه. لم يبال بالخبر الضعيف بل قوّاه وسنده وعدّه حجة وبني حكمه عليه، ومن يدري فلعله كان يعلم بسلاسل الكذب المشهورة والمعروفة عند العلماء، ولكنه عفا عنها وغضّ نظره عن أقوال أولئك العلماء فيها، لانه صاحب فكرة يريد إثباتها بأية طريقة كانت، وكيف يتمكن من إثباتها وإظهارها وتدوينها إذا ترك تلك الروايات وعالجها معاجلة نقد وجرح وتعديل على أساليب البحث الحديث؟»<sup>(١)</sup>

وأشار أيضاً (إيتين القيم) إلى بعض الآراء حول هذا المنهج قائلاً: «لقد أصاب الدكتور سنوك هرمرزونه بقوله: (إن سيرة محمد الحديثة تدل على أن البحوث التاريخية مقضي عليها بالعقم إذا سُخرت لأية نظرية أو رأي سابق). هذه حقيقة يحمل بمستشركي العصر جميعاً أن يضعوها نصب أعينهم، فإنها تشفيهم من داء الأحكام السابقة التي تكلفهم من الجهود ما يجاوز حد الطاقة فيصلون إلى نتائج لا شك خاطئة، فقد يحتاجون في تأييد رأي من الآراء إلى هدم بعض الاخبار وليس هذا بالامر الهين، ثم إلى بناء اخبار تقوم مقام ما هدموا، وهذا امر لا ريب مستحيل. إن العالم في القرن العشرين يحتاج إلى معرفة كثير من العوامل

(١) علي، جواد - «تاريخ العرب في الاسلام» - الجزء الاول (السيرة النبوية) ص ٩٥

الجوهرية، كالزمن والبيئة والاقليم والعادات والحاجات والمطامع والميول إلى آخره، لا سيما إدراك تلك القوى الباطنة التي لا تقع تحت مقاييس المعقول والتي يعمل بتأثيرها الافراد والجماعات»<sup>(١)</sup>.

وهناك المئات من مفردات المنهج الكيفي والتفسير على ضوء المسبقات والخلفيات الخاصة للنصوص التاريخية في العديد من مؤلفات وكتابات المستشرقين خصوصاً الأوائل منهم. فمثلاً «بروكلمان»<sup>(٢)</sup>، لا يشير إلى دور اليهود في تأليب الاحزاب على المدينة ولا إلى نقض بني قريظة عهدها مع الرسول ﷺ، في أشد ساعات محنته، لكنه يقول: «ثم هاجم المسلمون بني قريظة الذين كان سلوكهم غامضاً على كل حال»<sup>(٣)</sup>... أما «اسرائيل ولفنسون» فيتغاضى عن حادثة نعيم بن مسعود في معركة الخندق، كسبب في انعدام الثقة بين المشركين واليهود.

رابعاً: تصوير مواقف الرسول ﷺ من اليهود وقبائل العرب الجاهلية على انها ظلم وتعسف. ومن امثلة ذلك ما اشار إليه المستشرق (اسرائيل ولفنسون) بصدد مهاجمة يهود بني النضير، حيث انه لا يقر بما قاله مؤرخو الاسلام من أن سبب اعلان الحرب على يهود بني النضير هو محاولتهم اغتيال الرسول محمد ﷺ، فيقول: «... لكن المستشرقين ينكرون صحة هذه الرواية ويستدلون على كذبها بعدم وجود ذكر لها في سورة الحشر التي نزلت بعد اجلاء بني النضير. والذي يظهر

(١) القيم، ايتين - «الشرق كما يراه الغرب» - المقدمة ص ٤٣ - ٤٤.

(٢) بروكلمان، كارل Brockelmann (١٨٦٨ - ١٩٥٦م): مستشرق ألماني يُعتبر أحد أبرز المستشرقين

في العصر الحديث. أشهر آثاره: «تاريخ الادب العربي» في خمسة مجلدات (١٨٩٨ - ١٩٤٢م)،

و«تاريخ الشعوب والدول الاسلامية» (عام ١٩٣٩م) وقد نقلت إلى العربية تباه امين فارس ومنير

البيعلكي / عن البيعلكي، منير - موسوعة المورد - المجلد الثاني ص ١٢٠.

(٣) بروكلمان، كارل - «تاريخ الشعوب الاسلامية» ص ٥٣ - ٥٤.

لكل ذي عيتين أن بني النضير لم يكونوا يتوون الغدر بالنبي واغتياله على مثل هذه الصورة، لانهم كانوا يخشون عاقبة فعلهم من أنصاره، ولو أنهم كانوا يتوون اغتياله غدرًا لما كانت هناك ضرورة لالقاء الصخرة عليه من فوق الحائط، فإن في استطاعتهم أن يفاجئوه وهو يحادثهم إذ لم يكن معه غير قليل من أصحابه»<sup>(١)</sup>.  
 أما المستشرق (فلهاوزن) فيقول: «لم يبق الاسلام على تسامحه بعد بدر بل شرع في الاخذ بسياسة الارهاب في داخل المدينة، وكانت اثاره مشكلة المتأقنين علامة على ذلك التحول... أما اليهود فقد حاول ان يظهرهم يظهر المعتدين الذككئين للعهده، وفي غضون سنوات قليلة أخرج كل الجماعات اليهودية أو قضى عليها في الواحات المحيطة بالمدينة، حيث كانوا يكونون جماعات مماسكة كالقبائل العربية، وقد التمس لذلك أسباباً واهية...»<sup>(٢)</sup>، ويتعاطف المستشرق «مرجليوث» مع اليهود، ويرى أن اقتحام خير محض ظلم نزل باليهود لا مبرر له على الاطلاق<sup>(٣)</sup>.. ويؤاخذ المستشرق «نولدكه» القبائل العربية على عدم تحالفهم الدقيق في مواجهة الرسول محمد ﷺ، ويتمنى «لو ان القبائل العربية استطاعت ان تعقد بينها تحالفات عربية دقيقة ضد محمد للدفاع عن طقوسهم وشعائرهم الدينية، والذود عن استقلالهم، إذن لأصبح جهاد محمد جندهم غير مجهد، إلا أن عجز العربي عن أن يجمع شتات القبائل المتفرقة قد سمح له ان يخضعهم لدينه، القبيلة تلو الاخرى، وأن ينتصر عليهم بكل وسيلة. فتارة بالقوة وتارة بالمحالفات الودية والوسائل السلمية»<sup>(٤)</sup>.

(١) ولفنسون، السرائيل - «تاريخ اليهود في بلاد العرب» - ص ١٣٠ - ١٣٧.

(٢) فلهاوزن، يوليوس - «الدولة العربية وسقوطها» - ص ١٥ - ١٦.

(٣) الدكتور خليل، عماد الدين - «المستشرقون والمسيرة النبوية» - مجلة مدار الاسلام - العدد ٧.

(٤) نولدكه، تيودور - «تاريخ العالم للمؤرخين» - الجزء ٨ - ص ١٦.



خامساً: تصوير سيرة النبي محمد ﷺ على أنها نتاج بيئته: يقول المستشرق «جب»: «إن محمداً ككل شخصية مبدعة، قد تأثرت بضرورات الظروف الخارجية عنه المحيطة به، من جهة أخرى قد شق طريقاً جديداً بين الافكار والعقائد السائدة في زمانه، والدائرة في المكان الذي نشأ فيه... وقليل ما هو معروف - على سبيل التأكيد - عن حياته وظروفه المبكرة... ولكن الشيء الذي يصح أن يُبحث ماضيه الاجتماعي... لقد كان أحد سكان (مدينة) غير رئيسية... وليس هناك ما يصح أن يصوره بأكثر من أنه (بدوي)، شارك في الفكرة والنظرة في الحياة التي كانت للبدو الرحل من الناس، و(مكة) في ذات الوقت لم تكن خلاء بعيداً عن صخب العالم، وعن حركته في التعامل... بل كانت مدينة ذات ثروة اقتصادية، ولها حركة دائبة كمركز للتوزيع التجاري بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط، و(سكانها) مع احتفاظهم بطابع البساطة العربية الاولى في سلوكهم ومنشآتهم، اكتسبوا معارف واسعة بالانسان والمدن... عن طريق تبادهم الاقتصادي والسياسي مع العرب الرحل، ومع الرسميين من رجال الامبراطورية الرومانية، وهذه التجارب قد كونت في زعماء مكة ملكات عقلية، وضروباً من الفطنة وضبط النفس لم تكن موجودة عند كثير من العرب. ثم ان (السيادة الروحية) التي اكتسبها المكّيون من قديم الزمان على العرب الرحل، زادت قوة ونمواً بفضل الاشراف على عدد من «المقدسات الدينية» التي وجدت داخل مكة وبالقرب منها، وانطباع هذا الماضي الممتاز لـ(مكة)، يمكن أن نقف على اثره واضحاً في كل ادوار حياة محمد... وبتعبير إنساني: إن محمداً نجح لأنه كان واحداً من المكّيين!... ولكن بجانب هذا الازدهار في (مكة)، كانت هناك ناحية أخرى مظلمة خلفتها تلك الشرور المعروفة لجماعة اقتصادية ثرية، فيها فجوات واسعة من الغنى والفقراء هذه الناحية، هي ناحية الاجرام الانساني الذي قتل في الارقاء



والخدم وفي الحواجز الاجتماعية... وواضح من دعوة محمد الصارخة إلى مكافحة الظلم الاجتماعي، أن هذه الناحية كانت سبباً من الاسباب العميقة لثورته الداخلية (النفسية)»<sup>(١)</sup>!

ويستطرد «جب» في محاولته لاثبات ان الاتجاه الديني للرسول محمد ﷺ وسعيه لانشاء حكومة دينية وجماعة دينية انما كان بتأثير الطابع القدسي الديني لمكة وزعامتها الدينية لباقي المدن العربية الاخرى وارتباط وضعها الاقتصادي بهذه الزعامة الدينية، الذي ادى إلى وقوع الصراع بينهم وبين الرسول ﷺ من أجل ذلك فيقول «جب»: «ولكن نواة هذه الثورة النفسية لم تظهر في صورة (اصلاح اجتماعي)، بل بدلاً من ذلك دفعته إلى (اتجاه ديني) أعلنه في اعتقاد ثابت لا يتأرجح: بأنه رسول من الله، لينذر أتباعه بإنذار الرسل الساميين القديم: توبوا، فجزاء الله حق!! وكل ما وجد بعد ذلك كان نتيجة منتطرة للتصادم بين هذا الاعتقاد (بانه رسول) وبين الكفر به، ومعارضته من فريق بعد فريق...»

وهناك حقيقة واحدة مؤكدة (في تاريخه) وهي: أن الدافع له كان (ديناً) على الاطلاق، فمن بدء حياته كداع كانت نظراته إلى الاشخاص والاحداث وحكمه عليها نظرة تأثر فيها بما عنده من صورة عن الحكومة الدينية وأغراضها في عالم الانسان!!... ومحمد في البداية، لم يكن نفسه على علم بأنه صاحب دعوة إلى دين جديد! بل كانت معارضة المكيين له، وخصومتهم له من مرحلة إلى اخرى هي التي قادته أخيراً وهو بالمدينة - بعد أن هاجر، إليها - إلى اعلان الاسلام كجماعة دينية جديدة، بايمانها الخاص، وبنشأتها الخاصة.

... ويبدو أن معارضة المكيين له لم تكن محافظتهم وتمسكهم بالقديم، أو

بسبب عدم رغبتهم في الايمان... بل ترجع اكثر ما ترجع إلى أسباب سياسية واقتصادية، لقد تملكهم الخوف من آثار دعوته التي تؤثر على ازدهارهم الاقتصادي وبالأخص تلك الآثار التي يجوز أن تلحق ضرراً بالقيمة الاقتصادية لمقدساتهم... وبالإضافة إلى ذلك، فإن المكيين قد تصوروا - أسرع مما تصور محمد نفسه - أن قبولهم لتعاليمه ربما يمهّد لنوع معقد من السلطة السياسية داخل جماعتهم، التي كانت تحكمها فئة قليلة حتى ذلك الوقت»<sup>(١)</sup>.

سادساً: يقول الدكتور «رشيدي فكار»: إن محاولة المستشرقين تحقيق مخططاتهم بالنفاذ من باب السيرة النبوية والتعامل معها كتراث بشري دنيوي لا كمعتبر لوحي السماء. وقد قام المستشرق «جولد صيهر» بدور رئيس في التشكيك بصدق السنة النبوية، حيث ادعى هو وغيره أنها جمعت بعد وفاة النبي ﷺ بوقت طويل، وهذا يفقدها الكثير من مصداقيتها، بل راح إلى أبعد من ذلك، فادعى أن الحديث النبوي هو نتيجة لتطور المسلمين. أما المستشرق «الفريد غيوم» في كتابه (الحديث في الاسلام) والمستشرق «تريثون» في كتابه (الاسلام عقيدة وعمل)، فقد حاول كل منهما الطعن في طرق جمع السنة المطهرة، زاعمين أن السنة النبوية الصحيحة لم يكتب لها البقاء، لأنها لم تدون، بل كانت تُتناقل شفاهة بين الأفراد لمدة قرنين من الزمان<sup>(٢)</sup>. ويشير المستشرق «درمنغهام» إلى هذه الادعاءات، ويذكر لنا خطأ آخر منها فيقول: «من المؤسف حقاً أن غالى بعض هؤلاء المتخصصين - من أمثال «موير» و«مرجليوت» و«نولدكه» و«سبرنجر» و«دوزي» و«كيتاني» و«مارسين» و«غريم» و«جولد صيهر» و«غود فروا» وغيرهم - في النقد أحياناً، فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص ومن المحزن

(١) جب، «المذهب المحمدي» - ص ٢٧ - ٢٩.

(٢) الجندي، أنور - «أبرز أهداف المستشرقين» - مجلة منار الاسلام - العدد ٨ السنة ١٤.

الآن تزال النتائج التي انتهى إليها المستشرقون سلبية ناقصة... ومن دواعي الأسف أن كان الاب «لامانس»، الذي هو من أشهر المستشرقين المعاصرين من أشدهم تعصباً، وأنه شوه كتبه الرائعة الدقيقة وأفسدها بكرهه للإسلام ونبى الإسلام، فعند هذا العالم اليسوعي أن الحديث إذا وافق القرآن كان منقولاً عن القرآن، فلا أدري كيف يمكن تأليف التاريخ إذا اقتضى تطابق الدليلين تهادمهما بحكم الضرورة بدلاً من أن يؤيد أحدهما الآخر؟»<sup>(١)</sup>.

والأكثر غرابة هو موقف بعض المستشرقين من القرآن كمصدر أساسي من مصادر السيرة النبوية، فهم ينفون الكثير من وقائع السيرة إذا لم تكن واردة في القرآن الكريم، وهم، بعبارة أخرى، يريدون أن يوهموا بهذه الحجة أن عملية انتقائهم المغرضة لبعض وقائع السيرة وترك البعض الآخر - بهدف هدم هذه السيرة ونفيها - لم يكن جزافاً، بل كان على أساس الانتكاء على المصدر الفيصل لدى المسلمين في بيان حقائق دينهم ونبیهم. ومن الامثلة على ذلك ما يدعيه المستشرق «شبنغلر»<sup>(٢)</sup> من أن اسم النبي ﷺ ورد في أربع سور من القرآن هي آل عمران والأحزاب ومحمد والفتح، وكلها سور مدنية، ومن ثم فإن لفظة «محمد» لم تكن اسم علم للرسول ﷺ قبل الهجرة، وإنما اتخذت بتأثير قراءة القرآن للانجيل واتصاله بالتصاري<sup>(٣)</sup>، ومن الامثلة أيضاً ما أشار إليه المستشرق «اسرائيل

(١) درمنغهام، أميل - «حياة محمد» - المقدمة ص ٨، ١٠ - ١١.

(٢) شبنغلر، أوزوولد Spengler Oswald (١٨٨٠ - ١٩٣٦ م). فيلسوف ألماني قال بأن الحضارات تولد وتنضج ثم تموت كالكائنات الحية سواء بسواء، وأن الحضارة الغربية المعاصرة هي في طريقها إلى الموت، وبأن حضارة أخرى جديدة من آسيا سوف تحل محلها، أهم آثاره: «انحطاط العرب» وهو يقع في مجلدين.

عن البعلبكي، منير - موسوعة المورد ص ٩ - ١٠.

(٣) علي، جواد. «تاريخ العرب في الإسلام» الجزء الأول ص ٧٨ وهو أمثلة. ويمكننا أن نستقضي من «شبنغلر» هذا فتنسأله: إذا كان النبي ﷺ قد التقط اسم محمد من خلال قراءة القرآن لنبوءات الانجيل -



ولفنتسون» - الذي مرّ ذكره - بصدد مهاجمة يهود بني النضير من أن مؤرخي المسلمين يذكرون سبباً آخر لاعلان الحرب على هذه الطائفة اليهودية ذلك هو محاولتهم اغتيال الرسول ﷺ. ويدعي «ولفنتسون» ان المستشرقين يقولون بغير ذلك فيقول: «لكن المستشرقين ينكرون صحة هذه الرواية ويستدلون على كذبها بعدم وجود ذكر لها في سورة الحشر التي نزلت بعد اجلاء بني النضير»<sup>(١)</sup>.

ويُعتبر ما ذكره «مونتغمري وات» - بصدد تثبيت الشبهات وتكريس الشكوك حول معطيات السيرة النبوية ومصادقيتها القدسية على اساس الدليل والحجة القاطعة - قناعاً يقنع به ذلك المنهج الاعتباطي المغرض، لانه هو نفسه لم يلتزم بما قاله، وكشف من خلال كتاباته زيف ادعائه وحقيقة منهجه الكيفي مما جعلنا نتحفظ من قوله: «إذا اردنا أن نصحح الاغلاط المكتسبة من الماضي بصدد «محمد» فيجب علينا في كل حالة من الحالات لا يقوم الدليل القاطع على ضدها ان نتمسك بصلاية بصدقه، ويجب ان لا ننسى أيضاً أن الدليل القاطع يتطلب لقبوله أكثر من كونه ممكناً، وأنه في مثل هذا الموضوع يصعب الحصول عليه»<sup>(٢)</sup>.

سابعاً: الانطلاق من المنطق الوضعي العلماني، وطريقة التفكير الاوربية في تناول السيرة الشريفة للنبي ﷺ واهل بيته عليه السلام: حاول المستشرقون أن يخترقوا السيرة النبوية ويخضعوا حياة نبي الاسلام «محمد» ﷺ واهل بيته عليه السلام للغربيين في التربية والسيكولوجيا<sup>(٣)</sup>.

إن المنطق الوضعي العلماني والرؤية الاوربية في منهج البحث التاريخي أدّى

- فأين اذن (محمد) الحقيقي الذي بُسّر به في كتب النصاري؟

(١) ولفنتسون، اسرائيل - «تاريخ اليهود في بلاد العرب» - ص ١٢٥ - ١٢٧.

(٢) وات، مونتغمري - «محمد في مكة» - ص ٩٤.

(٣) الجندي، نور - «أبرز اهداف المستشرقين» - مجلة منار الاسلام العدد ٨ - السنة ١٤.



إلى أن تقع مجموعة من المستشرقين في تزوير وتحريف الحقائق التاريخية، منها قولهم: «ان الرسول ﷺ لم يكن يخطو خطوة واحدة، وهو يعلم مسبقاً ما الذي يليها...» أي انه كان يتحرك وفق ما تمليه عليه الظروف الراهنة من متطلبات ولوازم، دونما أي تخطيط شمولي وأفق عالمي، كما هو وارد في القرآن الكريم ومتواتر فيما نقل من السيرة النبوية، ومن ابرز من تبني هذه المقولة هو المستشرق «فلهاوزن» ومجموعته الاستشراقية، إذ قالوا بإقليمية دعوة الرسول ﷺ للإسلام في عصرها المكّي، وانه لم ينتقل إلى المرحلة العالمية - في العصر المدني - إلا بعد ان اتاحت له الظروف ذلك، ولم يكن ليفكر بذلك من قبل. وقد أشار المستشرق «سير توماس أرنولد» إلى هذه الرؤية الخاطئة لدى زملائه بقوله: «من الغريب أن ينكر بعض المؤرخين أن الإسلام قد قصد به مؤسسه في بادئ الامر أن يكون ديناً عالمياً برغم هذه الآيات البينات»<sup>(١)</sup>.

وقد سبقتنا الإشارة إلى أن المستشرق الفرنسي «دينيه» الذي أعلن إسلامه قال في هذا الصدد أيضاً: «انه من المتعذر ان لم يكن من المسحيل، أن يتجرد المستشرقون عن عواطفهم وبيئتهم ونزعاتهم المختلفة، وانهم لذلك قد بلغ تحريفهم لسيرة النبي والصحابة مبلغاً يُحسنى على صورتها الحقيقية من شدة التحريف فيها، ورغم ما يزعمون من اتباعهم لأساليب النقد البريئة ولقوانين البحث العلمي الجاد، فإننا نلمس من خلال كتاباتهم محمداً ﷺ يتحدث بلهجة ألمانية إذا كان المؤلف ألمانياً، وبلهجة إيطالية إذا كان الكاتب إيطالياً. وهكذا تتغير صورة محمد ﷺ بتغير جنسية الكاتب. وإذا بحثنا في هذه السيرة عن الصورة الصحيحة فانا لا نكاد نجد لها من اثر. إن المستشرقين يهدمون لنا صوراً خيالية

هي أبعد ما تكون عن الحقيقة. إنها أبعد عن الحقيقة من أشخاص القصص التاريخية التي يؤلفها أمثال «وولتر سكوت» و«الكسندر دumas». وذلك أن هؤلاء يصورون أشخاصاً من أبناء قومهم، فليس عليهم إلا أن يحسبوا حساب اختلاف الأزمنة، أما المستشرقون فلم يمكنهم أن يلبسوا الصورة الحقيقية لأشخاص السيرة فصوروهم حسب منطقهم الغربي وخيالهم العصري...».

ولتقريب الفكرة يضرب «دينه» مثلاً عكسياً، فيقول: «ما رأي الأوربيين في عالم من أقصى الصين يتناول المتناقضات التي تكثر عن مؤرخي الفرنسيين ويحصيها بمنطقة الشرقي البعيد ثم يهدم قصة (الكاردينال ريشيليو)<sup>(١)</sup> كما نعرفها ليعيد إلينا ريشيليو آخر له عقلية كاهن من كهنة بكين وسماته وطباعه؟ إن مستشرق العصر الحاضر قد انهوا إلى مثل هذه النتيجة فيما يتعلق برسمهم الحديث لسيرة الرسول ﷺ. ويخيل إلينا أننا نسمع محمداً ﷺ يتحدث في مؤلفاتهم إما باللهجة الألمانية أو الانجليزية أو الفرنسية، ولا تمثل قط بهذه العقلية والطباع التي الصقت به، يحدث عرباً باللغة العربية»، ويختم هذا المستشرق المسلم كلامه بالقول: «إن صورة نبينا الجليلة التي خلفها المنقول الإسلامي تبدو أجمل واسمى إذا قيست بهذه الصورة المصطنعة الضئيلة التي صيغت في ظلال المكاتب بجهد جهيد»<sup>(٢)</sup> وأخيراً فإن هذا النمط من انماط النماذج المختارة في العقلية

(١) (ريشيليو)، آرمان جان دوبليسي (١٥٨٥ - ١٦٤٢م) كاردينال وسياسي فرنسي، كبير وزراء لويس الثالث عشر والحاكم الفعلي لفرنسا (١٦٢٨ - ١٦٤٢م)، قضى على نفوذ نبلاء الاقطاع ونفوذ البروتستانت السياسي، سعى إلى إزلال آل هابسبورغ في حرب الأعوام الثلاثين، أجرى إصلاحات مالية وعسكرية وتشريعية، وشجع التجارة، ورعى الفنون، وأنشأ الأكاديمية الفرنسية، عن البليكي، منير - «المورد» - الجزء الثامن - ص ١٥٠.

(٢) دينه، إيتين - «محمد رسول الله» - ترجمة عبد الحليم محمود - المقدمة ص ٢٧ - ٢٨، ٤٣ - ٤٤.

الاستشراقية والمصبات الموضوعية التي وقع الجهد الاستشراقي عليها، يكشف لنا بوضوح مدى التعصب والمنهجية المغرضة، والدوافع التبشيرية والاستعمارية في واقع الحركة الاستشراقية واعمال المستشرقين، فكانت النتائج التي تمخضت والمعطيات التي أفرزت ذات ثلاثة ابعاد اساسية:

الاول: كان بمثابة مسح ميداني للشرق الاسلامي فكرياً وحضارياً.

الثاني: التشويه الموضوعي للفكر الاسلامي والحضارة القائمة عليه بهدف منع تأثر المجتمع الاوربي به، اضافة إلى تكوين ارتكاز ذهني عن تخلف المسمين وجهلهم المركب ليكون مبرراً لاستعمارهم.

الثالث: النيل من العقائد الاسلامية (في القرآن وفي الرسول ﷺ... الخ) وتشويه حقائقها بهدف نفي قدسيتها من نفوس المسلمين، وبذلك يمكن فك الارتباط بينهم وبين معتقداتهم ليطم الجانب السلبي من عملية التغيير للمجتمعات الاسلامية.

وبهذه الابعاد أو قل المقدمات الثلاث تنهياً الارضية المناسبة لقيام اوربا بالغزو التبشيري والاستعماري للشرق الاسلامي فكرياً وسياسياً وعسكرياً، فيبرز الجانب الايجابي من عملية التغيير للمجتمعات الاسلامية إلى الواقع.

## الفصل الخامس

مَنَّاخُ مَكِّيَّابِ الْمُسْتَشِيرِينَ فِي مَنَاجِ  
تَهَافُؤِهِمْ لِلشَّقَرِ الْأَسْلَامِيِّ

- ارندجان فلسنك Arandjan Wensink
- صموئيل زويمر Samual Zwemer
- لويس ماسنيون Louis Massignon





طيلة قرون وحتى فترة متأخرة من القرن العشرين لم تتعرف الشعوب الغربية على الشرق الإسلامي من خلال مصادره الخاصة وتراثه المباشر، وإنما عرفوه من خلال رجال متخصصين، وعلى رأسهم المستشرقون الذين جالوا بلدان الشرق الإسلامي، وسجلوا مشاهداتهم الحسية من الواقع، ونقلوا إلى جامعاتهم ومعاهدهم الآلاف من الكتب والمصادر والوثائق وأخضعوها للدرس والتحليل. وعلى أساس من خلفياتهم الغربية ومنطقهم العلماني وشعورهم الاستعدادي لكل ما ينتمي للإسلام فكراً ومجتمعاً، واستهدافهم المتناغم مع التطلعات الاستعمارية لدول الغرب، صوّروا الإسلام ومجتمعه للغربيين، بل طرحوه لأُمم العالم وشعوبه بثوب جديد نسجته عقولهم على ضوء نظريتهم وخلفياتهم تلك، فخرج مشوّهاً في حقيقته، مزيناً بأثواب التحديث وبريق التقدم الزائف، حتى أصبحت كتبهم ومؤلفاتهم عن الشرق الإسلامي هي المصادر الأساسية ومراجع التعريف والدراسة الوحيدة تقريباً للشرق الإسلامي في جميع معاهد وجامعات الغرب، بل وأغلب الجامعات التي أنشئت على المنهج الغربي في أنحاء العالم. وفي سبيل تسليط الضوء على هذه الحقيقة رأينا أن ندرس منهج تفكير وطريقة تناول نماذج من رجال الغرب تعتبر من أكبر من تصدّى لدراسة الشرق الإسلامي وتعريفه والعمل على أرضه وفي وسط مجتمعاته. ولا يمكننا أن نخرج عن دائرة المستشرقين في هذه النماذج لأنهم هم وحدهم الذين تتوقّر فيهم خصائص الشمولية والتخصص في مثل هذه الدراسات، خصوصاً وأن كبارهم هم أصحاب

مدارس متميزة ورائدة في مجال دراسة الشرق الإسلامي إيديولوجياً واجتماعياً. إنَّ انتقاءنا لنماذج من كبار رجال الاستشراق سيكون منسجماً مع هدفنا في تشخيص وتقويم منهج دراسة الغربيين للشرق الإسلامي وتعريفه، كما أنَّ الأساس الذي اعتمدناه في هذا الانتقاء هو الدور الخطير فكرياً وميدانياً هؤلاء الرجال، والذي سيكشف لنا عن الأثر السلبي الكبير الذي تركوه على الذهنيَّة الغربيَّة في فهم الإسلام ومجتمعاته من جهة، وعن التخريب الفكري والاجتماعي الذي أحدثوه في المجتمعات الإسلامية عن طريق صياغة ايديولوجيات وبرامج تغيير لحرف توجهات هذه المجتمعات عن مسارها الإسلامي ومحق هويتها الدينيَّة من جهة أُخرى، وبذلك استغنى الاستعمار الغربي عن الاسلوب العسكري المباشر في السيطرة على الشرق الإسلامي، واكتفى بالاستعمار الفكري والمنهجي المتمثل بجملة من المبادئ والاطروحات الحديثة التي ألبست ثوب القومِيَّة أو الوطنيَّة تارة، وثوب التمدّن والتحديث تارة أُخرى، وثوب الدفاع عن حق الشعوب وحريتها الفكرية تارة ثالثة.

وفيما يلي ثلاثة نماذج رائدة في هذا المجال نتناولها تباعاً:

**أرندجان فنسك Arendjan wensink (١٢٩٩ - ١٣٥٨ هـ ،  
١٨٨٢ - ١٩٣٩ م)**

هو مستشرق هولندي كان استاذ اللغة العربية في جامعة ليدن من سنة ١٩٢٧م الى مماته، وقام برحلات الى مصر وسوريا وغيرها من بلاد العرب. اهتم بالحديث النبوي، وتولى الإشراف على تحرير معظم موضوعات «دائرة المعارف الإسلامية» سنة ١٩٢٥م بلغاتها الثلاث، فأتم منها أربعة مجلدات وخمس ملزم، وكتب مقالات كثيرة في مجالات مختلفة، وله كتب بالإنجليزية عن الإسلام والمسلمين<sup>(١)</sup>.

رُشِّح فنسك لعضوية مجمع اللغة العربية في مصر، ولشدة تعصبه ضد الإسلام تعرّض لهجوم من قبل الدكتور حسين الهواري مؤلف كتاب «المستشرقون والإسلام» الذي صدر سنة ١٩٣٦م مما أحدث أزمة معه كانت نتيجتها أن أخرج فنسك من عضوية المجمع، وكان السبب في هذا الهجوم قيامه بنشر رأيه في القرآن والرسول، مدّعيًا أنَّ الرسول ألف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التي سبقته<sup>(٢)</sup>.

ولهذا عُرف بأنه عدو لدود للإسلام ونبيّه ﷺ، ومنتعص بكتاباته كما في

(١) الزركلي، خير الدين - الاعلام «قاموس تراجم» ١ : ٢٨٩.

(٢) د. الهواري، حسين - المستشرقون والإسلام: ٧١٠ وما بعدها.



كتابه «عقيدة الإسلام» الذي صدر في سنة ١٩٣٢م<sup>(١)</sup>. ولما كانت مدينة (لندن) وجامعتها في هولندا قد اشتهرت بغزارة انتاجها الاستشراقي، فقد ترأس فنسك الذي كان يدرّس فيها مجموعة من زملائه للقيام بعملين كبيرين:

أولهما: دائرة المعارف الإسلامية، وصدر الجزء الأول منها عام ١٩١٣م، التي ضمّنها أخطر آرائه، منها ما ورد في كلمة «إبراهيم» وفي كلمة «كعبة». فقد أشار تحت لفظ «إبراهيم» إلى أن الآيات المكيّة ليس فيها ذكر لنسب اسماعيل لإبراهيم، ويقول: إنّه لا يعرف شيئاً عن شعور محمد نحو الكعبة في شبابه، وإنّ ما لديه من تاريخ حياته لا يصحّ أن يؤخذ أساساً تاريخياً. وينسب فنسك الى النبي ﷺ أنّه لم يشذ عن الجماعة في العبادة المكيّة، أي بعبارة أكثر وضوحاً أنّه كان وثيقاً قبل البعثة. ويفتري فنسك حين يصرّح أن كلمة إبراهيم اخترعت اختراعاً، ويزعم أن محمداً أراد بهذا الاختراع أن يتصل بإبراهيم<sup>(٢)</sup>.

ويطرح رأيه هذا ليؤكد نفس المقولة التي ردها أسلافه اليهود والنصارى عندما بُعث النبي محمد ﷺ بالإسلام، والتي ردها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

ويستمر فنسك في افتراءاته فيشارك كل من المستشرقين «سبرنجر» و«سنوك» في ترجمة النبي إبراهيم عليه السلام ضمن دائرة المعارف الإسلامية قائلاً: إنّ القرآن لم يحفل بإبراهيم، ولم يذكر أبوتّه لإسماعيل ولا أبوتّه للإسلام، إلّا في السور المدنيّة، وسرّ هذا الاختلاف أن محمداً اعتمد على اليهود في مكّة، فلما اتخذوا حياله

(١) د. البهي، محمد - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: ٥٥٥.

(٢) الجندي، أنور - الموسوعات الغربية من أخطر أعمال التغريب والغزو الثقافي - مجلة منار الإسلام، العدد ٦، السنة ١١.

(٣) آل عمران: ٦٧.

العداء لم يجد بداً من أن يلتصق غيرهم ناصراً هناك هداه ذكاء شديد إلى شأن جديد لأبي العرب إبراهيم، وبذلك استطاع أن يتخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية إبراهيم، تلك اليهودية التي كانت ممهدة للإسلام<sup>(١)</sup>.

ثانيهما: في مجال فهرست السنّة أصدر كتابين: أحدهما: معجم بالإنجليزية للألفاظ الواردة في أربعة عشر كتاباً من كتب السنن والسيرة. نقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، وسماه (مفتاح كنوز السنّة). والآخر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الذي نشره بالعربية وثوَّق في قبل إتمامه<sup>(٢)</sup>.

وقد حقق فنسك بهذا المشروع الضخم هدفين أساسيين كان يسعى إليهما أغلب المستشرقين في أعمالهم الاستشراقية في هذا الباب العلمي. الهدف الأول: هو تيسير العمل أمام المستشرقين لتناول السيرة النبوية بشكل تفصيلي دقيق يمكنهم من استقصاء ما يمكن أن يكون - بعد العلاج - مورداً للنقض والتشكيك والنيل من الإسلام ونبيّه ﷺ. والهدف الثاني: تحويل توجه الكتاب والباحثين عن السنّة النبوية إلى المراجع الاستشراقية، خصوصاً إذا لوحظ امتيازها الفني والموسوعي، مما يجعلها في الصدارة والمجال الأول بين مراجع المسلمين، فيعتمدون عليها ويكتفون بها رغم ما فيها من خلط وتحريف وافتراء، وينسون مع تقدّم الزمان مراجعهم الأصلية. وفي هذا المجال يقول الشيخ محمد حسام الدين: وكان أخطر عملهم في مادة (حديث) ومادة (سنّة)، لنجد فيها ما يجرح الإسلام وما يُفسد الحقيقة، وأنهم يقدّمون الشبهات في أساليب يعجز عنها الشيطان، وذلك ما رمى إليه «فنسك» وهو الطعن على وجه أشدّ في المصدر الثاني بعد كتاب الله وهو السنّة النبوية، بل بوصفها البيان لكتاب الله تعالى، فإذا جرى الاعتماد على

(١) دائرة المعارف الإسلامية - مادة إبراهيم

(٢) الزركلي، خير الدين - الأعلام «قاموس تراجم» ١: ٢٨٩.

مراجعهم كان هذا شديد الخطر على الإسلام والأجيال القادمة<sup>(١)</sup>.  
وقد أدخل فسنك بكتاييه «كنوز السنّة» و«المعجم المفهرس لألفاظ الحديث» أخبار وتقارير شاذّة وواهية مردودة نثرها في الكتابين، ودسّها في سياق الصحيح لتسوغ معه وتشتبه به، وليستقر في ذهن القارئ أنّها من الثوابت الواردة عن رسول الله ﷺ، وبعضه يصل إلى درجة الشناعة وتبرأ منه السنّة الشريفة. وإنّ اعتماد المنهج العقلي والعلمي يقتضي التنويه - ولو إجمالاً - إلى أنّ الأخبار والروايات المنسوبة إلى السنّة الشريفة فيها الصحيح الموثق، وفيها الضعيف والمرسل والمتروك، ويطلب من القارئ - على الأقلّ - مراجعة المصادر الخاصة ببيان قواعدها وطرق التثبت منها.

(١) الجندي، أنور - أبرز أهداف المستشرقين، مجلة منار الإسلام، العدد: ٨، السنة: ١٤.

## صموئيل زويمر Samuel Zwemer (١٨٦٧ - ١٩٥٢م)

من أبرز المستشرقين الأميركيين الذين خاضوا عملهم ميدانياً في منطقة الشرق الأوسط خصوصاً جنوب العراق ودول الخليج العربية، وهو المحرر للمجلة الإنجليزية الاستشرافية الشهيرة «عالم الإسلام» وقد اشتهر بدوره التبشيري وعدائه الشديد للإسلام. له مؤلفات عديدة عن الإسلام في العالم، وعن العلاقات بين المسيحية والإسلام، منها كتاب «يسوع في إحياء الغزالي» وكتاب «الإسلام تحدٍ لعقيدة» صدر سنة ١٩٠٨م. وكتاب «الإسلام» وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني سنة ١٩١١م بمدينة «لكناو» في الهند. ويعتبر زويمر من أكثر المستشرقين توجهاً نحو التنصير، وتقديراً لجهوده التبشيرية أنشأ الأميركيون وقفاً باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين<sup>(١)</sup>.

وكانت أولى أعماله الميدانية اختياره عضواً في الإرسالية الأميركية العربية عام ١٨٨٩م<sup>(٢)</sup>، وهي إرسالية أميركية بروتستانتية ذات أهداف تبشيرية في

---

(١) د. البهي، محمد - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: ٥٥٣ - ٥٥٤.

(٢) قام الدكتور لانسنج وهو استاذ اللغة العربية في معهد اللاهوت في نيويورك في ولاية نيويورك في الإرسالية الأميركية بتدريب المبشرين التابعين لكنيسة الإصلاح في الولايات المتحدة الأميركية، وكانت من مساعديه وهم: جيمس كايتن، وصموئيل زويمر، وفيليب فيلس بتشكيل هذه الإرسالية، وكان اسمها الأصلي «المجلة The Weel» وقد أطلق الدكتور لانسنج ومساعدوه هذا الاسم عليها، ولكنه اضطر لتغييره إلى الإرسالية العربية عام ١٨٨٩م. تلبية لطلب رسمي مقدم إلى هيئة الإرساليات الأجنبية =



منطقة الخليج العربية وشبه الجزيرة العربية (الحجاز). وقد كانت المهمة الرئيسية للإرسالية هي التبشير والتعليم الديني وتقديم الخدمات الطبية والصحية من خلال الواجهة التبشيرية. وكانت عملياتهم اليومية تدار من قبل لجان مشكّلة لهذا الغرض محلياً، وذلك وفق خطة عمل الإرسالية تحويل أهالي الجزيرة العربية إلى الديانة المسيحية حيث تقول «آن هاريسون»: لقد أرسلنا لتحويل الناس إلى المسيحية والدعوة إلى قدرة الله<sup>(١)</sup>.

وهكذا فإنّ هدف صموئيل زويمر - الذي كان من أبرز رفاقه في الإرسالية نشاطاً واندفاعاً (الدكتور لانسنج) - دفع جميع بني الإنسانية ليصبحوا أتباعاً للسيد المسيح ﷺ، وكانت خطة الإرسالية تجسّداً لهذه الأفكار. وقد عمل «زويمر» وصحبه كل ما بوسعهم لإرساء دعائم هذه الإرسالية.

ولمعرفة طريقة ومنهج تفكير وعمل زويمر يُطرح السؤال التالي: لماذا اختاروا اسم «الإرسالية العربية» لهذه المنظمة التبشيرية؟ وجوابه نجده في متن الخطة<sup>(٢)</sup> التي وضعها زويمر ورفاقه وهي:

- ١ - إنّ الهدف الأساسي لهذه المنظمة كان العمل التبشيري في البلاد العربية، وبشكل أساسي شبه الجزيرة العربية، التي هي موطن العرب والدين الإسلامي.
- ٢ - إنّهم أرادوا أن تكون هذه الإرسالية مختلفة ومميّزة عن غيرها من الإرساليات المسيحية لكي تستطيع أن تلفت الانتباه لهذا الميدان الجديد الذي

= التابعة لكنيسة الإصلاح في أميركا للقيام بعمل تبشيري في البلاد الناطقة بالعربية.

عن د. التميمي، عبد الملك خلف - التبشير في منطقة الخليج العربي: ٤٥ - ٤٦.

(١) HARRISON - Ann - Atol in his hand, N.Y. 1958. P. 126.

عن د. التميمي - عبد الملك خلف، كتاب «التبشير في منطقة الخليج العربي».

(٢) د. التميمي، عبد الملك خلف، التبشير في منطقة الخليج العربي، الملحق الأول، خطة الإرسالية الأمبركية العربية: ٣١٧ - ٣١٨.

كانوا يعتقدون أنه مهياً لاستقبال أمثال هذه الدعوة.

٣- إن اختيار الاسم يهدف الى التغلب على الشكوك التي يحملها العرب نحو أنشطة الأجانب. وهذه الشكوك كانت طبيعية جداً، خصوصاً في ذلك الوقت عندما كان الصراع الأجنبي على أشده في منطقة الخليج العربية بشكل خاص. وقد وضعت الأصول العامة لنشاط الإرسالية في المرحلة المقبلة واختيرت الجزيرة العربية هدفاً لها.

وعن الأسباب التي دعت لاختيار الجزيرة العربية هدفاً للإرسالية يقول صموئيل زويمر: إن من بين الدوافع للعمل في (الجزيرة العربية) أولاً: الأسباب التاريخية. إن للمسيح حقاً في استرجاع الجزيرة العربية، وقد أكدت الدلائل التي جمعت لدينا في الخمسين سنة الأخيرة على أن المسيحية كانت منتشرة في هذه البلاد في بداية عهدها. وهناك دلائل أثرية واضحة على وجود الكنيسة المسيحية هناك، ولهذا فإن من واجبنا أن نعيد هذه المنطقة الى أحضان المسيحية<sup>(١)</sup>.

والسبب الثاني هو أن النجاح المسيحي في الجزيرة العربية سيكون نقطة تحول في العمل التبشيري المسيحي، وهذه الفكرة كانت تفترض أن نجاحهم سيكون منطلقاً لفتح أبواب المنطقة بأكملها أمام التبشير المسيحي. إن أهم ما قامت به الإرسالية أنها قدّمت للمبشرين الأميركيين مساعدات قيمة، وأهم هذه المساعدات ما يتعلق بتقديم المعلومات عن أحوال المنطقة وخصوصاً الجغرافية والاجتماعية والدينية، بالإضافة الى هذا، فإن الإرسالية العربية حصلت على تعاون المنظمات المشابهة في العراق كالإرسالية المتحدة في العراق، والمجلس المسيحي للشرق الأوسط، وجمعية الكنيسة التبشيرية. وكانت أولى محطات العمل

(١) Zwemer, S.M. and Cantine, J, OP. Cit, PP. 141 - 2.

عن د. التميمي، عبد الملك خلف: كتاب التبشير في منطقة الخليج العربي.

الميداني لهذه الإرسالية هي البصرة التي أصبحت فيما بعد مركزاً وقاعدة لعملياتهم في منطقة الخليج العربية، وهي من بين المناطق الهامة التي كانوا يخططون لاحتلالها<sup>(١)</sup>.

وكان الرائد الأول للعمل في هذه المحطة هو المستشرق «صموئيل زويمر» الذي كان يحظى بحماية القنصلية الأميركية في البصرة من ردود فعل المواطنين وقياداتهم الدينية التي كان يواجهها بالإضافة الى سلطات الدولة العثمانية.

ومن البصرة بدأ عمل الإرسالية بقيادة «زويمر» لتغطية معظم أراضي الخليج وبعض أجزاء شبه الجزيرة العربية ممهدين لذلك برحلات استكشافية لدراسة الأوضاع الجغرافية والسياسية بشكل مباشر، ثم على ضوءها يتم التخطيط للامتداد في المناطق المناسبة، ويبدأ العمل تدريجياً حتى تثبت أقدامهم في تلك المناطق. وقد استطاعوا أن يستقروا في البحرين ثم في مسقط وهكذا في الكويت وقطر، ثم تلتها المحطات الفرعية كالعجوة والناصرية في العراق، وميناء مطرح في مسقط.

وقد اشتهر «زويمر» هذا بأنه كان يلقب نفسه بـ «ضيف الله» عند تردده بين البصرة والبحرين والاحساء، وكان عملياً جداً بحيث أن أول أعماله ضمن الإرسالية الأميركية العربية فتحه حانوتاً في السوق لبيع الكتب المختلفة، ثم

(١) إن كلمة (احتلال المنطقة) استخدمها المستشرقون المبشرون في أدبياتهم، وهي أقرب الى اللغة العسكرية منها الى التبشير السلمي الذي يدعون لأجله.

The Arabian Mission Correspondence 1890 - 1898 Archives

No. 753 - Box VI . letter From Rev. - J. Contian to the Board dated May

26-1892 , the theological seminary,

new Branswick , N . J . U . S . A.

عن د - التميمي ، عبد الملك خلف - كتاب التبشير في منطقة الخليج العربي .



تخصص بالتدريج في بيع الكتب التي تفرّق بين الأديان، ثمّ باشر بنفسه تأسيس مدرسة ومستشفى صغير للتنصير. ثمّ استقدم عدداً من المراسلين والدعاة للتنصير من النساء والرجال الأميركيين الى دول الخليج، وخصوصاً البحرين، وقد عرف بجرأته حتى أنّه استطاع أن يقتحم الأزهر ويوزّع منشوره المعروف تحت عنوان «ارجع الى القبلّة القديمة» ولعلّ هذا أحد قرائن ولائه الصهيوني الذي عُرف عنه مؤخراً.

لقد رأس زويمر عدداً من مؤتمرات التنصير العالمية التي عقدت في القاهرة والهند والقدس وأدلى فيها بتقارير ضافية عن الخطوات التي حققتها محاولته في (تنصير المسلمين). وقد كشف هذا المستشرق في أخطر مؤتمراته عن فشل مغامرة التنصير خلال ربع قرن، وتراجع عن دعوته فقال: إنّهُ لا يدعو لإدخال المسلم في النصرانيّة، وإنّما يدعو الى إخراجهِ من الإسلام ويقول: لقد صرفنا من الوقت شيئاً كثيراً وأنفقنا من الذهب قناطير مقنطرة، وآلفنا ما استطعنا أن نؤلف وخطبنا، ومع ذلك كله فإننا لم ننقل من الإسلام إلّا عاشقاً بنى دينه الجديد على أساس الهوى، فالذي نحاوله من نقل المسلمين من دينهم هو باللعب أشبه منه بالجد... وعندي أنّنا يجب أن نعمل حتى يصبح المسلمون غير مسلمين. إنّ عملية الهدم أسهل من البناء في كل شيء إلّا في موضوعنا هذا، لأنّ الهدم للإسلام في نفس المسلم معناه هدم الدين على العموم<sup>(١)</sup>. وقد دعا زويمر الى توسيع نطاق التعليم التنصيري تحت أسماء أخرى لخداع المسلمين، ودعا الى توحيد هيئات التنصير.

لقد كان زويمر متطرّفاً شديد التعصّب ضد الإسلام والمسلمين، وقد بلغ به الأمر الى أن يحذّر من أي تقارب وتوافق مع المسلمين «فقد هاله أن يرى نفراً من

(١) الحندي، أنور - مجلة منار الإسلام، العدد ٦، السنة ١١، حرب الكلمة ومخططات كرومر ودنلوب وزويمر ضد الإسلام.



النصارى يدعون الى مصادقة المسلمين في الصين، لأن هذه الصداقة في نظره تخلف في نفس النصارى جناً عن التبشير»<sup>(١)</sup>.

ونلاحظ من خلال ما تقدم عن هذا المستشرق المبشر أن جوهر عمله هو تحقيق غاية الدول الغربية الطامحة الى السيطرة والاستعمار، ولم يكن يخفي في نفسه ذلك، بل إنه يعتبر أن دوره ودور نظرائه لا ينتهي عند حد استعمار الشرق، بل لابد أن يستمر لاستدامة هذا الاستعمار وتركيز أراضيته، فيقول في المؤتمر التبشيري الذي عقد في عام ١٩١١م في لكناو بالهند: إن خمسة وتسعين مليوناً على أقل تقدير من أتباع نبي مكة يتمتعون اليوم بنعمة الحكم البريطاني<sup>(٢)</sup>. وكذلك يؤكد ماقلناه عنه من رأيه الصريح الذي يفصح عنه بقوله: إن الأبواب المفتوحة التي تؤدي فعلاً الى الإسلام إنما هي المستعمرات التي يعيش فيها المسلمون تحت حكم مسيحي أو حكم وثني أيضاً (في إفريقيا والهند مثلاً)<sup>(٣)</sup>. ويقصد بذلك أن عملهم يجب أن يبدأ بمرحلته الثانية عندما يستعمرون هذه البلاد ولا يتركون للإسلام فرصة حياة ووجوداً في واقع المسلمين.

وعندما أخذ المؤتمر في مؤتمر «لكناو» بالهند يتدارسون الأحوال السياسية في العالم الإسلامي، خطب زويمر وقال: إن الانقسام السياسي الحاضر في العالم الإسلامي دليل بالغ على عمل يد الله في التاريخ، واستشارة للمديانة المسيحية (التي تقوم بعمل) إذ إن ذلك يشير الى كثرة الأبواب التي أصبحت مفتوحة في العالم الإسلامي على مصاريعها. إن ثلاثة أرباع العالم الإسلامي يجب أن

(١) عن د. خالدى، مصطفى، ود. فروخ، عمر.

MW. Adr. 28, PP. 109 ff.

من كتاب «التبشير والاستعمار في البلاد العربية»: ٢٨.

(٢) عن د. خالدى، مصطفى، ود. فروخ، عمر. Islam and Missions. 14. في كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ١٤٦.

(٣) المصدر السابق: ١٤٦. Islam and Missions. 22.

تعتبر الآن سهلة الاقتحام على الإرساليات التبشيرية. إنَّ في الإمبراطورية العثمانية اليوم وفي غربي جزيرة العرب وفي إيران والتركستان والأفغان وطرابلس الغرب ومراكش سدوداً في وجه التبشير، ولكن هناك مائة وأربعون مليوناً من المسلمين في الهند وجاوة والصين ومصر وتونس والجزائر يمكن أن يصل إليهم التبشير المسيحي بشيء من السهولة<sup>(١)</sup>.

وهكذا نجد زويمر يقوم بدوره الميداني ممهداً ومنظراً لحركة الاستعمار في الشرق، حتى وصل به الأمر أن ينصح بريطانيا العظمى أن تبدل سياستها المهادنة في مصر تبديلاً أساسياً، وأن تشعر المصريين بقوة بريطانيا وبنعمها عليهم<sup>(٢)</sup>. وهذا بكلمة أخرى ترسيخ الاستعمار بالقوة والقهر.

ولم يهمل زويمر أسلوب الإغراء مستفيداً مما يعتبر أحد الأساليب الناجعة التي مارسها المسلمون لكسب الناس إلى الدين الإسلامي، فقد كتب في المجلة الاستشرافية التي يحررها «العالم الإسلامي» مقالاً عنوانه «استخدام الصدقات لاكتساب الصابئين» الذي يبحث فيه كيف أن الإسلام على عهد الرسول ﷺ أجاز إعطاء الزكاة للمؤلفة قلوبهم، أي أولئك الذين دخلوا في الإسلام وكانوا ذوي حاجة وذوي اتجاه مادي<sup>(٣)</sup>. ويقصد بذلك أن استخدام الإحسان المادي من الأساليب المؤثرة في طريق التبشير المسيحي وتحويل الناس نحو النصرانية.

وهكذا وفي خاتمة الحديث عن هذا المستشرق الفعال يمكننا القول: إن ما وضعه من خطط وبرامج تبشيرية واستعمارية ما يزال العمل بها سارياً حتى اليوم، خصوصاً من خلال مناهج التعليم والتربية والثقافة في أغلب البلاد الإسلامية.

(١) عن د. خالد، مصطفى، ود. فروخ، عمر - التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ١٦٩ - ١٧٠. Islam and Missions, 22.

(٢) المصدر السابق: ١٧٤ f. 25 ibid.

(٣) عن د. خالد، مصطفى، ود. فروخ، عمر - التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ١٩٥.

## لويس ماسينيون Louis Massignon (١٨٨٣ - ١٩٦٣م)

من أكبر مستشرقى فرنسا، تسنّم مناصب حسّاسة كان لها الدور الكبير في توجيهاته الاستشراقية، فقد شغل منصب مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال إفريقيا. وكذلك الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر، ولعل العمل الذي شغله ماسينيون قد تناسب مع دور فرنسا في تشويه الفكر الإسلامي مقدّمه وطريقاً لإزالة العقبات عن حركتها الاستعمارية للشرق الإسلامي، ولهذا اشتهرت بأنّها من أبرز دول أوروبا الغربية في مجال إعداد جيش من المبشرين والمستشرقين، مدربين على أحدث وسائل التنصير والتبشير، انتشروا في إفريقيا ودول الشرق الأوسط<sup>(١)</sup>.

وهذا هو الذي دفع رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق «محمد كرد علي» للقول: «إننا نرى من واجبنا أن يشكّ كل عربي وكلّ مسلم في أكثر ما يصدر من الأحكام من الفرنسيين على الإسلام والمسلمين، وذلك لأنّه ثبت أن من الفرنسيين من لا ينظرون إلى كل أمر إلا بمنظار الاستعمار<sup>(٢)</sup>». ويؤكد الكاتب الإسلامي «مالك بن نبي» هذه الحقيقة في دور ماسينيون قائلاً: «إنّ ماسينيون قد تفرّغ آخر حياته للتبشير، وقد مدّ وزارة الخارجية الفرنسية بالمعلومات والتوصيات حول

(١) المركز الإسلامي للأبحاث السياسية في قم، عن كتاب «السياسة الفرنسية في الشرق الأوسط» ٥٦.

(٢) د. خالد، مصطفى، ود. فروخ، عمر - التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ٢٢١.



البلاد الإسلامية، وتهيئة العملاء والكتاب<sup>(١)</sup>. ويساعد على ما ذكرناه الوضع الميداني لماسينيون، فقد زار العالم الإسلامي أكثر من مرة، وخدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الأولى، وكان عضواً بالمجمع اللغوي المصري، وكذلك عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق، و«تعاون مع النظام الاستعماري الفرنسي في المغرب، وعبر عن مواقف الاستعمارية علانية»<sup>(٢)</sup>.

أما التوجهات العلمية لماسينيون في العلوم الاستشرافية فقد تعلم اللغات العربية والفارسية والتركية والألمانية والانجليزية، وعنى بالآثار القديمة، وأدت مشاركته في التنقيب عنها بالعراق (١٩٠٧ - ١٩٠٨م) إلى اكتشاف قصر الاخضر. درس تاريخ الاصطلاحات الفلسفية بالعربية في الجامعة المصرية القديمة (١٩١٣م) واستهواه التصوف الإسلامي فكتب عن «مصطلحات الصوفية» و«أخبار الحلاج» ونشر «ديوان الحلاج» مع ترجمته الى الفرنسية، وكذلك نشر «الطواسين» للحلاج، وكتب عن «ابن سبعين» الصوفي الأندلسي، وعن «سلمان الفارسي» وتظاهر بالدعوة الى فكرة توحيد الديانات الكتابية الثلاث.

نشر «منتخبات من نصوص عربية خاصة بتاريخ الصوفية في الإسلام» وتولى تحرير «مجلة العالم الإسلامي» الفرنسية التي سميت فيما بعد بـ «مجلة الدراسات الإسلامية» وأصدر بالفرنسية أيضاً «حوليات العالم الإسلامي» من سنة ١٩٢٣م الى سنة ١٩٥٤م، وكتب كثيراً في «دائرة المعارف الإسلامية» عن القرامطة والنصيرية والكندي وفلسفة ابن سينا وأمثال ذلك. وكتب كذلك «تاريخ

(١) ابن نبي، مالك - شاهد القرن الطائب.

(٢) د. ابن عبود، محمد - مجلة العالم، العدد ٢٩٤، المساهمة الإيجابية لحركة الاستشراق لا تنفي تعصب بعض المستشرقين ضد الإسلام.



العلم عند العرب» في «دائرة المعارف الممتازة» التي صدرت بباريس (المجلد الأول سنة ١٩٥٧م)<sup>(١)</sup>. وممن تأثر به ماسينيون تأثراً كبيراً هو المستشرق اليهودي النمساوي «أغناس غولدصهر» الذي حاول أن يثبت أن الحديث النبوي كله موضوع في عهد لاحق لعهد الرسول ﷺ، وذلك في كتابه «دراسات إسلامية» كما اعتبر الدين الإسلامي نسخة مشوهة للديانة اليهودية والمسيحية، حيث عبّر عن ذلك بوضوح في قوله: لا يهتّمنا من وجهة نظر التاريخ الثقافي أن لا تكون تعاليم محمد ناتجة عن ابداع عبقرية التي جعلته نبياً لدى شعبه، وإنّ المهم أنّه أخذ جميع تعاليمه من اليهودية والمسيحية<sup>(٢)</sup>. وبالتالي فإنّ ماسينيون أخذ كثيراً من تعاليم هذا المستشرق اليهودي، وبدأت واضحة على كتاباته وشروحه التي نشرها في أكثر من كتاب، فمثلاً كان ماسينيون يركز على المعارف الفلسفية والصوفية الشاذّة والسيئة كالتّي كتبها في دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة (السطح) كقول البسطامي: (سبحاني، سبحاني، إنّ لواني أعظم من لواء محمد، طاعتك لي يا رب أعظم من طاعتي لك)<sup>(٣)</sup>.

إنّ ماسينيون قد وضع ووظف جُلّ معارفه الاستشراقية في خدمة الأهداف الاستعمارية وفي مقدّماتها التبشير للنصرانية، ويتّضح هذا في أكثر من دليل، منها زعمه أنّ المسلمين يعتقدون في شأن عيسى بن مريم على ما جاء في القرآن، ومن أجل ذلك يرجو أن توجه الجهود الى جعلهم يعتقدون بعيسى بن

(١) الزركلي، خير الدين - الاعلام «قاموس تراجم» ٥ ٢٤٧.

(٢) د. ابن عبود، محمد - المساهمة الايجابية لحركة الاستشراق لا تنفي تعصب بعض المستشرقين ضدّ الإسلام. مجلة العالم، العدد ٢٩٤.

(٣) الجندي، أنور - أخطاء دوائر المعارف والموسوعات العالمية، مجلة «منار الإسلام»، العدد ٦ السنة

مريم نفسه، ولكن باسمه المسيحي<sup>(١)</sup>.

ولا شك في أن ماسينيون يدرك جيداً أن نظر المسلمين ونظر النصارى الى عيسى بن مريم مختلفان، إلا أنه كان يريد أن يغري المبشرين لاستثمار أي تشابه يمكن أن يكون مدخلاً للتأثير على المسلمين وتحويلهم الى النصرانية، أو على الأقل القبول ببرامجها التثقيفية ومنهجها التعليمية التي تكون طريقاً لربط المسلمين بالأيديولوجية الاستعمارية لأوروبا النصرانية. ومما تميّز به ماسينيون هو عدم اكتفائه بطبقة المتعلمين في التبشير، بل راح يُنظر لطريقة التبشير في وسط الأميين، ومارس ذلك بنفسه رغم أنه أستاذ جامعة في باريس ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية، وخلاصة طريقته كانت الاتصال المباشر بالأميين وطرح الأفكار والمفاهيم المسيحية من خلال الإشارات الكلية الواردة في القرآن الكريم، أو من خلال مفاهيم الإسلام المرتكزة في الوسط العام للاميين. فشلاً كان يدعو في إحدى مقالاته أن يعود الاعتقاد الإسلامي في رجوع عيسى بن مريم فينتفخ مع الحادث الثاني للمسيح النصراني الذي يعمل المهدي العربي على انتصاره<sup>(٢)</sup>. ويقصد بذلك أنه مادام لدى المسلمين أخبار برجوع المسيح عيسى بن مريم، فلماذا لا يكون هذا المسيح الراجع هو المسيح الذي يعتقد به النصارى اليوم؟ وبعبارة أخرى أن يعود المسلمون عن قولهم عيسى بن مريم، الى القول عيسى ابن الله، إذن فليؤمن به المسلمون ويتحولوا الى عقيدة النصارى. وكانت هذه الطريقة أحد أساليبه التي اعتقد بأنها ستكون فعالة لتحويل المسلمين عن دينهم، وبالتالي

(١) عن د. خالدي، مصطفى. ود. فروخ، عمر - كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ٤٤.

L' Islam et l' occident 164.

(٢) عن د. خالدي، مصطفى. ود. فروخ، عمر - كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ٨٣.

L' Islam. et L' occident (les cahiers du sud 1947) P. 164.

يسهل استعمارهم على دول أوروبا.

ومن أساليب «ماسينيون» التي دّيج لها المقالات الطوال هي ضرورة تشجيع الشرقيين للدراسة في أوروبا وأميركا، وذلك للتأثير عليهم عن طريق ضخهم في أجواء وأساليب الحياة الأوربية في التفكير والعلم والسلوك ليكون ذلك أرضية مناسبة لتطويعهم للفكر الاستعماري الأوربي، وبالتالي توظيفهم في خدمة أهدافهم في تطويع بلدانهم الشرقية لأوروبا المستعمرة، وفي هذا يقول ماسينيون لنظرائه الأوربيين: إن الطلاب الشرقيين الذين يأتون الى فرنسا يجب أن يلوّنوا بالمدنية المسيحية<sup>(١)</sup>.

ولعلّ من أبرز مصاديق هذا التوجّه لدى ماسينيون هو عنايته الفائقة ببعض هؤلاء الطلبة مثل «ميشيل عفلق» مؤسس حزب البعث العربي الاشتراكي ومنظره الفكري الذي قال عنه ماسينيون: إنه أنبع وأعزّ تلميذ في حياتي<sup>(٢)</sup>. وقد أظهرت عناية ماسينيون بميشيل عفلق بوضوح آراء التلميذ الفلسفية ومواقفه الخاصة ومدى انتمائه للفكر الأوربي الصليبي، وترجمته الحرفية لتعاليم الدين الكنيسي ومضامينه الفلسفية، ولعلّ أبرز وأخطر ما طرحه «عفلق» وأسس عليه فكر حزب البعث العربي الاشتراكي هو مقولته المعروفة<sup>(٣)</sup>: «الإيمان قبل المعرفة»<sup>(٤)</sup>. وهي مقولة نصرانية محضة أفرزتها المدرسة الكنيسية، وتوصل إليها عقلها اللاهوتي بناءً على قواعد وأسس القديس أوغسطين، التي جاءت لسدّ الشجرة الفكرية القائمة بين فكرهم اللاهوتي والعقل المتمثلة بمسألة التعقيد والنفص

(١) عن د. خالدي، مصطفى، ود. فروخ، عمر - التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ٨٩.

evue (Dieu Vivant) NO. 4, PP. 7 ss.

(٢) بلوط، علي - اعدام البعث - مجلة الدستور اللبنانية.

(٣) كاظم، فؤاد - آراء وأرقام حول نظام البعث في العراق: ٨٥.

(٤) عفلق، ميشيل - في سبيل البعث: ٤٥.



في إدراك الثالوث المقدس<sup>(١)</sup>.

وينظر عفلق مقولة: «الإيمان قبل المعرفة» التي استقاها من استاذة ماسينيون مكوّنا منها الفكر القومي الذي بنى عليه إيديولوجية حزب البعث العربي الاشتراكي فيقول: «... إننا نريد أن نعرف من قبل بنا ويؤثر على غيرنا من مجرد سماع نبرات صوتنا ومشاهدة حركتنا العادية وسلوكنا اليومي، نريد أن نعرف الذين يدركوننا بالغريزة، أيّ هواء صافٍ نستنشق، أيّ جوّ نزيه نحيا، دون أن نحتاج للبراهين والعلم والإثبات والأرقام...»<sup>(٢)</sup>.

ومما عُرف عن ماسينيون أنّه كان زعيم الحركة الرامية إلى الكتابة بالعاميّة وبالحرف اللاتيني التي تبناها الفرنسيون في الشرق الإسلامي، وركّز بدعوته هذه على المغرب ومصر وسوريا ولبنان، ومن استجاب لدعوته في هذا المجال الأب «رافائيل نخلة» حيث ألف كتاباً تحت عنوان «قواعد اللهجة اللبنانية السورية» وهو موضوع باللغة الفرنسية، والنصوص العربية منسوخة بالحرف اللاتيني، واستجاب أيضاً لهذه الدعوة «شكري الخوري» الذي ألف كتاب «التحفة العاميّة في قصة فنيانوس» التي نشرها الأب لاي اليسوعي، واستجاب كذلك «الخوري مارون غصن» أحد المدرسين في مدرسة «عين طور» في لبنان، وقد ألف كتاباً ذا عنوانين ومضمون عامي تحت اسم «في متلو هلكتاب»<sup>(٣)</sup>. أي (هل يوجد مثل هذا الكتاب) وأمثال هؤلاء كثيرون. والهدف من هذه الدعوة واضح، حيث أنّ ضياع اللغة الفصحى وحصر دائرة تداولها سوف يساهم في الحجر على مفاهيم القرآن اللغوية وبياناته البلاغية. وكذا الحديث الشريف وكتب المعارف الإسلامية

(١) كاظم، فؤاد - آراء وأرقام حول نظام البعث في العراق: ٨٥.

(٢) عفلق، ميشيل - في سبيل البحث: ١.

(٣) د. خالد، مصطفى، ود. فروخ، عمر - التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ٢٢٤.



وتراثنا العلمي الثر، وبدون اللغة العربية الفصحى تُفقد لغة العلم والمعرفة الإسلامية لتحل محلها تدريجياً اللغة اللاتينية التي تكون مدخلاً للمعارف الأوروبية نصرانية كانت أم علمانية. وهكذا نجد ومن خلال هذه الإمامة المختصرة عن المستشرق ماسينيون، أنه بذل جهوداً كبيرة على الصعيدين الفكري والميداني لربط الشرق الإسلامي بالعجلة الأوروبية، وأساليب متنوعة كان أبرزها تربية نماذج متميزة من تلامذته في الجامعات الفرنسية، بهدف إعدادهم رجال فكر في الشرق على الطريقة الأوروبية. وقد أشرنا إلى واحد من تلك النماذج وهو ميشيل عفلق الذي برز أحد رواد فكرة البعث القومي العربي في الشرق.

هذه الإمامة سريعة بنماذج منتقاة من كبار رجال الغرب المستشرقين كانوا رواد تنظير ومنهجية، ومراكز إدارة وإعداد لعمل أكثر من اهتموا بالشرق الإسلامي تطرفاً وحركة باتجاه الأهداف التبشيرية والاستعمارية لأوروبا وقد سبقت هذه النماذج مثلاً بارزاً يكشف عن درافع عملهم الحقيقية، وطريقتهم المتعصبة في التفكير، وأساليبهم الخبيثة في تشويه الإسلام ومجتمعاته، ومدى ارتباط ذلك بحركة الاستعمار الغربي للسيطرة على الشرق الإسلامي.

## الفصل السادس

مَنَاجِحُ مِنَ الدِّينِ وَالتَّشَوُّبِ فِي  
الْأَنْبِجِ الْمَوْسُونِ لِلْمُسْتَشِيرِينَ

- دَوَائِلُ الْمَعَارِفِ (البرطانية، الأمريكية، داروس الفرنسية).
- الموسوعة العربية الميسرة.
- قاموس المنجد.
- الموسوعة الإسلامية الميسرة.
- دائرة المعارف الإسلامية.
- لغوية وخلفية أبرز كتابها.
- الدرس والتسوية في موادها (سبهاات ورود).
- دكتور محمد (ص) وخيالته عماود وعونه.
- تناقض القرآن والتسوية في بعض آياته.
- تأثر محمد (ص) باليهودية والنصرانية والجاهلية واستفاوه منها في صياغة قرآنه ودينه الجديد.
- مفاهيم الإسلام وليدة إبداعات وقائلات منسوعة.
- غموض العديد من مقولات النبي محمد (ص) القرآنية.
- ادعاء النبي محمد (ص) وأبناؤه وأصطناعه وتأثره بمن حوله.



إنَّ تأسيس ثقافة الشرق وتنظير الرؤى العلميَّة عنها في مختلف مجالات المعرفة الإنسانيَّة على أسس منهجيَّة تخدم أهداف الغرب وحركته الاستعماريَّة في الشرق الإسلامي من أبرز ما اهتمَّ به المستشرقون، خصوصاً في إنتاجهم الموسوعي، وقد تفنَّوا في ذلك بأساليب مختلفة، فهم في الوقت الذي أضفوا على ظاهر دراساتهم الموسوعيَّة تلك الصبغة العلميَّة والمنهجيَّة التحقيقيَّة، انتهجوا سبيل الدسِّ الخفيِّ والتركيز على المنقولات الشاذَّة والمقولات الغريبة، ونجم ما من شأنه تشويه الحقائق وتحريف الواقع في موارد أساسيَّة وحسَّاسة من شأنها أن تشكَّك في أصول الدين الإسلامي وتاريخ المسلمين وسيرة نبيِّهم الكريم. هذا إضافة إلى أنَّ المنطق العلماني وخلفيَّتهم العدائيَّة للإسلام وكلَّ ما ينتمي له من مجتمعات وتاريخ وتراث حضاري سوف تتحكَّم في كتاباتهم وتنظيراتهم تلك. وهم بذلك يرمون إلى تحقيق هدفين رئيسيين:

الأوَّل: تأسيس ثقافة الشرق الإسلامي على ضوء النظرة الغربيَّة الهادفة إلى تركيز الاتجاه العلماني ومنطقه في تناول المعارف والعلوم الإنسانيَّة، وبالتعبير الاصطلاحي تغريب ثقافة الشرق الإسلامي، وهم بذلك يجردون المعارف الإسلاميَّة وثقافة المسلمين وتراثهم الحضاري من خصوصيَّاته الذاتية وصبغته الخاصَّة المعبرة عن انتماؤه للوحي والرسالة الإلهيَّة.

الثاني: خلق الأرضيَّة وتشديد أسس وعوامل علمنة الشرق الإسلامي ثقافيّاً ومنهجيّاً، واستعمار سياسيّاً وحضاريّاً من خلال اعتماد الثقافة والمناهج المغربيَّة في الجامعات والمعاهد المؤسَّسة بهدف تربية جيل المثقَّفين وساسة الشرق



المرتقبين لقيادة وإدارة الحكم في بلدانهم، على أساس المنهج الغربي وطريقته في احتواء الشعوب والمجتمعات، وبالتالي تحقيق أعلى رتب الاستعمار الحضاري للشرق الإسلامي.

وللسير الحثيث نحو هذين الهدفين وتحقيقهما على أرض الواقع، بشكل جذري ومؤثر، عمدوا إلى التعظيم العلمي والمبالغة الإعلامية بقيمة انتاجهم الموسوعية، وطرحوها على أنها المصادر الوحيدة في تناول الشمولي والمنهجية العلمية للمعارف الإسلامية على أسس الاستقصاء الموثق والتحقيق المنهجي، وبذلك صرفوا أنظار طلاب المعرفة والثقافة المعاصرين عن الأصول التقليدية والمصادر الأولية التي زخرت بها مكتبات الشرق الإسلامي واحتوتها خزائن التراث العلمي للمسلمين، حتى أصبحت هذه الأصول والمصادر - في نظر هؤلاء الطلاب - جزءاً من أحجار المتاحف وآثار التاريخ التي لا تعدو أن تكون تعبيراً عن الماضي الذي طوي وطويت معه قيمته المقترنة به.. وقد أدّى هذا الإعلام والتعظيم إلى اعتماد هذه الموسوعات مراجع علمية وثقافية للدراسات الجامعية الحديثة ولمناهج دروسها المقررة.

ومن أبرز نماذج موسوعات المستشرقين التي استهدفت فيها حقائق الإسلام بالدس والتشويه وتاريخ المسلمين وسيرة النبي الكريم محمد ﷺ بالتحريف هي:

## دوائر المعارف (البريطانية، الأميركية، لاروس الفرنسية)

وهي من دوائر المعارف الغربية المترجمة إلى اللغة العربية، والتي تعتبر من أخطر أعمال التغريب والغزو الثقافي، التي قامت على أساس معطيات الجهد الاستشراقي والتبشيري اللذين سارا معاً في خدمة هدف واحد وهو القضاء على الإسلام عن طريق تشويه معالمه وحرف مفاهيمه بالشكل الذي يناسب أهدافهم الخبيثة، والدس فيه بما يخالف الواقع والحقائق من روايات كاذبة وشخصيات مزيفة لا وجود لها، والتهجّم والافتراء على الشخصيات المقدسة والرموز العظيمة من رجالات الإسلام. ومن الأمثلة على ذلك هو عندما تقدّم هذه الدوائر للقارئ مادة (إسلام) ومادة (محمد) ومادة (قرآن)، حسب التصنيف لهذه المفردات التي تتبعها هذه الدوائر، تقدّمه على النحو الذي قدّمته دوائر الاستشراق والتبشير في القرن التاسع عشر، ولم تتحوّل عنه رغم التغيرات الإيجابية التي طرأت على الفكر الغربي في نظرتّه إلى الإسلام ومفاهيمه الحقيقية، ورغم العديد من الدراسات والكتابات التي صحّحت بعض الشيء أفكار ومقولات المستشرقين والمبشّرين القائمة على التعصّب الديني والحقد ضدّ الإسلام والمسلمين والتي كانت سائدة لديهم ومعتمدة عندهم طيلة القرون المنصرمة، ككتابات برناردشو، وداربر، وغوستاف لوبون.. وغيرهم.

أمّا نماذج نصوص تلك المواد فمنها ما أوردته دائرة المعارف البريطانية عن مادة (إسلام) حيث تدّعي فيها أنّ الإسلام مأخوذ من المسيحية واليهودية، وأنّ

الرسول لم يهاجر ولكنته هرب من مكة.. وأمثال هذه الافتراءات التي يحاولون من خلال طرحها إفراغ فكرة النبوة والرسالة التي يؤمن بها المسلمون من مفهوم ارتباطها بالغيب والوحي الإلهي، أو الانتقاص من مقام الرسول وقدرته على الأقل. وهم بذلك يوهمون من يقرأ ويراجع هذه الدوائر بأن الرسول ﷺ إنما يتصرف بوحي ذاته، وليس هناك ارتباط بينه وبين السماء، عن طريق الوحي، وأنه شخص عادي لا يتميز في خصاله وملكاته عن غيره. وللأسف فقد تسللت هذه المفاهيم المحرقة إلى دراسات المسلمين أنفسهم وكتاباتهم، فأخذ بعضهم يردد عند بحثه للتاريخ الإسلامي، وبالأخص مقاطع حياة الرسول الأكرم ﷺ نفس ما يردد المستشرقون والمبشرون من روايات كاذبة ومقولات مدسوسة، رغم أن هذه الافتراءات والدسائس تتناقض بشكل صارخ، والثوابت التاريخية التي أقرتها الدراسات الأوربية وأقلام مفكرها دفعت بعضهم مؤخراً إلى الاعتراف بالإسلام كدين سماوي.

ومن الملاحظ على المصادر التي اعتمدتها هذه الدوائر في معارفها أنها مصادر متأخرة زمنياً عن زمن الوقائع التاريخية، وأنها ضعيفة ومهملة بلحاظ القيمة العلمية لها، إضافة إلى مجهولية نصوصها وانقطاع سندها، وهي بذلك لا تعبر إلا عن الرأي الاستشراقي الأوربي بالنسبة لهذه المواد، خصوصاً المفردات المتعلقة بالإسلام (عقيدة وحضارة)، فإن للاستشراق موقفاً من ذلك يتمثل «بحاكمية الإسلام إلى مفهوم الدين في الفكر الأوربي» (Belgon) ذلك المفهوم المفرغ من أهم المعاني والمبادئ الأساسية للدين، وهو المفهوم العلماني للدين في أوربا، والذي يعني - عندهم - الطقوس والعبادة الكهنوتية، فالدين في المفهوم العلماني الأوربي علاقة بين الله وذات الإنسان فقط، وحتى هذه العلاقة لم تسلم من التحريف ولم تؤخذ مأخذاً حقيقياً ينعكس على أخلاقهم وسلوكهم وطريقة تعاملهم. وليس كذلك مفهوم الدين في الإسلام الجامع للعلاقين بين الله والإنسان، والإنسان



والإنسان، في السلوك الفردي والاجتماعي وعلى صعيد الحكم والدولة. وهذا معزز أساسي آخر من مغامز هذا البحث يحول دون استيعاب جوانب الإسلام المختلفة على حقيقتها.

وقد عُرف عن أغلب المستشرقين خصوصاً الكتاب في دوائر المعارف الغربية والعاملين فيها تعصبهم لوجهة نظر مزودجة:

الأولى: وجهة نظرهم إلى الدين النصراني الذي يدعون الإيمان به، وعليه فهم لا يُقرّون بوجود دين غيره أو بعده، رغم أن بعض دراساتهم تضمنت إقراراً بذلك، كما صرّح به بعضهم من خلال اعترافه بالإسلام وتدوينه ديناً سماًوياً خاتماً للأديان في بعض الكتب الغربية، مثل ترجمة معاني القرآن لـ «مونتيه»، والتي تسمّى بأنها قريبة إلى الصحة، وإن كانت لا تخلو من الثواب وبعض الأخطاء.

الثانية: النزعة الاستعلاتية (الاستكبارية) من زاوية المفهوم الاجتماعي والسياسي الذي يحكم فلسفة الحضارة الأوروبية كلّها، والنفوذ الاستعماري الأوروبي في بلاد الإسلام، وكلّها عوامل تمنع من الإقرار والاعتراف بالإسلام بعيداً عن التعصب الديني والعداء السياسي. لذا، ومن خلال هذا التعصب والعداء والفهم الناقص والنظرة العمياء، نرى أن مادة (الإسلام) في دائرة المعارف البريطانية لعام (١٩٨٠م) قد جاءت مليئة بالافتراءات والأخطاء عن سوء الفهم المقصود أو عن الجهل المركّب. ونفس الملاحظة نجدها في عرضهم لسيرة النبي الكريم محمد ﷺ، حيث أنهم يردّدون ما ردّده الاستشراق والتبشير خصوصاً ذلك الذي ثبت صلته الواضحة بمصدريه الخطيرين، الكنيسة ووزارة المستعمرات في الدول المستعمرة للعالم الإسلامي (بريطانيا، فرنسا، هولندا)، وكذلك ما ردّده الاستشراق الصهيوني والماركسي، كما في كتابات «اللورد



كرومر» والوزير الفرنسي «هانوتو»<sup>(١١)</sup>.

هذه الكتابات والمؤلفات مليئة بالأخطاء وهادفة إلى تصوير الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية على أنها غير قادرة على إثبات وجودها واستعادة مكانتها الحقّة. لهذا نجد أن دوائر المعارف هذه لا تفرّق بين مفهوم التوحيد والنبوّة كما هو في الإسلام والأديان الأخرى. ولا تفرّق بين الألوهيّة والنبوّة وبين الرسل والصحابة، كما نجدهم عاجزين عن فهم المعجزات وفلسفتها وفهم فكرة وحدة الأديان وتدرّجها الهادف نحو الكمال. ونجدهم يُخضعون النظريّة الشموليّة للإسلام التي تجمع بين المادة والروح في نظرتها للحياة والإنسان لمنهج تفسيرهم المادّي المحض للحياة والإنسان. فهم بذلك يبدأون عند تناوّلهم للإسلام من فكرة مسبقة ينظرون من خلالها في أبحاثهم ودراساتهم ويحاولون اقتناص النصوص والروايات التي تؤيّد فكرتهم تلك، وإن كانت غير مُسندة وساقطة عن الاعتبار، أو ضعيفة معروض عنها، أو شاذّة مهملة، ويُعرضون عن تلك التي تخالفها وإن كانت متواترة أو موثوقة الأسناد ومعتبرة.

(١١) الجدي، أنور - مجلة منار الإسلام، العدد ٦ السنة ٨٨.

## الموسوعة العربية الميسرة

وهي الترجمة الحرفية لدائرة معارف جامعة كولومبيا التي وضعت تحت إشراف علماء صهاينة وترجمها شفيق غربال وكوكبة من الباحثين<sup>(١)</sup>، وأضافوا إليها المواد الإسلامية العربية، وقد ترجمت وأعدت دون تقدير للتاريخ الإسلامي وحقائقه. ولو تتبعنا محتويات هذه الموسوعة بنظرة علمية فاحصة لوجدنا بوضوح سلبيات أساسية في منهجها وموادها، ويمكننا إجمالها في جانبين:

الجانب الأول: بعدها عن ثوابت التاريخ الإسلامي، وعدم أمانتها في نقل الكثير من حقائقه ومقولاته المعتبرة، حيث نجدها كثيرة الخلط فيما تورده من معلومات مغرضة في اعتمادها على الشاذ الساقط من الروايات والمصادر.

الجانب الثاني: عدم انطلاقها في تناول الموضوعات وتنظيم المعلومات من حاجة الكتاب والباحثين الإسلاميين، لعدم اعتنائها بوجهة النظر الإسلامية.

ومن الأمثلة الواضحة على وجود هذين الجانبين السلبيين في منهجها ومادتها ما يلي:

١ - تنكرها وإسقاطها للسنة الهجرية والتاريخ الهجري في كل ما تتناوله من مواد ومفردات خصوصاً ما يتعلق منها بعصر النبي ﷺ وما بعده من العصور.

(١) الجندى، أنور - مؤلفات في الميزان - مجلة منار الإسلام - العدد ٦ السنة ١٤.

٢ - طريقة ومستوى عرضها للمواد والمفردات الإسلامية جاء ضعيفاً للغاية، حيث نجده بسيطاً عادياً إلى أبعد الحدود، فاقداً للدقة والسعة والعمق المطلوب في تلك المواد والمفردات، مما يسلبها الحيوية الموضوعية والقيمة العلمية. ففي عرضهم للمواد الخاصة بالإسلام نجدهم يصوّرونها بشكل مدرسي بدائي، وبمستوى سطحي ساذج وغير دقيق لا يخرج القارئ منه بنتيجة ذات قيمة علمية وإحاطة واقعية، كما في مادة «صلاة» ومادة «صوم» ومادة «شريعة»، حيث اقتصر في الأخيرة مثلاً على ثلاثة أسطر مقتضبة جاء فيها: «اطلقت قديماً على كل ما يشتمل عليه الإسلام من عقائد وأحكام عملية، وخصصت الآن بمجموعة الأحكام الشرعية العملية المستنبطة من الكتاب والسنة أو الرأي والإجماع». وفي مادة «الإسلام» نجده يخلط كثيراً ويتجاوز الواقع والحقائق، فمثلاً يقرر فيها أن المذاهب الإسلامية لم يبق منها اليوم إلا أربعة ويعزو سبب ذلك إلى القصور العلمي للمسلمين، فقد جاء في أحد مقاطع المادة ما نصّه: «... وما هو إلا قليل حتى ظهرت المذاهب التي تعدّ بالعشرات في الفقه الإسلامي وأصوله، وإذا كان قد بقي منها أربعة، فما ذلك إلا لكثرة اتباعها وانتشار زعمائها في أرجاء الأرض، وكذلك لتقصير المسلمين في النظر وقصورهم عن اللحاق بشأو الأقدمين في العلم». وفي مواطن أخرى من نفس المادة يحاول بشكل أو آخر أن يعطي للبعد القومي الدور الأساسي في الفتوحات الإسلامية، وما انتشر الإسلام إلا أثر عرضي لها، كما في المقاطع التالية: «... وفي موجة تالية زحفت الجيوش العربية إلى جنوب فرنسا (غاليا)، ولكن توقفت الفتوح عند مدينة تور - پواتيه... صاحب هذا التوسع العربي السريع ظاهرة انتشار الإسلام في الأقطار المفتوحة، وانتقال اللغة العربية إليها.. وفي الوقت الذي كان فيه العرب ينسحبون من الاندلس، استولى العثمانيون (بعد تأسيس دولتهم القويّة بآسيا الصغرى) على ملك البيزنطيين في أوربا... وفي أثناء الحكم العثماني للبلدان الأوروبية التي سقطت

بأيديهم، اعتنق كثير من السكان الدين الإسلامي...».

هذا في حين نجده في مواد ومفردات عامة أخرى يتوسّع ويتعمّق بشكل متميّز ومتكّلف أحياناً. فلو قارنا بين مادة (مسجد) ذات الخصوصية الإسلامية ومادة (مسرح) كمادة عامة، نجد أنّ مادة (مسجد) قد كتب عنها خمسة عشر سطراً فقط، أمّا مادة (مسرح) فقد كتب عنها مائة وسبعين سطراً.

أمّا لو كانت المواد والمفردات مما تخدم أغراضهم وأهدافهم الخاصة فيبدلون عناية فائقة في إبراز وجهات نظرهم بها، وإن خالفت حقائق ثابتة يقول بها غيرهم، كما في المواد التي تتعلّق بفلسطين وتاريخ الأديان، حيث جاءت تفصيلاتها مفعمة بوجهة النظر اليهودية والتبشيرية<sup>(١)</sup>.

٣- تعرض الموسوعة، وبكلّ صراحة، وجهة نظر اليهود في مختلف المسائل والمواد خصوصاً في تلك التي تتميز بالطبيعة الدينية الحسّاسة، بل نجدها تحمّل القارئ فيها وجهات نظرهم تلك دون أن تعرض إلى جانبها وجهات النظر الأخرى، كما في المسائل والمواد التي تتعلّق بفلسطين، فهي تفرض فيها مفاهيم خطيرة لا تتفق والحقائق التاريخية، فنلّا تصوّر أن عصور ازدهار فلسطين وتوحي بأنّ حرية الحجّ المسيحي لها إنّما كان في ظلّ سيطرة الصليبيين، فيقول في مقطع من مادة فلسطين: «... ولما اعتلى قسطنطين الأوّل العرش صارت فلسطين كعبة يحج إليها المسيحيّون، وازدهرت البلاد في عهد يوستيان». وفي مواضع أخرى من نفس المادة تضع العرب والأتراك كأقوام وليس كمسلمين قبال المسيحيّين واليهود، وتنسب المواقف والأحداث إليهم بعنوانهم القومي لا الإسلامي، ومن نافلة القول بيان الهدف السياسي من وراء ذلك، ومن أمثلة ذلك ما جاء في المقاطع التالية: «.. وفي القرن السابع دخلت في حكم العرب، وفي القرن

(١) انظر مادة «فلسطين» ومادة «دين» من الموسوعة.



التاسع امتلاكها الفاطميون... خلّص العرب الأماكن المقدّسة من أيدي الصليبيين، وحكموا فلسطين حتى ١٥١٦م حينما وقعت في قبضة سليم الأول سلطان تركيا... وفي ١٩٢٠م استولى البريطانيون -الذين كانت فلسطين قد وقعت في قبضتهم في الحرب العالمية الأولى- على البلاد، وأعلنوا عزمهم على تخصيصها لإقامة وطن قومي لليهود. فجرت اشتباكات بين العرب واليهود في الفترة (١٩٢٠ - ١٩٣٩م) من جرّاء مقاومة الوطنيين العرب لسيطرة اليهود على بلادهم، وشرائهم أراضيهم». وهكذا في مقاطع أخرى. والشيء نفسه نجده في مادة «يهود» و«يهودية» حيث تعتمد هذه الموسوعة في بيان هذه المادة وعرضها على الإسرائيليات والروايات التي توردها المصادر غير المعتمدة والكتب غير العلميّة.

٤- ومن عجائب هذه الموسوعة هو أن باب الأديان والعقائد المليء بالخلط والتزوير، تمّ تحريره تحت إشراف أسماء كتاب وباحثين عرب، كالدكتور إبراهيم مدكور والدكتور أحمد فؤاد الأهواني وغيرهما، إمعاناً في التشويش على القارئ، في حين نجد كتاباً مسلمين وعرباً حرّروا فصولاً أخرى من الموسوعة لم تذكر أسماءهم في المقدمة.

وفي ختام هذا الاستعراض الإجمالي السريع للأخطاء والتشويش الذي احتوته هذه الموسوعة نشير إلى أن الأستاذ علي جواد الطاهر قد أحصى على موادّها (٣٧٠) خطأ تاريخياً، يجده مفصّلاً من أراد التوسعة في بحث شامل نشره في مجلّة المجمع العلمي بدمشق عام ١٩٦٩م.

## قاموس المنجد

اشتمل هذا القاموس - أول صدوره - على قسمين أو قل قاموسين: الأول هو قاموس للألفاظ اللغوية، وهذا عليه مأخذ كثيرة أهمها عدم اعتماده على الشواهد والدلالات اللغوية الواردة في القرآن الكريم إلا نادراً، باعتباره أبرز مصدر يعتمد لغويو العرب عليه، لكونه جاء بأبلغ وأفصح لغتهم في ظرف بلغوا القمّة في ذلك. والثاني هو قاموس أطلق عليه «معجم الآداب» إعداد «فردينال نوكل» وهو القاموس الحافل بالأخطاء والشبهات والذي عرض له العديد من الباحثين وكشفوا عن أخطائه، حتى أن أحدهم<sup>(١)</sup> أحصى فيه أربعمئة خطأ شائع - تاريخي وعلمي - وأحصى آخر<sup>(٢)</sup> مائة خطأ - تاريخي وجغرافي - من الأخطاء الصارخة، وعند استقصاء المصادر التي اعتمد عليها مؤلف القاموس المنجد نجدها عبارة عن دائرة المعارف الإسلامية التي سنشير إليها عند دراستنا للنموذج الخامس. ومن المصادر التي اعتمد عليها أيضاً كتاب التمدّن الإسلامي لـ «جرجي زيدان» وكتاب تاريخ الشعوب الإسلامية لـ «بروكلمان» الذي ملئ بالافتراءات والتشويه للحقائق الإسلامية، وكمثال على ذلك ما ورد في فقرة «معركة أحد» من اظهار للرسول بمظهر المعتدي على اليهود وأن القرآن الكريم قد أشاد بالخمر عطيةً

(١) وهو عبد الله كنون - بحث الموضوع في مجلة دعوة الحق المغربية ضمن أكثر من عشرة فصول.

(٢) وهو عبدالستار قراج - في بحث له في مجلة العربي الكويتية.

من عطايا الله الكبرى إضافة إلى اختلاق علل لتشريع حرمة الخمر ما أنزل الله بها من سلطان، وغيرها من الافتراءات. ونقتطع النص التالي من الفقرة المذكورة نموذجاً لذلك: «... ولكنها معركة أحد | أثرت في مركزه | النبي | ومكانته عند البدو المحليين. وإنما يظهر ذلك، مثلاً، في مقتل أربعين من رسله في ربوع قبيلة هوازن. وكان عليّ محمد أن يعوّض هذه الخسارة التي أصابت مجده العسكري من طريق آخر، ففكر في القضاء على اليهود، فهاجم بني النضير لسبب واه وحاصرهم في حيتهم. وإذا لم يجرؤ اخوانهم في الدين، من بني قريظة، على أن يسعفوهم، فقد اضطروا إلى الاستسلام بعد حصار دام بضعة أسابيع. ثم إنهم هاجروا إلى واحة خيبر، التي تقع على مسافة عشرين ميلاً شمالي المدينة، والتي كانت تنزل فيها جالية كبيرة من اليهود. وورّع النبي أراضي بني النضير على المهاجرين.

وعقب ذلك بقليل، حُرمت على المسلمين الخمر، وكانت بعض الآيات (سورة ١٦ : ٦٩) قد اشادت بها كعطية من عطايا الله الكبرى. وحُرّم الميسر، أو القمار على لحم الابل، وكان سبباً في إفقار كثير من البدو. والواقع أنّ تحريم الخمر (سورة ٢ : ٢١٦ وسورة ٥ : ٩٢) كان يهدف إلى تقييد الشعراء الذين كانوا كثيراً ما يتغنون بمجالسهم الخمرية المعربة، هذه المجالس التي كانت خليفة بأن تفسد روح النظام العسكري الصارم الذي أراده محمد لأتباعه. ولكن بعض المسلمين لم يلبث أن خرج على القانون، فعاقب الخمرة».

ومن نماذج الافتراءات والتزوير في قاموس المنجد - التي تكشف عباراتها وشرورها عن تعصب وحقد وفساد في المنهج وبعد كبير عن العلمية والإنصاف - ما جاء تحت مادة «محمد» ﷺ بالنص التالي: «محمد نبي المسلمين من بني هاشم، تزوج من خديجة ورزق منها فاطمة، دعا الأعراب إلى الإسلام وانتصر على المكّين في بدر، ولكنهم غلبوه في أحد، فعاربهم في حنين ودخل مكّة ظفراً»، وهذا كلام ناقص مشوب بتجاوز الحقائق، حاقد لا يمثل الحقائق التاريخية الثابتة.



ولا نشك في أن قاموس المنجد من أخطر القواميس التي انتشرت في دائرة واسعة وتناولته الأيدي في كل مكان، وذلك لما يحمله من أخطاء وافتراءات وتزوير حاقده، خصوصاً فيما حققه من إدخال كثير من المصطلحات الكنسية والطائفية واللاهوتية إلى الألفاظ العربية، علماً بأن هذه المصطلحات ليست عربية أصلاً. فضلاً عن تفسيرها من قبلهم تفسيراً لا يتفق مع مفاهيم الإسلام. ونحن عندما نراجع الجانب اللغوي والتاريخي لهذا القاموس نجد أنه يقحم تعابير واصطلاحات خاصة بالكهنة النصارى كمصطلح: كهنوتي وقدس وقداس.. وغير ذلك، في المفردات اللغوية ومعانيها.. وهكذا في الحقائق والمعارف التاريخية. وتجلّى النظرة الواقعية لهذا القاموس لو طالعنا المصادر التي أشرنا إليها والتي اعتمد عليها المؤلف، وهي جميعها مصادر غير أصيلة، لأنها تتراوح بين مصادر أجنبية متّهمة في دوافع مؤلفيها، ومصادر حديثة كدائرة المعارف الإسلامية ومجاني الأدب للأب «شيخو اليسوعي» ومؤلفات جرجي زيدان وبروكلمان<sup>(١)</sup>. وقد ملأت المطاعن في نراة وموضوعية هذه المراجع وقيمتها العلمية الآفاق، وأصبح عدم الوثوق بها أمراً قطعياً. كما أننا لا نجد بين هذه المصادر أي مرجع أصلي من الكتب العربية المعتمدة في كثير من المواد التي يشتمل عليها هذا القاموس، إضافة إلى أن الترجمة من المصادر الأجنبية كثيراً ما يُغير فيها لفظ الشيء المترجم، خصوصاً إذا كان المترجم له ليس علماً بل اسم محل أو شخص غريب، فلا ينفع في هذه الحالة إلا الرجوع للمصادر الأصلية التي توردته على وجهه. وقد أشار بعض الباحثين إلى أن من أكبر الأخطاء المعتمدة والدس والتبليس في هذا القاموس هو سكوته عن بعض الحقائق الثابتة تاريخياً عند المسلمين، كموقفه من مسيئة الكذاب الذي ادّعى النبوة، حيث يقول عنه:

(١) كتون، عبدالله - مجلة دعوة الحق المغربية.





## الموسوعة الإسلامية الميسرة

هذه الموسوعة هي خلاصة دائرة المعارف الإسلامية، أعدت تحت إشراف اثنين من كبار المستشرقين وهما: الانجليزي «جب»<sup>(١)</sup> والهلندي «كريمز»<sup>(٢)</sup>، وقد كتبت باللغة الانجليزية، وتقع في مجلد واحد، وترجمت إلى اللغة العربية تحت إشراف الدكتور راشد البراوي، وطبعها مكتبة «الانجلو» في القاهرة وصدرت في مجلدين بـ ١٢٥٦ صفحة من القطع الكبير<sup>(٣)</sup>.

وفي معرض بيان اتجاه وطبيعة هذه الموسوعة يقول الدكتور سالم اليافعي: «إن الموسوعة الإسلامية الميسرة هي خلاصة الفكر الغربي خلال القرون الأربعة الأخيرة، وإن الذين اشتركوا في إعدادها تحصل قائمة اسمائهم إلى أربعائة اسم». وفي مهرجان طبي كبير في تركيا قيام الدكتور اليافعي بحرق غلاف الموسوعة الإسلامية الميسرة إعلاناً منه بأن الأئمة الإسلامية قد وصلت على حد تعبيره إلى مرحلة (انقضاء) العقل العربي الإسلامي عن (البان) الحضارة النصرانية

---

(١) جب، هاميلتون ألكسندر روسكين Gibb, Hamilton Alexander Rosskeen (١٨٩٥م) مستشرق انجليزي، عُني بدراسة التراث الإسلامي، وتعريف الغربيين به، من أشهر آثاره دراسات في حضارة الإسلام (عام ١٩٦٢م)، وقد نقله إلى اللغة العربية الدكتورة إحسان عيسى، ومحمد يوسف نجم ومحمود زيد، «عن موسوعة المورد» ج ١٤.

(٢) ج - هـ - كريمز J. H. Kramers: مستشرق هولندي كثير الطعن في الإسلام وصاحب ميول تبشيرية صاغرة.

(٣) الجندي، أنور - مؤلفات في السوان - مجلة المنار: العدد ٧ السنة ١٩٧٠.

اليهودية والعقل الاستشراقي الغربي، وهي في نفس الوقت دعوة للعودة إلى المنابع الإسلامية ممثلة في القرآن الكريم وعلومه الإنسانية الكبرى وتراثنا الحضاري الشامخ من علم وطب وتاريخ وفقه وسياسة واقتصاد.

ويمكننا القول: إن هذه الموسوعة تمثل عصارة الجهد الاستشراقي في انيل من الإسلام والغض من شأنه من خلال ما يقارب ألف كتاب اعتمدت عليها مصادر لها، كانت قد ألّفت خلال أكثر من أربعمئة عام.

والشير في الأمر أن الانطلاقة التي بدأها المستشرقون في توجيههم هذا كان له سابقة في أوروبا، وهي ما قام به الطبيب «باراسلوس» عام ١٥٢٧م في مدينة بازل بسويسرا حيث أحرق كتب الطبيب المسلم ابن سينا في الميدان العام بمدينة بازل، مسجلاً بذلك نهاية تبعية أوروبا للحضارة الإسلامية، وبداية الهيمنة الثقافية والحضارية لأوروبا على الشرق الإسلامي.

أمّا مفردات الدس والتشويه التي حوتها هذه الموسوعة فلا تنحصر بزاوية واحدة، بل إنها ضمن مناقشتها للقضايا الأساسية تشمل الجوانب المتصلة بالعقيدة، كالرسول ﷺ والقرآن الكريم والسنة الشريفة، وكذلك ما هو متصل بأركان وفروع التشريع الإسلامي، كالصلاة والحج وغيرها، هذا إضافة إلى تناولها لجوانب من التاريخ الإسلامي وسيرة كبار رجال الإسلام وقائمه، وبملاحظة نقدية أولية نستجلي ما دُفن فيها من تحريف وتشويه، وتركز أنوفنا رائحة السموم التي دُست في موادها بأيدي مستشرقين يهود ونصارى بهدف تشويه معالم الفكر الإسلامي الأصيل وإثارة الشبهات حول تاريخه الناصع وشخصياته القيادية.. ويمكننا سوق نماذج عن ذلك كالآتي:

١- في جانب السيرة النبوية وتحت مادة (محمد) ﷺ، ومادة (قرآن) نجدهما مليئين بالدس اليهودي والتحريف النصراني والشبهات المفتعلة حول أحداث السيرة الشريفة وحقيقة القرآن الكريم، كما نجدهما قد كُتبتا بطريقة نكراء

تثير الاستغراب وتفتقر إلى المنهج العلمي السليم والأمانة التاريخية المطلوبة،  
ويزول منا هذا الاستغراب إذا عرفنا أن كاتبها هو المستشرق الشهير (بوهل)  
الذي امتلأت مؤلفاته بإثارة الشبهات والدس والتشويه، والذي يعدّ من أكثر  
المستشرقين حقداً على الإسلام وعلى نبيّه الكريم محمد ﷺ.

ففي مادة «سيرة» مثلاً عند بيان أصل السيرة وطبيعتها يدرك القارئ لها  
مدى الغمز - وفي مواضع متعدّدة - بأخلاق الرسول ﷺ وما عرف عنه من أمانة  
وصديق سواء في سلوكه الخاص أو في دعوته لرسالته، كما في المقاطع التالية من  
هذه المادة: «إن فكرة جمع قصة حياة النبي من مولده إلى وفاته في رواية متتابعة  
محكمة ليست فكرة قديمة في الجماعة الإسلامية ولا هي بالفكرة التي جاءت عفو  
الخاطر... هذا الاهتمام أبعد ما يكون عن طبيعة التاريخ بالمعنى الذي نفهمه من هذه  
الكلمة، وإنما انصرف إلى تخليد ذكر المغازي على غرار ما كان يفعل العرب في  
الجاهلية، تلك المغازي التي اشترك فيها المسلمون تحت راية قائدهم الذي كان  
جل أتباعه ينظرون إليه نظرتهم إلى أمير... وإن كان النبي ﷺ لا يختلف في  
خلقه اختلافاً مشهوداً عن أمراء الجاهلية. وقد كان الحافظ الأول إلى هذا الاهتمام  
هو الذي دفع القوم، كما نعلم، إلى إقامة السنّة في تلك الصورة الماثورة من الحديث  
المروى... فليست هذه المغازي إلا استمراراً أو تطوراً لأيام العرب... هذه السيرة  
يرجع أصلها إلى التحوّل الذي طرأ على شخصيّة محمد في ضمير المسلمين  
الديني... وإلى شيء آخر فوق هذا كله، وهو أن احتكاك المسلمين باليهودية  
والمسيحية ورغبته في أن يضعوا منشئ الإسلام في كفة منسئي هذين الدينين قد  
شجّعاهم على وضع تلك القصص التي أحاطوا بها شخص النبي والتي أحدثت  
هذا التحوّل الشامل في طبيعة شخصيته من مولده (بل قبل مولده) إلى وفاته».

٢ - في جانب التاريخ الإسلامي وسيرة الشخصيات البارزة فيه قلبت  
الكثير من الحقائق ودُسّت الكثير من السموم والشبهات، حتّى لكأنك تقرأ



تاريخاً وسيرة أخرى لا تمت للإسلام والمسلمين بصلة. ومن الشخصيات التي طالتها الشبهات ودُسَّت في سيرتها السمووم بعض صحابة الرسول ﷺ كحمزة بن عبدالمطلب والعباس بن عبدالمطلب، وبلال الحبشي، ومصعب بن عمير، وكذلك بعض أمهات المؤمنين. بل طالت أيضاً بعض الأنبياء السابقين الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم كنبى الله صالح عليه السلام، ونبى الله شعيب عليه السلام.

فمثلاً من صور التشويه لسيرة حمزة بن عبدالمطلب عم النبي والمحط من شخصيته ومصادقية اتهامه المبدئي للإسلام ما يقوله المستشرق «لامنس» في مادة «حمزة» من أنه: «عم النبي، وتزيد الروايات أنه أخوه في الرضاعة سعيماً منها إلى تمجيد هذا البطل من أبطال الإسلام في عهده الأول، ولا نعرف عن حمزة فيما عدا ذلك إلا القليل، ويزعم الجهال من مادحيه أيضاً أنه اشترك في حرب الفجار... وفي أول الأمر وقف حمزة من الدين الجديد موقف العداء شأنه في ذلك شأن سائر بني هاشم، على أن لحاج أبي جهل في خصومة النبي استشاره، ومن ثم يُقال أنه دخل في الإسلام بعد نزول الوحي على محمد بسنتين، أو بست في روايات أخرى. ثم هاجر معه إلى المدينة وعاش فيها أول الأمر عيشة المغرور البائس حتى لقد بلغ من أمره أن خرج عن وعيه في يوم من الأيام تحت تأثير الإفراط من الشراب وحمل بسيفه على جمالٍ لعلي».

٣- في جانب آخر من التاريخ الإسلامي أبرزت الموسوعة اهتماماً كبيراً بأصنام العرب قبل الإسلام، وما أسسته بطقوس الحج التي حاولت أن تخلط فيها بين طقوس الحج قبل الإسلام وما شرّعه الإسلام من فرائض عبادة الحج.

هذه الإمامة إجمالية سريعة عن مفردات الدس والتشويه الذي تضمنته هذه الموسوعة، ومن المؤسف أن نجد أن الأهداف الخبيثة التي استهدفتها هذه الموسوعة وأمثالها قد أثرت من خلال انخداع الكثير من أبناء الإسلام بها، خصوصاً أبناء الجيل الحديث من مثقفي وخرّيجي المدارس والجامعات العربية، حيث جعلوها

مصدر إلهامهم الرئيسي لمعرفة دينهم وحضارتهم وتاريخهم الإسلامي. ونتيجة للخطر الذي استشعره بعض الكتاب والمتبعين لخطط المستشرقين في تشويه معالم الدين الإسلامي وتاريخه وحضارته من خلال هذه الموسوعات عمدوا إلى تقديم البديل عنها، وتوجيه أبناء الإسلام لاستقاء معارف دينهم وتاريخهم وحضارتهم منها. ومن هؤلاء الكتاب الأستاذ أحمد عطية الله الذي قام بتأليف «القاموس الإسلامي» بديلاً عن الموسوعة الإسلامية الميسرة، الذي حرص فيه على تصحيح جميع ما فيها من أخطاء، إلا أنه توفي قبل أن يتمه. كما قامت جامعة البنجاب في الهند بمحاولة أخرى في مجال تقديم البديل، فعمدت إلى رفع جميع المواد الخرفّة والمشبوهة التي وردت في دائرة المعارف الإسلامية وخلاصتها المتمثلة بالموسوعة الإسلامية الميسرة، وقدمت البديل الإسلامي عنها بأقلام علماء مسلمين، ثم ترجمت هذه الدائرة بشكلها المصحح إلى لغة الأردو. وقامت مؤسسة مكتب التربية العربي لدول الخليج بإصدار كتاب في مجلدين ضم أكثر من ٣٠ بحثاً بالرد على بعض الكتب الاستشراقية المشهورة الطافحة بالتشويه والمليئة بالدس والسموم.

ولعلّ معالم الصحوة والوعي الإسلامي الذي برز في أفق الأمة الإسلامية، والمدد الإلهي الذي يشع من مراكزها العلمية الرائدة هيأت أرضية خصبة وخلقت توجّهاً كبيراً لمحاكمة كل ما كتبه الغرب عن الإسلام والمسلمين، سواء كان بأقلام المستشرقين والمبشرين أنفسهم أو بأقلام خريجي مدارسهم من أبناء الشرق، وبدأت هذه المحاكمة على شكل أبحاث شاملة ودراسات موسوعية بأسلوب علمي ومنهج هادف على شكل كتب أخذت مكانتها في المكتبة الإسلامية أو على صفحات المجلات المتداولة، مما يجعلنا نطمئن إلى أن ما حاكه الاستكبار الغربي على يد من يسميهم بالمستشرقين قد بدأ عدّه التنازلي وأفوله في عالم العلم والمعرفة.

## دائرة المعارف الإسلامية

لقد كُتبت دائرة المعارف الإسلامية - وهي أوسع إنتاج موسوعي استشرافي - من قبل مجموعة كبيرة من المستشرقين من جنسيات أوروبية مختلفة. وكان المشرف على معظم موادها هو المستشرق «فنسنك» أو «ونسنك»<sup>(١)</sup> المعروف بأنه من أكبر المتعصبين ضد الإسلام، والذي يدّعي أن الرسول ﷺ آلف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التي سبقتة<sup>(٢)</sup>، وقد نشرت هذه الدائرة باللغة العربية مرتين، الأولى عام ١٩٣٢م إلى حد الحرف (ع) والمرة الثانية في السبعينات دون أي تغيير في موادها.

ولغرض الإحاطة العلمية بأهم جوانب التشويه والدس الذي اشتملت عليه هذه الدائرة، والأغراض والأهداف الكامنة خلف ذلك لا بدّ لنا أن نتناولها من جانبين رئيسيين:

الجانب الأول: وهو التعرّف على هوية وخلفية أبرز العقول والأقلام التي تصدّت لكتابتها، والهدف من ذلك هو تسليط الضوء على منهج تفكير محرري هذه الدائرة، ومدى قربهم وبعدهم عن الموضوعية والأمانة العلمية في النقل والتدوين والاستنتاج، واكتشاف الأغراض والأهداف غير العلمية - إن

(١) راجع الترجمة الخاصة بـ «فنسنك» في الفصل الخامس: «نماذج من كبار المستشرقين في منهج تناولهم للشرق الإسلامي».

(٢) د. الهواري، حسين «المستشرقون والإسلام» ص ٧١٠ وما بعدها.



وجدت - التي تكمن وراء ما يقع بين أيدينا من صور ومفردات التشويه والدس، التي تظهر لنا أثناء التتبع والملاحظة العلمية النقدية لمواد وفصول هذه الدائرة. الجانب الثاني: وهو مادة الدائرة ومطالبها العلمية، ويتم ذلك من خلال التتبع التفصيلي بروح علمية منطقية لمواد وفصول هذه الدائرة، واكتشاف موارد الدس والتشويه فيها بعيداً عن التحميل والاختلاق، وتسليط الضوء على طبيعتها ودرجة أهميتها، لتكون عاملاً مساعداً في نجاح محاولتنا لاكتشاف أهداف وأغراض هذا التشويه والدس.

## هوية وخلفية أبرز كتابها

وفي هذا الجانب نورد ترجمة مختصرة لنماذج من المستشرقين الذين شاركوا «فنسك» في تحرير دائرة المعارف هذه وهم:

- ١- لويس ماسينيون Louis Massignon (١٢٩٩ - ١٣٨٢ هـ، ١٨٨٣ - ١٩٦٢ م)<sup>(١)</sup>: أكبر مستشرق فرنسي المتأخرين، وصفه الدكتور محمد البهي في كتابه «الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» بأنه من المستشرقين الخطرين. عمل موظفاً في وزارة المستعمرات الفرنسية في شبابه، ثم مستشاراً لها بقية حياته. الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر. زار العالم الاسلامي أكثر من مرة، وخدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الاولى. كان عضواً بالجمع اللغوي المصري والجمع العربي العلمي في دمشق. متخصص في الفلسفة والتصوف الاسلامي<sup>(٢)</sup>.

(١) لعزید من التفصیل لفرض الاحاطة بهوية وتوجهات هذا المستشرق راجع ترجمته الخاصة في الفصل الخامس: «نماذج من كبار المستشرقين في منهج تناولهم للشرق الاسلامي».

(٢) البركلي، خير الدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ٥ وكذلك الدكتور البهي، محمد - الفكر الاسلامي =



٢- يوسف شخت Joseph Schakel (١٣٢٠ - ١٣٩٠ هـ، ١٩٠٢ -

١٩٧٠ م): مستشرق هولندي من أعضاء الجمع العلمي العربي بدمشق. ولد في مدينة راتيبور بألمانيا. درس اللغات الشرقية وتخصص بالعربية، ونال الدكتوراه في الفلسفة عام (١٩٢٣ م)، ودرّس اللغات الشرقية بجامعة فرايبورغ (١٩٢٧ م)، وانتقل إلى جامعة كونكسبرج (١٩٣٢ م)، وفي عام (١٩٣٤ م) عُين أستاذاً لتدريس اللغات الشرقية في الجامعة المصرية، وعمل في وزارة الاستعلامات البريطانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥ م)، وتجنّس بالجنسية البريطانية. ودرّس في جامعة أكسفورد، وجامعة الجزائر، فجامعة ليدن (هولندا) عام (١٩٥٤ - ١٩٥٩ م)، ثم في جامعة كولومبيا بـ (نيويورك)، عُرف بتعصّبه ضدّ الإسلام والمسلمين.

من أعماله تصحيح كتب للخصاف ولحمد بن الحسن الشيباني وللقزويني، وجزأين من «الشروط» الكبير للطحاوي، وكتاب جالينوس في «الأسماء الطبية» من ترجمة حنين، وكتب أخرى في الفقه والفلسفة والطب. وله مؤلفات باللغات الألمانية والانجليزية والفرنسية في «تاريخ الأدب العربي» و«الفقه الإسلامي»، وله في مجلة المشرق ثلاث محاضرات بالعربية في «تاريخ الفقه الإسلامي»<sup>(١)</sup>.

٣- هنري لامنس اليسوعي H. Lommens (١٢٧٨ - ١٣٥٦ هـ، ١٨٦٢ -

١٩٣٧ م): مستشرق بلجيكي المولد، فرنسي الجنسية، من علماء الرهبان اليسوعيين. تعلّم في «لوفان» وفي «فيناء»، وتلقّى علم اللاهوت في إنجلترا. وكان استاذاً للأسفار القديمة في كلية «روما». استقر في «بيروت» فتولّى إدارة جريدة

= الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٥٥٦.

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٦: ٢٠٢، والرسالة ٢: ١٧١٥، والمشرق ٢٨ و ٢٩ و ٣٢ و ٣٣، والمستشرقون ٨٠٣، ومجلة الدراسات الإسلامية بعديرند ١٣: ٢٢١. عن الزركلي، خيرالدين - الاعلام «قاموس تواجهم» م ٨، وعن د. البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار العربي ص ٥٥٨.

«البشير» مدة من الزمن، وكذلك إدارة مجلة «المشرق»، ودرس في الكلية اليسوعية. شديداً التعصب ضد الاسلام والحق عليه، مفرط في عدائه واقتراءاته لدرجة أقلقت بعض المستشرقين أنفسهم. (انظر ص ١٥ - ١٦ من العدد ١، من المجلد ٩ يناير سنة ١٩٢٥م من «مجلة جمعية الدراسات الشرقية» الأميركية). اشتهر بأبحاثه عن عرب الجاهلية والعهد الاموي، وصنف كتاباً عن العرب والاسلام بالفرنسية، وكتباً بالعربية، منها: «مهد الاسلام»، «مكة قبيل الهجرة»، «الطائف قبيل الهجرة»، «الجزيرة العربية الغربية قبيل الهجرة»، «الاسلام»، «خلافة معاوية»، «خلافة يزيد»، «تاريخ سوريا»، «فرائد اللغة»، «المذكرات الجغرافية في الاقطار السورية»، «تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من الآثار» جزءان، «الألفاظ الفرنسية المشتقة من العربية»، «مختارات للترجمة من العربية الى الفرنسية وبالعكس»، مات في بيروت (١).

٤- رينولد ألين نيكلسن Reynold Allen Nicholson (١٢٨٥ - ١٣٦٤هـ، ١٨٦٨ - ١٩٤٥م): من أكبر مستشقي انجلترا المتأخرين. تخصص في التصوف الإسلامي والفلسفة. تعلم في كمبردج وغيرها، ودرس العربية والفارسية ودرّسها في جامعة كمبردج. كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري، وهو من المنكرين على الاسلام أنه دين رוחي، ويصفه بالمادية وعدم سمو الانساني، اشترك في نشر «تذكرة الأولياء» للعطار، و«اللمع» للسراج، و«ترجمان الأشواق» مقالات في التصوف لابن عربي. وله كتب بالانجليزية منها: «تاريخ الآداب العربية» صدر سنة ١٩٣٠م، و«متصوفو الإسلام» صدر سنة ١٩١٠م.

(١) مجلة المشرق ٢٥: ١٦١، والمستشرقون ٦٧، ومعجم المطبوعات ١٥٨٥، والرابع الاول من القرن العشرين، ١٥٩ والكتبخانة ٤: ١٧٦. عن الزركلي، خير الدين - الاعلام «قاموس تراجم» ٨م. وعن د. البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٥٥٨. وعن المتجدد «الاعلام» ص ٦٠٩.

و«دراسات في التصوف الإسلامي» ترجمه إلى العربية أبو العلا عفيفي، ونشر بها، و«ترجمات من الشعر والنثر» عن العربية والفارسية، وترجم وحلل كتاب «المثنوي والمعنوي» لجلال الدين الرومي<sup>(١)</sup>.

٥- دافيد صموئيل مرجليوث Davide Samuel Margoliouth (١٢٧٤ -

١٣٥٩هـ، ١٨٥٨ - ١٩٤٠م): وهو ابن حزقيال الانجليزي البروتستاني، متعصب ضد الاسلام، ومن كبار المستشرقين، من أعضاء المجمع العلمي العربي بـ«دمشق»، كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري، والمجمع اللغوي البريطاني، وجمعية المستشرقين الالمانية. مولده ووفاته بـ(لندن). تعلم في جامعة اكسفورد، وعين أستاذاً للعربية فيها سنة ١٨٩٩م. وعمل في مجلة الجمعية الآسيوية الانجليزية، ترأس تحريرها، ونشر فيها بحوثاً، منها «فهارس» لديوان أبي تمام، وزار الشرق الاوسط مراراً. ومما يذكر أنه سحب الكولونيل «بلفور» في زيارة لـ(بغداد) لمساعدة القيادة العسكرية البريطانية العامة في بعض الامور<sup>(٢)</sup>.

وفي إحدى الاجتماعات التي افتتحها بلفور قدّم للحاضرين «مرجليوث»، وقام هذا المستشرق فأخذ يخطب باللغة العربية، ومن جملة ما قاله لهم: «إن العراق قد تعود على حكم الاجانب منذ القديم، فقد حكمه المغول، وحكمه الاتراك، وحكمه الإيرانيون، وهو لا يستطيع أن يحكم نفسه، وعلى هذا يجب على العراقيين أن يختاروا الانجليز أو صيلاء عليهم، أو تحت انتدابهم أو حمايتهم»<sup>(٣)</sup>.

من مؤلفاته بالعربية كتاب «آثار عربية شعرية»، وامتاز بكثرة ما نشره من

(١) المستشرقون ٩٤، ومجلة الكتاب ١: ١٢١، ومعجم المطبوعات ١٨٨٦م، عن الزركلي، خير الدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ٣. وعن د. البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار العربي ص ٥٥٧، وعن العنجد «الاعلام» ص ٧٢١ وعن البعلبكي، منير - موسوعة المورد - المجلد السابع ص ١٢٩.

(٢) Burgoyne (Gerlud Boll) London 1961 - vol2 p103.

(٣) الباركان، علي (الوقائع الحقيقية) ص ٦٧.



مؤلفات العرب، «كمعجم ياقوت» و«إرشاد الأريب» و«الأنساب»، للسمعاني، و«ديوان ابن التعاويذي» و«حماسة البحتري» و«نشوار المحاضرة» للتنوخي و«رسائل أبي العلاء المعري» مع ترجمتها الى الانجليزية. وله في لغته كتب عن الاسلام والمسلمين، لم يكن فيها مخلصاً للعلم على الرغم من توسعه في معرفة المسلمين وأدبهم، منها «نشأة الإسلام الأولى» صدر في سنة ١٩١٣م، و«محمد وظهور الإسلام» صدر في سنة ١٩٠٥م، و«الجامعة الإسلامية» صدر في سنة ١٩١٢م<sup>(١)</sup>.

٦ - دانكن بلاك ماك دونالد Duncan Black Macdonald (..... ١٢٦٢هـ، ..... ١٩٤٣م): مستشرق أميركي من أشد المتعصبين ضد الاسلام. يصدر في كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة. من أوسع المستشرقين اطلاعاً على الدين الإسلامي، ومن كبار محري «دائرة المعارف الإسلامية»، ومن كتبه: «تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الاسلام» صدر سنة ١٩٠٨م. تعلم العربية والعبرية والسريانية. وله محاضرات ومقالات كثيرة بالانجليزية عن الثقافة الإسلامية في أكثر نواحيها. ونشر بالانجليزية «فهرس المخطوطات العربية والتركية في مكتبة نيوبري بشيكاغو»، وعني بكتاب «ألف ليلة وليلة» فجمع منه نسخاً لا توجد عند غيره<sup>(٢)</sup>.

٧ - إجناس كولد صيهر Ignaz Gold ziher (١٢٦٦ - ١٣٤٠هـ، ١٨٥٠ -

(١) انشرق ٣٩: ٥٤ - ٥٧ وسركيس ١٧٢٨ والمستشرقون ٩٣ وجريدة الانهرام ٤/٣/١٩٤٠م. عن الزركلي، خير الدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ٢. وعن د. البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - ص ٥٥٧. وعن البليكي، منير - موسوعة المورد - المجلد السادس ص ١٩٦.

(٢) مجلة المجمع العلمي ٩: ٩٥ و ٤٧١. ودليل الاعارب ١٤٥. عن الزركلي، خير الدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ٢. وعن د. البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - ص ٥٥٦.



١٩٢١م): مستشرق مجري موسوعي، عرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته عنه، تعلّم في «بودابست وبرلين وليبسيك». ورحل إلى سوريا سنة ١٨٧٣م، وانتقل إلى فلسطين، فصر، وعيّن أستاذاً في جامعة «بودابست» (عاصمة المجر) وتوفي بها. له تصانيف باللغات الألمانية والإنجليزية والفرنسية في الإسلام والفقه الإسلامي والأدب العربي، ترجم بعضها إلى العربية، ونشرت مدرسة اللغات الشرقية بـ «باريس» كتاباً بالفرنسية في مؤلفاته وأثاره. ومما نشره بالعربية «ديوان الحطيئة»، وجزء كبير من كتاب «فضائح الباطنية» المعروف بالمستظهري، للغزالي. وترجم إلى الألمانية كتاب «توجيه النظر إلى علم الأثر» لطاهر الجزائري، وكتاب «المعمرين» للسجستاني، وغيرهما. وترجم إلى العربية من كتبه «العقيدة والشرعة في الإسلام»، كتب عن القرآن والحديث، ومن كتبه في ذلك «تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي» المترجم إلى العربية تحت نفس العنوان<sup>(١)</sup>.

٨- أ. ج. أربري A.J. Arberry: مستشرق إنجليزي معروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين. عمل أستاذاً بجامعة كامبردج. ومن المؤسف أنه استاذ لكثير من المصريين الذين تخرّجوا في الدراسات الإسلامية واللغوية في إنجلترا. ومن كتبه: «الإسلام اليوم» صدر عام ١٩٤٣م، و«مقدمة لتاريخ النصوص» صدر عام ١٩٤٧م، و«النصوص» صدر عام ١٩٥٠م و«ترجمة القرآن» صدر عام ١٩٥٠م<sup>(٢)</sup>.

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ١: ٣٨٧، ١٠: ١٨٨، والتراث اليوناني لعبد الرحمن بدوي ٣٠٧، والعقيدة والشرعة في الإسلام: مقدمته، والربيع الأول من القرن العشرين ١٣١، والمستشرقون ١٩٦، وفي محلة الزهراء ١: ٣٢١ رسالة منه إلى الشيخ طاهر الجزائري، بالعربية بخطه، كتب توقيعها عليها: «العبد الحقير الفقير إجناس كولد صيهر المجري». وعن الزركلي، خير الدين - الإعلام «قاموس تراجم» م ١، وعن د. البهي، محمد - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٥٥٣.

(٢) د. البهي، محمد - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - ص ٥٥٢.

٩- كارل بروكلمان Carl Brockelmann (١٢٨٥ - ١٣٧٥ هـ، ١٨٦٨ -

١٩٥٦ م): مستشرق ألماني يعتبر أحد أبرز المستشرقين في العصر الحديث، عالم بتاريخ الادب العربي. ولد في «رستوك» بـ«ألمانيا» ونال شهادة «الدكتوراه» في الفلسفة واللاهوت، وأخذ العربية واللغات السامية عن «نولدكه» وآخرين. درّس في عدة جامعات ألمانية، وكانت ذاكرته قوية يكاد يحفظ كل ما يقرأ. ودرّس العربية في معهد اللغات الشرقية بـ«برلين» عام ١٩٠٠ م، وتنقل في التدريس، وتقاعد سنة ١٩٣٥ م. عمل في الجامعة متعاقدًا سنة ١٩٣٧ م، ثم كان سنة ١٩٤٥ م أمينًا لمكتبة الجمعية الألمانية للمستشرقين، وأمضى أعوامه الأخيرة في مدينة «هاله»، وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق، وكثير من المجامع والجمعيات العلمية في ألمانيا وغيرها. صنف بالألمانية «تاريخ الادب العربي» في مجلدين، وأتبعها بملحق في ثلاثة مجلدات، وكلّفته جامعة الدول العربية أن يدخل الملحق في الاصل، وينقلها الى العربية، ولبروكلمان «تاريخ الشعوب الاسلامية» ترجم الى العربية في بيروت وطبع بها في خمسة أجزاء صغيرة، وفهرسان لخزانتى برسلاو وهامبورغ، يُعرفان بمخطوطاتهما العربية، وكتاب في «نحو اللغة العربية» بالألمانية، و«معجم للغة السريانية» و«قواعد السريانية»، و«ترجمة ديوان لغات الترك» للكاشغري، إلى الألمانية، وكلّها مطبوعة.

ومما نشر بالعربية قسم كبير من «عيون الأخبار» لابن قتيبة، ورسالة «تلقيح مفهوم أهل الآثار» لابن الجوزي، وجزء من ««طبقات ابن سعد»، ورسالة «ما تلحن فيه العوام» للكسائي، وقد أشارت لبعض أخطائه التاريخية والعلمية مجلة «الإسلام» AL - ISLAM التي تصدر بالإنجليزية في «كراتشي» باكستان ص ١٤١ من العدد الاول - مايو - سنة ١٩٥٨ م<sup>(١)</sup>.

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ٣١ : ٥٠٥ - ٥٠٨، وإبراهيم مدكور، في مجمع اللغة ٢٤ : ١٢ - ١٦، =

١٠ - كرسثيان سنوك هرخررونيه Christian Snouck Hurgronje (١٢٧٣ - ١٣٥٥ هـ، ١٨٥٧ - ١٩٢٦ م): مستشرق هولندي. ولد في «استر هوت»، وتعلم بـ «ليدن» و «ستراسبورج». وأقام في «جدة» بالحجاز سنة (١٨٨٤) سبعة أشهر، يقول إنه دخل «مكة» متسماً باسم عبد الغفار، ومكث بها في «سوق الليل» خمسة أشهر، واضطرَّ إلى مغادرتها فجأة قبل حلول موسم الحج، لانكشاف أمره لكلمات فاه بها وكيل قنصل فرنسا بـ «جدة» في بعض المجالس. رحل إلى بلاد «الجاوي» فأقام ١٧ سنة. وعيّن استاذاً للعربية في «جامعة ليدن» سنة ١٩٠٦ م. ثم كان مستشاراً في الامور الإسلامية والعربية بوزارة المستعمرات الهولندية، له عدة كتب بالألمانية عن الإسلام والمسلمين حاربها بها، أشهرها كتابه «مكة في القرن التاسع عشر» في مجلدين، نشره سنة ١٨٨٩ م، ومجموعة في ستة مجلدات، طبعها سنة (١٩٢٣ - ١٩٢٧ م) في «الاسلام وتاريخه» و «الشريعة الإسلامية» و «بلاد العرب وتركيا» و «الاسلام في المهاجر الهولندية» و «اللغة والأدب» و «ملاحظات في الكتب» ذكر فيه بعض المخطوطات وتواريخ كتابتها، و «فهارس الاجزاء المتقدمة» (١).

= ومجلة «فكر وفن» العربية الألمانية العدد ١٥، ومعجم المطبوعات ٥٥٣، والمستشرقون ١٢١، ومقال في مجلة «الابحاث والتطورات» الألمانية (آب ١٩٥٦ م) بقلم المستشرق «يوهن فيك» أملت خلاصته من قبل المستشرق الدكتور «مُنزل» (كمرسل) في السفارة الألمانية بالقاهرة. و «قافلة الزيت» محرم ١٣٨١ هـ بقلم المستشرق «ارنست يانرت» جاء فيه: إن عصر الاستشراق الذهبي قد انتهى مع بروكلمان في أوروبا عاسة وفي ألمانيا خاصة. عن الزركلي، خير الدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ٥. والدكتور البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٥٤٧، والبعلبكي، منير، موسوعة المورد - المجلد الثاني ص ١٢٠.

(١) أحمد علي، في مجلة «الحج» ٥ : ٣٩ من فصل مترجم عن مجلة Islamic Review الانجليزية. وشكيب ارسلان في مجلة الفتح ٢٩ شوال ١٣٤٩ هـ وهو يذكر انه «أسلم» خلال اقامته باندونيسيا، وحج، وحاضر العالم الاسلامي، طبعة الحلبي ١ : ٢٣٨ - ٢٤٥ والمستشرقون ١٤٧، ومعجم المصوغات ١٠٥٩ والرسالة ٤ : ١١٥٩. عن الزركلي، خير الدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ٥. وعن د. البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - ص ٥٤٥.



١١ - جودفروا ديمومبين (Gaudefroy Demombynes ١٢٧٨ - ١٣٧٦ هـ،

١٨٦٢ - ١٩٥٧ م): مستشرق فرنسي، كان استاذ العربية في مدرسة اللغات الشرقية بـ «باريس». صنف كتباً عن العرب وبلادهم وأديبهم بالفرنسية. وترجم إليها «رحلة ابن جبير»، وألف متعاوناً مع «بلاشير» «قواعد العربية الفصحى». له كتاب عن «الحج» فيه كثير من الخلط والتشويه. (انظر ص ١٣ من العدد ١ من المجلد ٩، يناير سنة ١٩٢٥ م من مجلة جمعية الدراسات الشرقية) (١).

١٢ - توماس ووكر آرنلد (Thomas Walker Arnold ١٢٨٠ -

١٣٤٩ هـ، ١٨٦٤ - ١٩٣٠ م): مستشرق إنجليزي من أهل «لندن». تعلم في «كمبردج» وعين مدرساً في كلية «عليكره» بالهند سنة ١٨٨٨ م، فاستاذاً للفلسفة في «لاهور»، ف رئيساً للكلية الشرقية في جامعة البنجاب، وعاد إلى «لندن» فعين استاذاً للعربية في جامعتها سنة ١٩٠٤ م، فمديراً لمعهد الدراسات الشرقية، وزار مصر قبل وفاته، له كتب «تعاليم الاسلام» و«المعتزلة» و«الخلافة» بالانجليزية وقد ترجم الاخير الى العربية وطبع. وله كتب بالانجليزية أيضاً في الفن والرسم الإسلاميين، ساعده فيها «لوي بنيون» من رسامي الفنون الشرقية، وقد قال في شأنه المستشرق «أربري»: كان آرنلد مرجعاً في الشؤون الإسلامية (٢).

١٣ - رينيه باسيه (Ren'e Basset ١٢٧١ - ١٣٤٢ هـ، ١٨٥٥ - ١٩٢٤ م):

مستشرق فرنسي، من أعضاء المجمع العلمي العربي. ولد في لونييفيل وتعلم في ناتسي ثم في مدرسة اللغات الشرقية بـ «باريس». وعين مدرساً للعربية في مدرسة

(١) د. البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - ص ٥٤٣ وكذلك الزركلي،

خير الدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ٢.

(٢) 17 Buckland والمستشرقون ٩٣ والمجمع العلمي العربي ٢٣، ٢٧٧ و 25 British Orientalists

ولوسيان بوقا في Journal Asiatique 146 - 227 p - T، عن الزركلي، خير الدين - الاعلام «قاموس

تراجم» م ٢.



الجزائر العليا سنة ١٨٨٢م، ثم تولى إدارتها. واختير «عضواً» في كثير من المجالس العلمية، ترأس مؤتمر المستشرقين بالجزائر سنة ١٩١٠م.

نشر بالعربية «تحفة الزمان» لعرب فقيه، في فتوح الحبشة، مع ترجمة فرنسية، و«الخزرجية» في العروض، و«تاريخ بلاد ندرومة وقرارة بعد خروج الموحدين منها» وله بالفرنسية مقالات في المجلات الشرقية في فرنسا والجزائر وتونس، وله تصانيف أيضاً، توفي بالجزائر، ألف في تاريخ البربر والاحباش والآداب العربية<sup>(١)</sup>.

١٤ - إيفارست ليفي بروفنسال Levi - Provençal Evariste (١٣١١ -

١٣٧٦هـ، ١٨٩٤ - ١٩٥٥م): مستعرب فرنسي الأصل، كثير الاشتغال بتصحيح المخطوطات العربية ونشرها، ولد وتعلم في الجزائر. وحضر حرب الدردنيل في الجيش الفرنسي، فجرح، ونُقل إلى مصر، ثم أُعيد إلى فرنسا. عُيّن سنة ١٩٢٠م مدرساً في معهد العلوم العليا المغربية في الرباط، فديراً له (سنة ١٩٢٦ - ١٩٣٥م) وانتدب من خلال ذلك سنة (١٩٢٨م) لتدريس تاريخ العرب والحضارة الإسلامية في كلية الآداب بالجزائر، كما انتدب لتدريس تاريخ العرب وكتاباتهم بمعهد الدراسات الإسلامية في السوربون بـ«باريس»، واستقال من إدارة معهد الرباط (سنة ١٩٣٥م)، ودُعي لالقاء محاضرات في جامعة القاهرة (سنة ١٩٢٨م)، وألحق وزير التربية الفرنسية بديوانه في باريس (سنة ١٩٤٥م) وعين في السنة ذاتها استاذاً للغة العربية والحضارة الإسلامية في كلية الآداب بـ«باريس»، ووكيلاً لمعهد الدراسات السامية في جامعتها. كان من أعضاء الجمعيتين: العلمي العربي بدمشق، واللغوي بالقاهرة، مات بـ«باريس» (سنة

(١) Journal Asiatique T - ee IV - 137 - 141، ومجلة المجمع العلمي ٤: ١٦٤ ثم ٤: ١٦٩.

والربع الأول من القرن العشرين: ٨٢٣، والمستشرقون: ٦٣، ومكتبة فاروق الأول، فهرس التاريخ ٥٦.

عن الزركلي، خير الدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ٣، وعن المنجد «الاعلام»، ص ١١٢.

١٩٥٥م) تعاون مع محمد بن أبي شنب على تصيف «المخطوطات العربية في خزانة الرباط» ومما نشر: «كتابات عربية في اسبانيا» و«نص جديد للتاريخ المربني» و«اسبانيا المسلمة في القرن العاشر» و«الحضارة العربية في اسبانيا» و«وثائق غير منشورة عن تاريخ الموحدين» و«منتخبات من مؤرخي العرب في مراکش» و«البيان المغرب» لابن عذارى، و«مقتطفات تاريخية عن برابرة القرون الوسطى» و«أعمال الأعلام، القسم الثاني، في أخبار الجزيرة الاندلسية» لابن الخطيب، و«مذكرات الامير عبدالله آخر ملوك غرناطة» و«صفة جزيرة الاندلس» اختزلة من الروض المعطار، و«سبع وثلاثون رسالة رسمية لديوان الموحدين» و«جمهرة انساب العرب» لابن حزم، و«نسب قريش» للزبيرى<sup>(١)</sup>.

١٥ - كارل فلهلم سترستين Karl Vilhelm Zetterstee'n (١٢٨٣ -

١٣٧٢هـ، ١٨٦٦ - ١٩٥٣م): مستشرق سويدي، من العلماء، من اعضاء جمعيات علمية كثيرة، منها المجمع العلمي العربي. ولد في «أورسته» بالسويد. وتخرج «دكتوراً» في الفلسفة بجامعة أوبسالة سنة ١٨٩٥م وعين فيها استاذاً للغات السامية، قام برحلات متعددة، وزار مصر والشام وتونس أكثر من مرة. تولى تحرير مجلة «العالم الشرقي»، وحضر عدة مؤتمرات للمستشرقين. ترجم «القرآن» الى اللغة السويدية سنة ١٩١٧م، وصنف بلغته كتاب «اللغات الشرقية» و«تاريخ حياة محمد» و«سياحة في شرق بلاد الفرس»، ومن أهم ما حققه ونشره بالعربية «تهذيب اللغة» للأزهري، والجزآن الخامس والسادس من «طبقات ابن سعد» و«طرفة الاصحاب» للأشرف الرسولي، و«شمس العلوم» لنشوان الحميري، نشر منه جزأين وعهد الى الاستاذ «س. ديدرينغ» بإتمامه، و«تاريخ لسلطين مصر

(١) المستشرقون ١: ٢٧٥، ودليل الاعارب: ٩١، ١٤٠، و Broe راجع فهرسته في 1179 - 3 - S، وانظر مجلة Arabica الجزء ٢ القسم ٢ - مايو ١٩٥٦م. عن الزركلي، خير الدين - الاعلام «قاموس تراجم»

والشام» لم يعرف مصنفه، و«معارض الانوار النبوية من صحاح الاخبار المصطفوية» و«ألفية ابن مُعط الزواوي» في النحو، وغير ذلك. وكان يمضي مقالاته احياناً باسم «عبدالرحمن» وعلى الاكثر بحروف اسمه الثلاثة K. V. Z. أما اسم أبيه فهو «الكسندر موريس سترستين»<sup>(١)</sup>.

١٦ - جورجيو ليفي دلا فيدا G. Levi, Della Vida (١٣٠٣ - ١٣٨٧ هـ، ١٨٨٦ - ١٩٦٧ م): من كبار المستشرقين الايطاليين، مولده ووفاته بـ«روما». كان أستاذ العربية واللغات السامية المقارنة في جامعتها، عمل في فهرست كتب الفاتيكان، وقد عُهد اليه في اعوامه الاخيرة بالكتابة عن المخطوطات النصرانية. ولما بلغ السبعين من عمره احتفل به العلماء وصنّفوا في تكريمه «كتاب الدراسات الشرقية» بالاطالية في مجلدين كبيرين. له كتابات كثيرة في دائرة المعارف الاسلامية والمجلات العلمية. ومما حققه للنشر «طبقات الشعراء» لابن سلام و«شعر يزيد الاول» و«نسب فحول الخيل» لابن الكلبي، ومن تأليفه «فهرس المخطوطات العربية الاسلامية في مكتبة الفاتيكان» الجزء الاول بالاطالية، ولم يكمله<sup>(٢)</sup>.

١٧ - كارل فلّرس Karl Vollers (١٢٧٣ - ١٣٢٧ هـ، ١٨٥٧ - ١٩٠٩ م): مستشرق الماني، تولى إدارة المكتبة الخديوية (دار الكتب المصرية) مدة. وكان من أساتذة جامعة «نيا» في المانيا، نشر بالعربية ديوان «التمس» مع ترجمة له ألمانية، وكتب بالألمانية «العربية العامية عند قدماء العرب» و«اللهجة العربية

(١) من ترجمة له بقلمه، في مجلة المجمع العلمي العربي ٧: ٢٢٠ - ٢٢٤ وترجمة ثانية بامضاء «الدكتور س. ديدريغ»، في مجلة المجمع ايضاً ٢٩: ١٤٠ - ١٤٣، عن الزركلي، خير الدين - الاعلام «قاموس تراجم» - ٥م.

(٢) انظر: المستشرقون ١: ٣٩٠ والمكتبة: العدد ٦٢ ص ٢٢ والرسائل المتبادلة ٢١٨. عن الزركلي، خير الدين - الاعلام «قاموس تراجم» ٢م.



في مصر» ووصف «المخطوطات الشرقية التي بمكتبة لايبسيك» في مجلد ضخمة<sup>(١)</sup>.  
عُرف بافترائه أن القرآن الكريم لم يكن معرباً وأن اللغويين هم الذين حذوه على  
مثال لغة الشعر العربي الذي يتميز بوجود الاعراب.

١٨ - فرانتس بول (بوهل) Frantz Buhl (١٢٦٦ - ١٣٥١ هـ، ١٨٥٠ -

١٩٣٢ م)؛ مستشرق داتركي. من أعضاء المجمع العلمي العربي. ولد وتوفي في  
كوبنهاغن. كان استاذ اللغات السامية في جامعتها. كتب في دائرة المعارف  
الاسلامية فصولاً في تراجم بعض اعلام المسلمين، وله كتاب في «جغرافية  
فلسطين القديمة» باللغتين الدانمركية والالمانية. وكتاب «حياة محمد» كتبه باللغة  
الدانمركية، وترجم الى الالمانية، وكان واسع الاطلاع بأدب الجاهلية العربية  
وتاريخها<sup>(٢)</sup>.

١٩ - جاكب بارت Jacob Barth (١٢٦٧ - ١٣٣٢ هـ، ١٨٥١ - ١٩١٤ م)؛

مستشرق الماني، كان يدرّس العربية في الكلية الاكليركية، في جامعة برلين. من  
كتبه بالالمانية «ابحاث في الشعر العربي القديم»، وكتاب في «الآداب العربية  
والعبرية»، ونشر في العربية «ديوان القطامي» و«فصيح ثعلب»<sup>(٣)</sup>.

٢٠ - ج. هـ. كرامرز J. H. Kramers؛ مستشرق هولندي كثير الطعن في

الاسلام وصاحب ميول تبشيرية سافرة<sup>(٤)</sup>.

(١) الربع الاول من القرن العشرين ٨١ والمستشرقون ١١٣ ومعجم المطبوعات ١٦١٥. عن الزركلي، خير  
الدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ٥.

(٢) مجلة المجمع العلمي ١٢ : ٢٨٢ والمستشرقون ١٨١ واسم الشائع بالعربية «فرانز» والدانمركيون  
يلفظونه «فرانتس» والهاء في لفظهم «بوهل» لا تكاد تظهر. عن الزركلي، خيرالدين - الاعلام «قاموس  
تراجم» م ٥.

(٣) المستشرقون ١١٥ ومعجم المطبوعات ٦٦٣. والربع الاول من القرن العشرين ص ٨٣. عن الزركلي،  
خيرالدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ٨.

(٤) د. البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٥٤٧.



٢١ - أدوين كالفرلي E. Calverley : مستشرق أميركي متعصب، رئيس تحرير مجلة «العالم الاسلامي» The Muslim World الاميركية فترة من الزمن، من الذين باثروا التدريس في الجامعة الاميركية بالقاهرة عدة مرات، معروف باتجاهات تبشيرية سافرة<sup>(١)</sup>.

٢٢ - پاول كراوس Paul Kraus (١٩٠٤ - ١٩٤٤م) : مستشرق ألماني، من أصل تشيكوسلوفاكي، تعلم في جامعة براغ. وتلقى العلوم الشرقية بجامعة برلين، وعين في معهد التاريخ للعلوم بـ «برلين»، ثم مدرساً بجامعة (سنة ١٩٢٣م) وانتدب للتدريس في السوربون بـ «باريس»، ثم استاذاً للغات السامية في جامعة فؤاد الاول (بمصر) سنة ١٩٣٦م، فأقام الى أن مات منتحراً، عُرف بكيده للاسلام خصوصاً في ما يتعلق بادعائه ان القرآن كان غير معرب، وان الذين حذوه على مثال لغة الشعر العربي المعرب هم اللغويون، له «رسالة في تاريخ الافكار العلمية في الاسلام» ثلاثة اجزاء، وله أيضاً «رسالة في فهرست كتب محمد بن زكريا الرازي لابن الريحان البيروني» نص وتعليق، وساعد ماسينيون على نشر «أخبار الحلاج»، وله في دائرة المعارف الاسلامية دراسات عن المستنصر والرازي وابن الراوندي وابن جبير، وفي مجلة الثقافة بمصر (سنة ١٩٤٤م) له مقالات عنوائها «من منبر الشرق» وغير ذلك<sup>(٢)</sup>.

بعد هذا الاستعراض السريع لأبرز المستشرقين، الذين تصدوا أو ساهموا تحت إشراف المستشرق «فنسنك» في كتابة وتحرير مواد دائرة المعارف الاسلامية، نلاحظ بوضوح أن الجامع فيما بين توجهاتهم وأبرز الخلفيات التي

(١) عن د. اليهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٥٢٨.

(٢) المستشرقون: ١٩٣، ودليل الاعارب: ١٠٤ و ١٠٦. عن الزركلي، خير الدين - الاعلام «قاموس تراجم». المجلد ٢ ص ٤٢ وعن الجندى، نور - مخططات الامتشرق - مجلة منار الاسلام - العدد ٧ - السنة ١٤.

تتحكم في عقولهم وأقلامهم هي معاداة الاسلام، والتعصب ضده باعتباره ديناً سماوياً، لذا فان بعضهم ينكر بصراحة أصل سماوية الدين الاسلامي، والبعض الآخر يحاول نسف الأساس الذي يقوم عليه القول بسماويته. وبذلك نستطيع أن نخرج برؤية كلية عن كتاب ومحرري هذه الدائرة، مفادها أنهم يفتقدون النزاهة والموضوعية في تناول أمهات القضايا الاسلامية، خصوصاً ما عت إلى أصوله العقائدية بصفة، وأنهم في طريقة تناولهم لها يهدفون إلى زرع الشك بصحة سماوية الدين الاسلامي، وصحة نزول الوحي الإلهي فيه على النبي محمد ﷺ، وهذا ما نجده طافحاً في الكثير من مواد ومطالب دائرة المعارف الاسلامية عند تناولنا للجانب التالي من دراستنا لها.

ودعماً لما ألقناه في بيان هوية وخلفيّة كتاب هذه الدائرة والمشرفين على تحريرها، نشير إلى أن الكثير من الباحثين المنصفين والمحققين المتخصصين قد تصدّى لدراسة دائرة المعارف الاسلامية، وأشاروا إلى أنها تحوي مجموعة من الأخطاء والدسائس الناشئة عن التعصب الأوربي، وأن أغلب كتابها قساوسة مبشرون لا يهمهم سوى الافتراء على الاسلام وتشويه حقيقته. وقد اجمعت آراؤهم على أن دائرة المعارف الاسلامية تضم مجموعة من المحاذير التي يجب التنبيه لها والتصدي للرد عليها وكشف اهدافها وهي:

١ - سيطرة البدع الدخيلة في الدين الاسلامي على مواد الموسوعة باستفاضة مثيرة، وباستخدام أساليب الكذب المتقنة، حتى ليظن الباحث انها من اصول الاسلام، وقد امعن مؤلفو الدائرة في تسجيلها وشرحها وكأنها حقائق ثابتة ومن الاصول المقررة والمسلم بها وليس من الدخائل.

٢ - القصد المتعمد في الجمع بين اساطير البدع التي ما انزل الله بها من سلطان وحقائق الشريعة.

٣ - جمعت دائرة المعارف هذه خلاصة ما كُتب عن الاسلام في الكتب التي

ألفها المستشرقون، والتي كانت السمة الغالبة عليها الهجوم بشراسة على الإسلام خلال السنوات الطويلة، وكانت متفرقة في هذه المؤلفات التي لم يكن يقرأها إلا بعض الغربيين الذين يُختارون للعمل في البلاد الإسلامية، ثم جاءت الدائرة لتنظم هذا كله وتجعل منه مصدراً إسلامياً يرجع إليه بسهولة ويُسر بعد أن تُرجم أغلبها إلى العربية.

٤ - اصرار القائمين على هذه الدائرة على عدم التصحيح - ولو بالتعليق الهامشي - للأخطاء والمطامع التي انكشف أمرها جلياً، وهذا أكثر ضرراً من أسر كتب المبشرين والمستشرقين وصحفهم، لأن هذه كلها لا تخدع أحداً من أهل الحقيقة والمعرفة، إنما خطر تلك يكمن في نشوء جيل من المتعلمين يعتبرها مراجع موسوعية أساسية تظافت عليها جهود عشرات العلماء والمفكرين، فيستقي منها ويعتمد عليها دون أن يفرق بين الحق والباطل فيها، أو يعلم أن مؤلفي هذه الدائرة من أعداء خصوم الإسلام والمسلمين.

## الدس والتشويه في موادها (شبهات وردود)

في الجانب الثاني من جانبي التقويم الرئيسيين لدائرة المعارف الاسلامية والخاص باكتشاف موارد الدس والتشويه الذي احتوته الدائرة المذكورة توجد عدة أقسام ينقسم اليها هذا الجانب، يختص كل قسم منها بمورد أساسي من الموارد الاسلامية التي طالتها يد الدس والتشويه الاستشراقي، وسنذكرها تباعاً حسب أهميتها من خلال تتبعنا التفصيلي لمواد وفصول هذه الدائرة، محاولين بمقدار ما ندلّ عليه النصوص والمقولات المتضمنة في تلك المواد والفصول اكتشاف موارد الدس والتشويه، وما يكمن وراءها من اهداف ومقاصد، أمّا كيف ستتم لنا معالجة هذه الدسائس والتشويهاات وردّ ما تحكيه من شبهات كليّة فهذا ما سننهج له منهجين:

المنهج الاول: وهو المنهج التفصيلي الذي سنحاول من خلاله رد ومعالجة كل مفردة من مفردات الدس والتشويه بحسبها دون الخوض في الكليات الاساسية الجامعة لها والحاكية عنها، وسنُضمّن هذه الردود والمعالجات في سياق تفصيلات الدس والتشويه التي نوردّها ونؤشر لها في اطار تبويبات بحثنا هذا.

المنهج الثاني: وهو المنهج الكلي، وفيه نقوم بانتزاع عنوان كلي عن كل مجموعة تفصيلات معبرة عن شبهة اساسية معينة، ويتم ردّها وبيان الحق في مقابلها ضمن بحث مستقل بها. وهذا المنهج سوف نُرجئ أمره الى ما بعد سوقنا لكافة النماذج التفصيلية للدس والتشويه التي قام بها المستشرقون في دائرة المعارف الاسلامية وساوقهم بها غيرهم من المبشرين والعلمانيين في كتاباتهم



### المختلفة عن الإسلام والمسلمين.

وأدناه نشرع ببيان عمدة نماذج الدس والتشويه في دائرة المعارف الإسلامية وهي عبارة عن ادعاءات ومقولات مدسوسة ومشوّهة تهدف إلى الطعن بإلهية القرآن الكريم ورسالة النبي محمد ﷺ بالإسلام.

وقد صيغت هذه الادعاءات والمقولات بأشكال مختلفة، بعضها جاء صريحاً، وبعضها الآخر يدلّ بالدلالة الالتزامية على الطعن والتكذيب، ويمكننا تنظيمها وتحديد ما يلي:

### ذكاء محمد ﷺ وخياله عماد دعوته

وهو دس وتشويه يهدف إلى القول بأن ذكاء محمد ﷺ وخياله المتوقّد هما اللذان كانا وراء ما جاء به من دعوة. ونجد مصدايق هذه الشبهة في عدة موارد، منها ما جاء تحت مادة «إبراهيم». ففي معرض بيان دعوى «سنوك هجر وبنيه» بأن شخصية إبراهيم مرّت بأطوار متناقضة في القرآن الكريم، والاشارة إلى السر في هذا الاختلاف يقول «فنسك A. J. Wensinck»: «إنّ محمداً كان قد اعتمد على اليهود في مكّة، فما لبثوا أن اتخذوا خياله خطّة عداء، فلم يكن له بدّ من أن يلتبس غيرهم ناصراً. هناك هداه ذكاء مسدّد إلى شأنٍ جديد لأبي العرب إبراهيم، وبذلك استطاع أن يخلص من يهوديّة عصره ليصل حبله بيهوديّة إبراهيم»<sup>(١)</sup>.

ومنها ما جاء تحت مادة «الله» الفقرة «ج»: الله في ذاته لذاته، يقول

«ماكدونالد D. B. Macdonald»: «وقد استطاع محمد بفضل خياله المتوقد ان يصف الله بصفات واضحة معينة، مثل الأول والآخر، والظاهر والباطن «سورة الحديد - الآية ٣»، وأنه القيوم «سورة البقرة - الآية ٢٥٦»، «سورة آل عمران - الآية ١» (١).

وفي معرض الرد والمعالجة لهذه النصوص من الدس والتشويه نؤشر أولاً الى ان الأساس في مثل هذا الدس والتشويه والمهدف من وراء ارجاع التجاح في خطوات دعوة النبي محمد ﷺ ومواقفه الرسالية الى ذكائه مثلاً أو خياله المتوقد - كما يعتبرون - هو إنكارهم الوحي الإلهي للنبي محمد ﷺ، وأمر ردّ هذه الشبهة بعنوانها الكلي وإثبات الوحي الإلهي للرسول ﷺ سنقوم ببحثه في فصل مستقل يستوعب جميع جوانب الإثارات التي ذكرناها عن المستشرقين، أو ما سيأتي منها في موارد وأبواب أخرى، وبصيص وزوايا مختلفة.

أمّا ردّنا وعلاجنا لموارد الدس والتشويه التفصيلية التي أوردناها في هذه الفقرة فنرتبه كالآتي:

١ - قول «فنسنك A. J. Wensinck» أن محمداً ﷺ كان قد اعتمد على اليهود في مكة، فهذا ما لم يقله ولم ينقله لنا أي مؤرخ، سواء كان من المسلمين أم من غيرهم. بل الذي ورد هو العكس، حيث أن اليهود كانوا أول وأشدّ من نصب العداء ومارس تأليب مشركي قريش والتآمر على رسول الله ﷺ ودعوته الإسلامية، حتى نزل في ذلك قرآن كريم قال فيه الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ (٢).

(١) المصدر السابق ٢: ٥٦٢.

(٢) المائدة: ٨٢.

أما قوله: «وبذلك استطاع ان يخلص من يهودية عصره ليصل حبله  
بيهودية ابراهيم» ففيه:

أولاً: ان اليهودية المدعاة التي كانت على عصر الرسول ﷺ هي انحراف  
عن الدين الحق الذي بعث الله تعالى به انبياء بني اسرائيل وعلى رأسهم  
موسى عليه السلام، وفي ذلك قال الله تعالى في محكم قرآنه الكريم: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا  
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ...﴾ (١)، وقوله تعالى ايضا: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا  
لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ  
يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

ثانياً: ان الرسول محمداً ﷺ لم يكن بحاجة لان يصل حبله باليهودية  
المدعاة، لأن الأصل في الاديان هو الاسلام، وقد توالى بعث الرسل والانبياء من  
الله تعالى للتبشير به ورد التحريف عنه والدعوة له قبل خاتمهم محمد ﷺ، أما  
النصرانية واليهودية المدعيتان فما هي الا انحراف عن الاصل الاسلامي، وبدعة  
أملتها عليهم أهواؤهم ودنياهم الرخيصة، وفي ذلك قول الله تعالى في القرآن  
الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ  
فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (٣). وهذه هي  
العقيدة التي دعا لها النبي محمد ﷺ وذكرها الله تعالى في القرآن الكريم بقوله:  
﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ  
وَمُوسَى وَمَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ  
إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ \* وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا

(١) النساء: ٤٦.

(٢) البقرة: ٧٥.

(٣) آل عمران: ١٨٧.

جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفَقَضِيَ بَيْنَهُمْ  
وَأَنَّ الَّذِينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُّريبٌ ﴿١١﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ  
كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ  
بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا  
وَالْيَهُ الْمَصِيرُ ﴿١٢﴾

ثالثاً: ان لي الله ابراهيم ﷺ لم يكن يهودياً، لما قلنا من ان الأصل في  
الاديان المبشر بها هو الاسلام، وكيف يكون ابراهيم ﷺ يهودياً أو نصرانياً  
حسب دعواهم وقد نزلت التوراة والانجيل من بعده بزمن مديد؟ وهو قول الله  
تعالى في قرآنه الكريم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ  
وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٣﴾ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ  
تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾

ثم ينفي الله عز وجل اليهودية والنصرانية المدعين عن ابراهيم ﷺ ويثبت  
كونه حنيفاً مسلماً لا غير، وذلك قوله عز من قائل في الكتاب الكريم: ﴿وَمَا كَانَ  
إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٥﴾

إذن فلو كانت هناك وصلة للنبي محمد ﷺ بابراهيم ﷺ فهي وصلة  
الاسلام، ذلك الدين الحق الذي قال فيه الله تعالى في قرآنه المجيد: ﴿هُوَ الَّذِي  
أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٦﴾

٢ - قول «ماكدونالد D. B. Macdonald»: «وقد استطاع محمد بفضل

(١) الشورى: ١٣ - ١٥.

(٢) آل عمران: ٦٥ - ٦٦.

(٣) آل عمران: ٦٧.

(٤) التوبة: ٣٣.



خياله المتوقّد ان يصف الله بصفات واضحة معينة، ...» الى آخر القول، ففيه ما في قول سابقه «فنسنتك» من أنه يوحي بان الرسول محمداً ﷺ لم يكن قد أُوحي له من الله تعالى، انما هو الذكاء أو الخيال المتوقّد، رغم أن لفظهم لم يكن صريحاً في ذلك وسنؤجل رده - كما اشرنا سلفاً - الى بحث مستقل لاحق يستوعب الاثار التي سيأتي ذكرها تباعاً في هذه الشبهة. والظريف ان «ماكدونالد» هذا قد اعترف بوضوح الصفات وجللاء معانيها رغم تناقضه في مقاطع اخرى من أقواله في ذلك، يذكرها تحت نفس مادة «الله» وسنأتي على بيانها تباعاً ان شاء الله.

### تناقض القرآن والتردد في بعض آياته

وقد تضمنت هذه المقالة على دس وتشويه يهدف الى اشارة شبهة أن في القرآن تناقضاً وفي بعض آياته تردداً. منها ما جاء تحت مادة «ابراهيم»، يقول «فنسنتك»: «كان سبرنجر - Leben : Sprenger und Lehredes Mohammad ، ج ٣، ص ٢٧٦ وما بعدها - أوّل من لاحظ ان شخصية ابراهيم كما في القرآن مرّت بأطوار قبل ان تصبح في نهاية الأمر مؤسّسة للكعبة. وجاء «سنوك هجر وينييه» (ص ٢٠ وما بعدها) بعد ذلك بزمن فتوسّع في بسط هذه الدعوى، فقال: ان ابراهيم في أقدم ما نزل من الوحي «الذاريات - آية ٢٤ وما بعدها، الحجر - آية ٥ وما بعدها، الصافات - آية ٨١ وما بعدها، الانعام - آية ٧٤ وما بعدها، هود - آية ٧٢ وما بعدها، مريم - آية ٤٢ وما بعدها، الانبياء - آية ٥٢ وما بعدها، العنكبوت - آية ١٥ وما بعدها» وهو رسول من الله أنذر قومه كما تنذر الرسل، ولم تُذكر لاسماعيل صلة به، وإلى جانب هذا يشار إلى ان الله لم يرسل من قبل الى العرب نذيراً «السجدة - آية ٢، سبأ - آية ٤٣، يس - آية ٥» ولم يُذكر قط ان ابراهيم هو

واضح البيت، ولا أنه أول المسلمين، اما السور المدنية فالأمر فيها على غير ذلك، فابراهيم يدعى حنيفاً مسلماً، وهو واضح ملّة ابراهيم، رفع مع اسماعيل قواعديتها المحرم - الكعبة - «البقرة - آية ١١٨ وما بعدها، آل عمران - آية ٦٠، ٨٤... الخ» ولما أخذت مكة تشغل جل تفكير الرسول أصبح إبراهيم ايضاً المشيد لبيت هذه المدينة المقدس»<sup>(١)</sup>.

وفي مورد آخر وتحت مادة «اسرائيل» يدعى «سنوك» تناقضاً آخر في نسبة يعقوب لابراهيم، فيقول: «ويظهر أن محمداً كان أول الأمر يعتبر يعقوب ابناً لابراهيم فعندما زُفّت البشري لسارة يقول: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ الآية - ٧١ من سورة هود. سنوك هجروينيه، ص ٣٢»<sup>(٢)</sup>.

وتحت مادة «صالح» يقول «بول Fr. Buhl»: «ومما يستلفت النظر بالاضافة إلى ذلك ان قصتي صالح وهود (انظر هذه المادة) تناقضان الدعوة المألوفة التي أتى بها محمد في سور العهد المكي من حيث أنه قال إنه لم يرسل من قبله نبي إلى العرب (سورة القصص، الآية ٤٦؛ سورة السجدة، الآية ٢؛ سورة سبأ، الآية ٤٣؛ سورة يس، الآية ٥)»<sup>(٣)</sup>.

وحول الناسخ والمنسوخ كانت عباراتهم صريحة ومباشرة في ادعاء التناقض في آيات القرآن حيث يقول «نولدكه Nöldeke Sc. hwally» تحت مادة «اصول»: «وكان همّ المفسرين المتأخرين التخلص من المتناقضات العديدة الواردة في القرآن والتي تصوّر لنا تدرّج محمد في نبوته، إمّا بما عمدوا اليه من التوفيق فيما بينها، واما بالاعتراف بأن الآيات المتأخرة تنسخ ما قبلها، وذلك في

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١: ٢٧.

(٢) المصدر السابق ٢: ١١١ - ١١٢.

(٣) المصدر السابق ١٤: ٨٠٧.

الآيات التي يشتدُّ فيها التناقض بين تلك الآيات»<sup>(١)</sup>.

وجاء في موضع آخر تحت مادة «عقيدة محمد في الله»: «وقد عرّف محمد الله بأنه الملك، المنتقم الغيور، وأنه سيحاسب الناس من غير شك ويعاقبهم في اليوم الآخر، وبذا تحوّلت تلك الفكرة الغامضة عن الله إلى ذات لها خطر عظيم. وينبغي لنا الآن أن نتبسّط في الكلام على هذه الذات كما تصوّرها محمد، ومن حسن التوفيق أن لوازم السجع حملته على وصف الله بعدة صفات يتردد ذكرها كثيراً في القرآن «سورة الاعراف - الآية ١٧٩، سورة بني اسرائيل - الآية ١١٠، سورة طه - الآية ٧، سورة الحشر - الآية ٢٤» وتبيّن شغف محمد بهذه الصفات وشدة تمسكه بها. وكانت الفطرة السليمة هي التي دفعت المسلمين بعد محمد إلى جمع هذه الصفات وتقديسها، وهذه الصفات تعبر عن حقيقة إله محمد أحسن مما تعبر عنها الصفات التي ذكرها علماء الكلام في القرون الوسطى، وهي تعيننا كثيراً في فهم وتحديد عبارات محمد، المبعثرة المتناقضة»<sup>(٢)</sup>.

وفي موضع آخر يسوق «كارادي فو B. Carrade Vaux» دعوى تناقض القرآن بصياغة وجود تردد فيه كما في المقطع التالي تحت مادة «جهنم»: «الظاهر أن القرآن قد تردد بعض التردد في مسألة خلود العذاب في جهنم، فالآيات التي تشير إلى ذلك لا تتفق تمام الاتفاق، ولعل هذا التردد إنما يرجع إلى أن النبي محمداً لم يكن من الفلاسفة المتفكرين، فلم يستطع أن يعرض بوضوح المشكلة كمشكلة الخلود يدخل فيها مثل هذا التصوّر المجرّد»<sup>(٣)</sup>.

كما تأتي دعوى التردد على سبيل الملازمة بين القرآن والتغيرات التي

(١) المصدر السابق ٢: ٢٧٣.

(٢) المصدر السابق ٢: ٥٦١.

(٣) المصدر السابق ٧: ١٩٨.



تحصل في توجهات النبي محمد ﷺ، حيث يقول «فَسَنُك» تحت مادة «الخمير»: «ولم يكن تحريم الخمير في برنامج النبي منذ البداية، بل نحن نجد في الآية ٦٧ من سورة النحل مدحاً في الخمير بوصفها آية من آيات الله للناس وهذا نصها: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً...﴾ يد أنه قيل ان عواقب السكر قد ظهرت على الصورة التي بينا، فدفع ذلك النبي الى أن يغير من اتجاهه. وأول ما نزل من الوحي مبيناً هذا الاتجاه هو الآية ٢١٦<sup>(١)</sup> من سورة البقرة ونصها: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا...﴾ على أن هذه الآية لم تعد تحريماً. ولم يغير الناس من عاداتهم وحدث أن اضطرب نظام الصلاة فنزلت آية أخرى هي الآية ٤٦<sup>(٢)</sup> من سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ...﴾ ومع ذلك فإن هذه الآية أيضاً لم تعد تحريماً مطلقاً للخمر حتى نزلت الآية ٩٢<sup>(٣)</sup> من سورة المائدة فوضعت حداً للخمر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ان الدس والتشويه الذي يوحى بشبهة أن في القرآن تناقضاً وفي بعض آياته تردداً فيه مغالطة فاضحة من جهة وجهل او تجاهل بطبيعة القرآن الكريم من جهة أخرى، وتوضيح ذلك بما يأتي:

١ - إن التطور المدعى او بتعبير أدق التدرج الذي نجده في القرآن الكريم،

(١) في المصحف المتداول بين المسلمين الرقم الصحيح للآية المباركة ٢١٩.

(٢) في المصحف المتداول بين المسلمين الرقم الصحيح للآية المباركة ٤٣.

(٣) في المصحف المتداول بين المسلمين الرقم الصحيح للآية المباركة ٩٠.

(٤) دائرة المعارف الاسلامية ٨: ٤٥١.



سواء في آيات الارشاد العقلي للجانب العقائدي أو آيات الاحكام الخاصة بالتشريع الاسلامي أو آيات الاخلاق والتربية لإعداد الفرد المؤمن والأمة المؤمنة إنما هو أمر طبيعي اقتضته طبيعة الحكمة في الطرح الرسالي الهادف الى توفير وإعداد عوامل الدعوة والبناء للانسان والمجتمع، وليس كتاباً أكاديمياً مدرسياً يصنف موضوعاته بفصول وأبواب تستوعب موضوعاتها مرة واحدة، وحتى الكتب المدرسية تخضع لمنهج التدرج في طرح الحقائق والمعلومات، فتبدأ بالاوليات والاجماليات وتترقى الى الرتب الاعلى في العمق والتفصيل العلمي، فهذه الشبهة المدعاة مغالطة فاضحة مردودة على أصحابها من رجال الاستشراق ومن سار على نهجهم ورأيهم المتهاافت.

٢ - ان القرآن الكريم نزل نجوماً فهو إضافة لكونه كتاب تربية وإعداد للرسول ﷺ والأمة المؤمنة كما ذكرنا اعلاه، هو ايضاً كتاب حركة وارشاد وإحكام لقيادة الرسول ﷺ لدعوته الناس للاسلام، فجاءت آياته بشكل يرتبط بالزمان والمكان طبقاً للظروف والأحوال والمستجدات التي تفرزها طبيعة حركة الرسول ﷺ في دعوته سواء في الموضوع أو المنهج أو الاسلوب، لهذا نجد أن لكل آية من آيات القرآن الكريم شأنًا وسبباً للنزول له مدخلية اساسية في تحديد ما تتضمنه الآية من طبيعة للموضوع ومنهجية لعرضه وأسلوب لبيانه، كما أن له دوراً اساسياً في تأويل معاني الآيات ومداليلها، فأصحاب الشبهة من المستشرقين وأربائهم يتجاهلون هذه الحقيقة أو يجهلون بها على اقل تقدير لو أحسنوا الظن بهم. وهكذا نغز بين المركز لديهم عن الكتاب الاكاديمي المدرسي وبين القرآن الكريم باعتباره كتاب تربية ودعوة وحركة يرتبط بالزمان والمكان لدعوة الرسول ﷺ وحركته في المجتمع آنذاك.

٣ - وعلى ضوء الحقيقتين الآتيتين، فمن الطبيعي ان نجد قصص الانبياء ﷺ

والامم السالفة خاضعة لتلكما الحقيقتين، فالأطوار التي اشار لها المستشرق «سبرنجر» وامثاله في عرض ما يتعلق بالنبي ابراهيم عليه السلام والنبي اسماعيل عليه السلام ومكة المكرمة مرتبط بتلكما الحقيقتين، حيث يحمل تارة ويفصل اخرى، ويعرض الحقائق من زاوية معينة مرةً وبنتفاصيل جديدة مرةً اخرى، وهكذا حسب مناسبات الموضوع وارتباطه بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وحركته التغييرية في الأمة آنذاك.

فلا غرابة ولا تردد ولا تناقض في آيات القرآن الكريم، بل الغرابة كلها فيها بخروصون.

٤- أمّا قول المستشرق «سنوك» تحت مادة «اسرائيل»: «ويظهر ان محمداً كان اول الامر يعتبر يعقوب ابناً لابراهيم فعندما زُفّت البشري لسارة يقول: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِاسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ اسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾»<sup>(١)</sup>، فردّه الى قصور هؤلاء المستشرقين عن فهم لغة القرآن العربية فعلى كل الأقوال اللغوية في هذه الآية يكون التقدير هو: «فبشرناها باسحاق ويعقوب من وراء اسحاق» وقد فهم المفسرون من مجيء هذه الجملة في هذا الموضع انها كانت لبيان أن ابراهيم سيبقى عقبه فهو سيولد له ويولد لولده أيضاً بدليل قوله تعالى: ﴿وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً...﴾<sup>(٢)</sup>. وهكذا نجد أن هذه الآية توافق جميع الآيات التي تنقل لنا هذه الحقيقة كما يرد على قولهم ان محمداً صلى الله عليه وسلم كان اول الامر يعتبر يعقوب ابناً لابراهيم في الآيات المكية، في حين ان الآيات المكية التي ذكرت هذا الامر بما فيها الآية اعلاه - التي أوضحنا مدلولها - على خلاف ذلك المدعى. فالآية «٦» من سورة يوسف المكية جاء في

(١) المصدر ٢: ١١١-١١٢.

(٢) السجدة: ٧٢.

آخرها: ﴿... وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وهي بيان أن يعقوب ابن اسحاق وحفيد ابراهيم، وايضاً في الآية «(٣٩)» من سورة ابراهيم المكية ورد: ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ولم يقل اسم عيل واسحاق ويعقوب، وفي مسألة البشرى لسارة ورد في الآية «(٢٨)» من سورة الذاريات المكية ذكر لولد واحد فقط: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾. فأين التردد وأين التناقض في آيات القرآن الكريم، فما لكم كيف تحكمون؟.

٥ - وقول «بول» (Fr. Buhl): «ان قصتي صالح وهود تناقضان الدعوة المألوفة التي أتى بها محمد في سور العهد المكي من حيث انه قال انه لم يرسل من قبله نبي الى العرب...» الى آخره، فهي كسابقاتها تمحل غريب، وذلك لما يأتي:

أ - ان الآيات<sup>(١)</sup> التي استدل بها «بول» هذا هي: الآية «(٤٦)» من سورة القصص التي جاء فيها: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ...﴾، والآية «(٢)» من سورة السجدة التي جاء فيها: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾، والآية «(٤٣)» من سورة سبأ والتي جاء فيها: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾، والآية «(٥)» من سورة يس التي جاء فيها: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾، حيث ان الكاتب قد استدل بها على عدم ارسال الرسل وبعث الانبياء قبل الرسول محمد ﷺ الى العرب، وبهذا ادعى اكتشاف تناقض بين هذه الآيات والآيات التي اوردت

(١) بعض أرقام الآيات التي جاءت في دائرة المعارف الاسلامية فيها اختلاف بمقدار رقم واحد - ناقص - عما هو في ترقيم الآيات المعروف في القرآن الكريم، وما كان خلاف ذلك فتسير اليه، فالمفروض ملاحظة ذلك، لاننا ننقل النص كما هو في الأصل.



قصتي صالح وهود، وانهما نبيان أرسلتا الى عاد وثمود وهما من العرب.  
وجواب ذلك واضح لمن يتأمل في الآيات الأولى، حيث انهما لم تقصد  
بالقوم «العرب» عمومهم منذ البدء والى عصر دعوة محمد ﷺ، وإنما كانت تقصد  
ذلك الجيل الذي يستوعب قوم العرب المعاصرين لنبوّة محمد ﷺ وآباءهم  
القريبين، وهذا هو الواقع حقاً، حيث انقطع الوحي الالهي فترة من الزمن، ولم  
يُرسل رسول لهم او يظهر نبي بينهم، فلا تناقض بين الآيات الاولى والثانية.

ب - قول «بول Fr. Buhl» في دعواه هذه من ان عدم ارسال الرسل وبعث  
الانبياء للعرب مألوف في سور العهد المكي، والواقع خلاف ذلك فهناك آيات  
مكية تصرّح ببعث الانبياء وارسال الرسل الى العرب وكل الاقوام والامم، منها  
قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (١)،  
ومنها الآيات المكية التي تتحدث عن قصتي النبيين صالح وهود ﷺ، منها قوله  
تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ  
جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا  
تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ...﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ  
إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي  
قَرِيبٌ مُجِيبٌ...﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى عادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ  
مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ...﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ

(١) فاطر: ٢٤.

(٢) الاعراف: ٢٣ وما بعدها.

(٣) هود: ٦١ وما بعدها.

(٤) هود: ٥٠ وما بعدها.



الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ \* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ  
وَأَطِيعُوا... ﴿١﴾، وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالتَّنْذِيرِ...﴾ ﴿٢﴾، وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ...﴾ ﴿٣﴾ والمشير للاستغراب ان «بول» نفسه قال: «وقد وردت قصتنا هذين النبيين في أقدم السور المكية، مثل سورة النجم الآية «٥١» وما بعدها، وسورة البروج الآية «١٧» وما بعدها، وسورة الفجر الآية «٨»، وسورة الشمس الآية «١١» وما بعدها، كما ترد كثيراً في السور التي تليها» ﴿٤﴾، ثم أليست هذه الآيات قيوداً صريحة تشير الى ارسال الرسل وبعث الانبياء للعرب لتنفى بذلك العموم المدعى وتخصصه بما قلناه أولاً من أنه ينحصر بالمعاصرين والآباء القريبين؟ فمن الذي وقع في التناقض؟ هل هو القرآن الكريم؟ وقد أثبتنا بوضوح عدمه، أم هو «بول» واضرا به من المستشرقين من الذين تكلفوا العلم وتمحلوا دعوى المعرفة وما هم الا يجهلون؟

٦ - قول «نولدكه N Ideke Sc. hwally» تحت مادة «اصول»: «وكان هم المفسرين التخلّص من المتناقضات العديدة الواردة في القرآن». وقوله ايضاً: «والتي تصوّر لنا تدرّج محمد في نبوته» الى آخر مقولته في دعوى تناقض آيات القرآن الكريم، وفيه:

أ - أن «نولدكه» هذا ونظائره نتيجة قصورهم عن فهم كثير من مسائل علوم القرآن ومنها مسألة النسخ والمنسوخ هي التي دفعتهم لادعاء وجود تناقض في آيات القرآن الكريم دون تأمل ورجوع الى المتخصصين في علم

(١) الشعراء: ١٤١ - ١٤٤ وما بعدها.

(٢) القمر: ٢٣ وما بعدها.

(٣) الحاقة: ٤ وما بعدها.

(٤) دائرة المعارف الاسلامية ١٤: ١٠٧.

تفسير القرآن الكريم، بل ذهبوا كثيراً في الافتراء والتهمة عند صياغتهم لهذا الادعاء باتهامهم المفسرين المتأخرين بأن همّهم كان التخلص من المتناقضات العديدة الواردة في القرآن، وكأن هذه التناقضات حقيقة واقعة لا مفرّ منها. وعليه فلا بد لنا من ايضاح مختصر لحقيقة النسخ في القرآن الكريم.

### النسخ في القرآن الكريم:

النسخ لغة: النقل والإزالة والإبطال، وأنسب المعاني اللغوية التي تتسجم مع فكرة النسخ هي الإزالة لقول أهل اللغة: نسخ الشيب الشباب اذا أزاله وحلّ محله<sup>(١)</sup>، ويدعم ذلك قوله تعالى: ﴿مَا نُنْسخ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

والذي يتسجم مع المحو والتبديل الوارد في هذه الآيات الكريمة هو معنى الإزالة. اما اصطلاحاً فقد عرفه السيد الخوئي رحمه الله بأنه: «رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه، سواء أكان ذلك الامر المرتفع من الاحكام التكليفية - كالوجوب والحرمه - أم من الاحكام الوضعية كالصحة والبطلان. وسواء أكان من المناصب الإلهية أم من غيرها من الامور التي ترجع الى الله تعالى بما انه شارع»<sup>(٥)</sup>. وهذا التعريف يخرج من النسخ كل صور المخالفة في الظهور

(١) لسان العرب ٤: ٢٨ ط بولاق.

(٢) البقرة: ١٠٦.

(٣) الرعد: ٣٩.

(٤) النحل: ١٠٦.

(٥) البيان: ٢٧٧ - ٢٧٨.

اللفظي بين الآيات سواء أكانت على نحو العموم والخصوص من وجه أو العموم المطلق، أو كانت إحداها مطلقة والاخرى مقيدة، التي تقوم بدور تفسير بعضها البعض الآخر. وقد كان المفسرون المتقدمون يدخلونها تحت عنوان النسخ مجازاً. وبيان جواز النسخ عقلاً ووقوعه شرعاً هو ان العقلاء من المسلمين وغيرهم اثبتوا جواز النسخ عقلاً، وخالفهم في ذلك بعض اليهود والنصارى محاولة منهم للطعن بإلهية الدين الاسلامي، وتمسكاً بدوام الديانتين اليهودية والمسيحية، والشبهة التي يدّعيها المستشرق «نولدكه» وأمثاله تتأسس على نفس الرؤية والشبهة التي طرحها ذلك البعض من اليهود والنصارى، وجامع صياغتهم للشبهة هو قولهم إن التناقض في القرآن ثابت لعدم جواز النسخ عقلاً وعدم وقوعه شرعاً. فعدم جوازه عقلاً قائم على أساس استلزامه أحد أمرين باطلين: الاول البداء المستلزم للجهل والنقص، والثاني العبث. لأن النسخ إما ان يكون بسبب حكمة ظهرت للناسخ بعد أن كانت خفية لديه، أو ان يكون لغير مصلحة وحكمة. وكلا هذين الأمرين باطل بالنسبة الى الله سبحانه، ذلك أن تشريع الحكم من الحكيم المطلق وهو الله سبحانه لا بد ان يكون بسبب مصلحة يستهدفها ذلك الحكم فتقتضي تشريعه، حيث أن تشريع الحكم بشكل جزافي يتنافى وحكمة الشارع، وحيث أن فرفع هذا الحكم الثابت لموضوعه بسبب المصلحة إما ان يكون مع بقاء حاله على ما هو عليه من وجه المصلحة وعلم ناسخه بها، وهذا ينافي حكمة الجاعل وهو العبث نفسه، وإما ان يكون من جهة جهله بواقع المصلحة والحكمة وانكشاف الخلاف لديه على ما هو الغالب في الاحكام والقوانين الوضعية، وعلى كلا الفرضين يكون وقوع النسخ في الشريعة محالاً لأنه يستلزم المحال، إما الجهل أو العبث وهما محالان على الله سبحانه لأنها نقص ولا يتصف بها.



وفي الجواب عن هذه الشبهة لا بد لنا من بيان مقدمة وهي أن الحكم المجعل من قبل الشارع ينقسم الى قسمين:

الأول - الحكم المجعل الذي لا يكون وراءه بعث وزجر حقيقيان، كالأوامر والنواهي التي تُجعل ويقصد بها الامتحان ودرجة الاستجابة. وهذا ما نسميه بالحكم الامتحاني.

الثاني - الحكم المجعل الذي يكون بداعٍ حقيقي من البعث والزجر حيث يقصد منه تحقيق متعلّقه بحسب الخارج، وهذا ما نسميه بالحكم الحقيقي. ونجد من السهل الالتزام بالنسخ في القسم الاول من الحكم، إذ لا مانع من رفع هذا الحكم بعد إثباته بعد أن كانت الحكمة في نفس إثباته ورفعته، لأن دوره ينتهي بالامتحان نفسه، فيرتفع حين ينتهي الامتحان والحصول فائدته وغرضه. والنسخ في هذا النوع من الحكم لا يلزم منه العبث ولا ينشأ منه الجهل والنقص الذي يستحيل في حقه تعالى.

وأما القسم الثاني من الحكم فإننا يمكن أن نلتزم بالنسخ فيه دون أن يستلزم ذلك شيئاً من الجهل أو العبث، حيث يمكن أن نضيف فرضاً ثالثاً الى الفرضين اللذين ذكرتهما الشبهة. وهذا الفرض هو ان يكون النسخ لحكمة كانت معلومة لله سبحانه من أول الامر ولم تكن خافية عليه، وإن كانت مجهولة عند الناس غير معلومة لديهم، فلا يكون هناك بداء بالمعنى الذي يستلزم الجهل والنقص لأنه ليس في النسخ من جديد على الله لعلمه سبحانه بالحكمة مبقاً، كما انه لا يكون عبثاً لوجود الحكمة في متعلق الحكم الناسخ وزوالها في متعلق الحكم المنسوخ، وليس هناك ما يشكل عقبة في طريق تعقل النسخ هذا إلا الوهم الذي يأبى تصور ارتباط مصلحة الحكم بزمان معين بحيث تنتهي عنده، وإلا الوهم الذي يرى في كتمان هذا الزمان المعين عن الناس جهلاً من الله بذلك الزمان. وهذا



الوهم يزول حين نلاحظ بعض النظائر الاجتماعية التي نرى فيها شيئاً اعتيادياً ليس فيه من المحال أثر ولا من العبث والجهل.

فالتبيب حين يعالج مريضاً ويرى أن مرحلة من مراحل المرض التي يجتازها المريض يصلح لها دواء معين فيصف له هذا الدواء لمدة معينة ثم يستبدله بدواء آخر يصلح لمرحلة أخرى لا يوصف عمله بالعبث والجهل، مع أنه قام بوضع أحكام معينة لهذا المريض في زمان محدود ثم رفعها عنه بعد مدة من الزمن. وحين وضع الحكم كانت هناك مصلحة تقتضيه، كما أنه حين رفع الحكم كانت هناك مصلحة تقتضي هذا الرفع، وهو في كل من الحالين كان يعلم المدة التي يستمر بها الحكم والحكمة التي تقتضي رفعه. ونظير هذا يمكن أن نتصوره في النسخ، فإن الله سبحانه حين وضع الحكم المنسوخ وضعه من أجل مصلحة تقتضيه، وهو سبحانه يعلم الزمان الذي سوف ينتهي فيه الحكم، وتتحقق المصلحة التي من أجلها شرع، كما أنه حين يستبدل الحكم المنسوخ بالحكم الناسخ يستبدله من أجل مصلحة معينة تقتضيه، فكل من وضع الحكم ورفع كان من أجل حكمة هي معلومة عند جعل الحكم المنسوخ. فليس هناك جهل، كما أنه ليس هناك عبث لتوفر عنصر العلم والحكمة في الجعل والرفع.

نعم هناك جهل الناس بواقع جعل الحكم المنسوخ، حيث كان يبدو استمرار الحكم نتيجة للاطلاق في البيان الذي وضع الحكم فيه، ولكن النسخ إنما يكون كشفاً عن هذا الواقع الذي كان معلوماً لله سبحانه من أول الأمر. أما وقوع النسخ شرعاً فإنه يتحقق في موارد عديدة سواء في الشريعة الموسوية أو الشريعة المسيحية أو الشريعة الاسلامية. فقد جاءت نصوص في التوراة والانجيل وفي الشريعة الاسلامية تتضمن النسخ ورفع ما هو ثابت في نفس الشريعة أو في غيرها من الشرائع السابقة، منها:

١ - تحريم اليهود العمل الدنيوي يوم السبت مع الاعتراف بأن هذا الحكم لم يكن ثابتاً في الشرائع السابقة، وإنما كان يجوز العمل في يوم السبت كغيره من أيام الاسبوع<sup>(١)</sup>.

٢ - أمر الله سبحانه بنبي اسرائيل قتل انفسهم بعد عبادتهم العجل ثم رفعه لهذا الحكم عنهم بعد ذلك<sup>(٢)</sup>.

٣ - الأمر ببدء الخدمة في خيمة الاجتماع في سن الثلاثين ثم رفع هذا الحكم وإيداله بسن خمس وعشرين سنة ثم رفعه بعد ذلك وإيداله بسن العشرين<sup>(٣)</sup>.

٤ - النهي عن الحلف بالله في الشريعة المسيحية مع ثبوته في الشريعة الموسوية والالزام بما التزم به في النذر او اليمين<sup>(٤)</sup>.

٥ - الامر بالقصاص في الشريعة الموسوية<sup>(٥)</sup>. ثم نسخ هذا الحكم في الشريعة المسيحية ونهي عن القصاص<sup>(٦)</sup>.

٦ - تحليل الطلاق في الشريعة الموسوية<sup>(٧)</sup>. ونسخ هذا الحكم في الشريعة المسيحية<sup>(٨)</sup>.

أما النسخ في الشريعة الاسلامية فهو أمر ثابت لا يكاد يشك فيه أحد من علماء المسلمين سواء في ذلك ما كان نسخاً لأحكام الشرائع السابقة او ما كان

(١) انظر سفر الخروج ١٦ / ٢٥ - ٢٦ و ٢٠ / ٨ - ١٢ و ٢٣ / ١٢ و ١٦ / ١٦ - ١٧ و ٣٥ / ١ - ٣ وسفر اللاويين ٢٣ / ١ - ٣ وسفر التثنية ٥ / ١٢ - ١٥.

(٢) سفر الخروج ٣٢ / ٢١ - ٢٩.

(٣) سفر العدد ٤ / ٢ - ٣ و ٨ / ٢٣ - ٢٤. وسفر أخبار الأيام الاول ٢٣ / ٢٤ و ٣٢.

(٤) سفر العدد ٣٠ / ٢. انجيل متى ٥ / ٣٣ - ٣٤.

(٥) سفر الخروج ٢١ / ٢٣ - ٢٥.

(٦) انجيل متى ٥ / ١٣٨.

(٧) سفر التثنية ١٤ / ١ - ٣.

(٨) انجيل متى ٥ / ٣١ - ٣٢ وانجيل مرقس ١٠ / ١١ - ١٢.

نسخاً لبعض احكام الشريعة الاسلامية نفسها. ومن هذا النسخ ما صرح به القرآن الكريم كنسخه حكم التوجه في الصلاة الى القبلة الاولى «المسجد الأقصى»، القبلة الثانية في الشريعة الموسوية، وأمره بالتوجه شطر المسجد الحرام<sup>(١)</sup>.

ب - ان قول «نولدكه»، في تفسير المتناقضات التي يدعي ورودها في القرآن من أنها تصوّر لنا تدرّج محمد في نبوته، تشويه فاضح يفتقر الى المنطق السليم والموضوعية العلمية ويكشف عن روح التحامل، إذ انه لا يستفرغ الوسع في البحث العلمي عن الحقائق، انما يطويه سريعاً لينتقل الى ما يحكيه اليه ميله من تفسير وتعليل فيغمز في نبوة محمد ابتداءً ويصورها على انها كانت متدرجة، بدليل ان الآيات القرآنية بدأت متناقضة لان نبوة محمد بدواً لم تتحقق، وهكذا يترك قارئه في دوامة الشك والتردد. وقد أوضحنا في الفقرة السابقة ما هو ثابت من حقيقة النسخ في القرآن الكريم كما هو في الشرائع السماوية السابقة، وما هي المصلحة فيه، فلا متناقضات في القرآن، وبالتالي تبطل شبهة «نولدكه» واحتمالاته في تدرّج نبوة محمد ﷺ.

٧ - قولهم تحت مادة «عقيدة محمد في الله»، بعد كلام لهم في تعريف محمد ﷺ لصفات الله سبحانه: «... وهي تعيننا [الصفات] كثيراً في فهم وتحديد عبارات محمد المبعثرة المتناقضة»، هي صورة جديدة من صور دعوى التناقض في القرآن الكريم غير تلك التي تناولنا الجواب عنها في مسألة النسخ في القرآن، وفي الرد عليهم نقول:

أ - انكم لم تبيّنوا لنا موارد التناقض في صفات الله الواردة في القرآن

(١) المرید من التفصيل: راجع علوم القرآن للسيد محمد باقر الحكيم، والشهيد في علوم القرآن للشيخ محمد هادي معرفة.

الكريم، فدعواكم هذه بمحملة وغامضة لا وضوح فيها.

ب - إذا كان قصدكم من التناقض هو ما بين الصفات الكمالية المتقابلة معنى لله سبحانه كالغفور الرحيم والمنتقم شديد العقاب، فجوابه، انكم أولاً: يجب ان تحيطوا بحقيقة عقيدة التوحيد والعدل الإلهي التي ارشد اليها القرآن الكريم في آيات الارشاد العقائدي والتي تعتبر صفات الله الكمالية عين ذاته لا شيئاً خارجاً عنها موصوفاً سبحانه وتعالى بها ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فيها تتجلى معرفة الكمال المطلق الذي يسعى الانسان للتكامل في طريقه المستقيم. وثانياً: إن هذه الصفات المتقابلة ليست متناقضة، لأنها تختلف باختلاف متعلقها. فالله سبحانه وتعالى غفورٌ رحيمٌ لمن اقتضى لطفه وحكمته رحمته والمغفرة له، وهو منتقم شديد العقاب لمن اقتضى عدله وحكمته الانتقام منه وتشديد العقاب عليه، وهكذا شأن الصفات الكمالية الأخرى. فلا تناقض فيها ولا غموض ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ \* وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ \* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٨- قول «كارادي فو B. Carrade Vaux» تحت مادة «جهنم»: «الظاهر ان القرآن قد تردد بعض التردد في مسألة خلود العذاب في جهنم، فالآيات التي تشير الى ذلك لا تتفق تمام الاتفاق، ولعل هذا التردد إنما يرجع الى ان النبي محمداً لم يكن من الفلاسفة المتفكرين... إلخ» فيه ما يلي:

أ - ان المقطع الاول الذي يشير الى دعوى تردد بعض آيات القرآن الكريم في مسألة خلود العذاب في جهنم جاء ناقصاً لا يتضمن دليلاً او مثلاً على التردد المدعى فهو قول جزائي لا قيمة علمية له.

(١) الانعام: ١٠٠.

(٢) الصافات: ١٨٠ - ١٨٢.



ب - ان العذاب الإلهي في الآخرة له درجات تتناسب ومستوى الجريمة التي ارتكبها الانسان في الدنيا، فهي تتدرج من المعاصي والمفاسد على اختلاف خطرها وعظمتها، الى الشرك والكفر والطغيان جحوداً بالله وإنكاراً لألوهيته والاستكبار والعلو في الارض دونه سبحانه وتعالى.

ولهذا جاءت آيات القرآن الكريم لتؤكد الخلود والشدة في العذاب لدرجات القسم الثاني ودون ذلك في القسم الأول، وهنا يأتي دور تفسير بعض الآيات للبعض الآخر تخصيصاً لعمومها وتقييداً لاطلاقها إن كان هناك محصص أو مقيد لموردها، فيمتاز بعضها بالقول بالخلود في العذاب وبعضها الآخر بما دون ذلك، فلا تردد ولا تناقض عند اولى الالباب.

ج - ان تعليل «كارادي فو» دعواه بتردد القرآن في مسألة خلود العذاب في جهنم بأنه يرجع الى ان النبي محمداً لم يكن من الفلاسفة المتفكرين، فيه: اولاً: غمراً بنبوة محمد ﷺ وهذا ما أجلنا الحديث فيه الى فصل مستقل إن شاء الله. وثانياً: لما قلنا سابقاً من أن القرآن الكريم ليس كتاباً مدرسياً ولا مؤلفاً أكاديمياً يعرض المسائل بطريقة تحليلية متسلسلة وبلغة مدرسية ومنهج أكاديمي مقرر، انما هو كتاب دعوة وتربية للانسان والأمة وارشاد وقيادة لحركة الرسول ﷺ الميدانية عند بعثته وطيلة حياته الرسالية وفهم القرآن واستنباط الحقائق والاحكام والتعليمات منه يحتاج الى الاحاطة بجملة مقدمات وقواعد تسمى بعلم تفسير القرآن الكريم، الذي يتناول علوماً فرعية متعددة تحقق القدرة على التفسير والتأويل للقرآن، منها علوم اللغة وعلوم القرآن، وعلم الحديث، وأمثال ذلك، وإنما اضطررنا لهذه العلوم لابتعادنا عن زمن التنزيل، حيث ان وجود الرسول ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ كان يغني المسلمين آنذاك عن الإحاطة التفصيلية بهذه العلوم؛ فقد كان الرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ تراجمة القرآن وعلماء

حقائقه ودقائقه، ثم ان بلاغة القرآن وبيانه كانت واضحة لدى المسلمين في عصر الرسول ﷺ لتدوّقهم الفطري لها، كما ان معاصرتهم للحوادث والوقائع التي تشكل شأن وأسباب النزول كانت تغنيهم عن البحث والاستقصاء عنها لمعرفة مدلول الآيات النازلة بشأنها، وهذا أمر يدركه العقلاء ويلتزمون بلوازمه. فيبطل التعليل كما تبطل الدعوى.

٩ - قول «فنسنتك» تحت مادة «الخمر»: «ولم يكن تحريم الخمر في برنامج النبي منذ البداية، بل نحن نجد في الآية ٦٧ من سورة النحل مدحاً في الخمر بوصفها آية من آيات الله للناس... بيد ان عواقب السكر قد ظهرت على الصورة التي بينا، فدفع ذلك النبي الى ان يغير من اتجاهه»، فيه ما يلي:

أ - غمّر نبوة محمد ﷺ وبصدق الوحي الإلهي له<sup>(١)</sup>، وإلا فليس القرآن الكريم كلام النبي ﷺ ليبرجه حسب رأيه، إنما هو كلام الله أنزله تجوماً على رسوله محمد ﷺ بواسطة الوحي حسب مقتضيات الحكمة الإلهية ومناسبات حركة الرسول ﷺ ودعوته للاسلام، فبرنامج التحريم للخمر - حسب قول «فنسنتك» - ليس إلا تدرجاً في طريقة ومستوى البيان للحكم الشرعي، من تقييح وتحريم له مرةً وبيان لاشتماله على الاثم - وهو محرم - أخرى، والزجر عن تناوله لحرمة ثالثة... ولا تعارض بين الآيات التي تناولت الخمر، فكلها تحريمه بصيغ بيانية متنوعة اقتضتها تلك الحكمة الإلهية والمناسبات الواقعية، شأنها في ذلك شأن كثير من الظواهر الاجتماعية الفاسدة التي تستلزم تدرجاً زمنياً في طريقة ومستوى بيان الموقف الشرعي الكامل منها، وبالشكل الذي يتناسب وقابلية التلقي الذهني والنفسي لمجتمع الدعوة والرسالة لهذا التشريع أو ذاك،

(١) وجواب هذه الشبهة سيأتي لاحقاً.

ليتحقق الهدف الإلهي في إدراك الناس له وتحصيل الاستعداد للتسليم به، وهذه سنة الله في رسالاته وشرائعه للأمم السالفة «كاليهودية والنصرانية» والتي ألحنا لأمثلتها في بحث النسخ في القرآن الكريم في الفقرات السابقة من هذا البحث<sup>(١)</sup>.

ب - أمّا قوله: «ان في الآية ٦٧ من سورة النحل مدحاً في الخمر بوصفها آية من آيات الله للناس...» فليس كذلك، ولعل السبب في سوء الفهم هذا هو روح التحامل على الاسلام من جهة - خصوصاً عند «فنسك» المعروف بذلك - وعدم الاحاطة باللغة العربية من جهة اخرى. فالآية الكريمة مكية وهي مخاطبة المشركين وتجيئهم في سياق الظواهر الطبيعية التي يعاشونها في حياتهم الاعتيادية، عن سؤا لهم المقدر وهو: ما هي ثمرات انزال الماء من السماء؟ فكون اتخاذ المشركين السكر من ثمرات النخيل والاعناب لا يعني تحسينه لهم، خصوصاً وان الآية الكريمة تنسب السكر إليهم وانه من صنعهم، وليس هو إلا إشارة الى ثمرة طبيعية مألوفة لديهم، بل هناك قرينة واضحة في الآية تدل على نوع من تقييد السكر من جهة مقابلته بالرزق الحسن، فلو كان السكر حسناً لما ميّزته الآية الكريمة عن الرزق الحسن.

(١) هناك من يرى ان في الآيات التي تناولت الخمر ناسخاً ومنسوخاً، وعلى هذا الرأي يأتي كلامنا السابق في النسخ في القرآن الكريم وتتفي بذلك دعوى فنسك. راجع الطباطبائي - تفسير الميزان ١٢: ٢٠٩ - ٢٠٥، ٢٠١: ٢٠٥.



## تأثر محمد ﷺ باليهودية والنصرانية والجاهلية واستقاؤه منها في صياغة قرآنه ودينه الجديد

ولإبراز هذه الشبهة، دس العديد من محرري دائرة المعارف الاسلامية ادعاءات ومقولات متنوعة:

منها: ما جاء تحت مادة «جبريل» حيث يقول «كارادي فو Carrade Vaux»: «وقد اصطنع النبي القصة التي تقول بأن هذا الرسول السماوي يتحدث إلى الأنبياء واعتقد أنه تلقى رسالته ووحيه منه... والظاهر أن النبي عرف جبريل من خبر البشارة الوارد في الإنجيل ولكنه لم يكن في مقدوره ان يعرف الإنجيل من غير وساطة، ولعله سمع ذلك الخبر من أفواه بعض الفلاسفة أو الباحثين في الأديان أو من احد الحنفية وقد وصلهم الخبر مشوّهاً. وفي رأي النبي أن الله بعث بروحه إلى مريم فتمثل لها بشراً سوياً (سورة مريم الآية ١٩)»<sup>(١)</sup>.

وتحت مادة «سحر» يقول «هيك T. W. Haig»: «... ان اصول الاسلام نفسها قد تأثرت تأثراً عميقاً بمعتقدات أناس غرباء عن الاسلام كلية»<sup>(٢)</sup>.

وتحت مادة «أمة» يقول «ر. پاريه R. Paret»: «هي الكلمة التي وردت في القرآن للدلالة على شعب أو جماعة، وهي ليست مشتقة من الكلمة العربية «أم»، بل هي كلمة دخيلة مأخوذة من العبرية «أُمَّا» أو من الآرامية «أُمَّشا»، .. وقد تكون الكلمة الاجنبية دخلت لغة العرب في زمن متقدم بعض الشيء. ومهما يكن من شيء فإن محمداً أخذ هذه الكلمة واستعملها وصارت منذ ذلك الحين لفظاً

(١) راجع: دائرة المعارف الاسلامية ٦: ٢٧٦ - ٢٧٨.

(٢) المصدر ١١: ٣٠٥.



إسلامياً أصيلاً»<sup>(١)</sup>.

وتحت مادة «السامرة» يقول «كاستر» (M. Gaster): «... على أنني لا اتردد في القول بأن مقارنة أصول العقيدة السامرية بأصول العقيدة الإسلامية سيبين أن السامرة قد أثروا أثراً عميقاً في تكيف الدين الذي جاء به محمد وإظهاره في الصورة التي تجلّى بها. وكان السامرة أبعد من أن يتأثروا بمحمد، ولكن السامرة أنفسهم هم الذين أثروا فيه»<sup>(٢)</sup>.

وتحت مادة «السامرة» أيضاً يقول «كاستر»: «... زد على ذلك أن أول عبارة في القرآن هي باسم الله، وهذه العبارة شأن خاص، فقد جرى المسلمون على استعمالها في كل أمر من أمور دينهم، والحق أن كل شعيرة من شعائر الإسلام تبدأ بها، وليست هذه العبارة ابتهاجاً مباشراً إلى الله، ولكنها دعوة باسمه القوي القديم، وهي جزء من الصوفيّة اليهودية والسامرية، وهي أيضاً الأصل في معظم التكهّنات السحرية عند القدماء. وما كانت هذه المعرفة لتنتشر للنبي إلا عن طريق اليهود أو النصارى عامة، والسامرة خاصة، ثم استعمل هذه العبارة على النحو الذي عرفنا، وافتتح بها أول آية من آيات القرآن... على أنها تصبح مفهومة إذا ما قارناها بالدعاء السامري الذي يناظرها: «بسم الله نبداً ونختم» أو في رواية أخرى: «باسم الله نبداً أو نُقبل» وهذه الصيغة هي التي يستعملها السامرة دائماً، وهي ترد في مستهل الـ «كينوش» الذي يجمع بين دفتيه أقدم الصلوات والتراتيل، وفي مستهل الحجاب القديم لليهود، كما ترد في بداية كل شيء. واختصرت هذه العبارة بتمامها بمرور الزمن من كثرة الاستعمال، وبلغت محمداً بهذه الصيغة التي حذّف منها جزءها الثاني لأنه أصبح معروفاً ومفهوماً حق الفهم، ولكنها كانت في

(١) المصدر ٢: ٦٣٠-٦٣١.

(٢) راجع المصدر ١١: ٩١-٩٦.

الحق بداية صيغة ليس لها معنى إذا لم تتم، ومع ذلك فإنها تعتمد على نظرية كانت جديدة على العالم الاسلامي، ونعني بها الطبيعة الصوفية لاسم الله»<sup>(١)</sup>.

وتحت نفس المادة يقول كاستر: «... قال ابو الفتح: ان ثلاثة حكماء من اهل التنجيم تنبأوا بظهور محمد ونجاح رسالته، وكان احدهم يهودياً، والثاني مسيحياً، والثالث سامرياً. وقد ذهبوا جميعاً إلى محمد لينبئوه بما سيكون له من شأن عظيم، وتأثر النبي بمقالتهم وقبل نبوءاتهم شاكراً، واستطاع ان يهدي اليهود والنصارى إلى دينه. أمّا اليهودي فكان «كعب الاحبار» المشهور، وأما النصراني فكان «آب سمليّة». على ان السامري أبى ان يدخل في الدين الجديد، وإن كان قد استطاع أن يؤثر في النبي أكثر من صاحبيه... وهؤلاء الحكماء الثلاثة يمثلون خير تمثيل الأديان الثلاثة التي كان لها شأن في تكييف الاسلام»<sup>(٢)</sup>، ويستمر كاستر في ادعاءاته فيقول: «إننا لتساءل إلى أي حد أثر السامرة في الاسلام؟ الواقع ان هذه الدعوى التي طرحها الآن بالنسبة للسامرة دعوى جديدة وحسبنا ان نختار وجوهاً قليلة منها، وهي الوجوه التي تستطيع ان تجد الدليل على وجود اصل سامري لها...»<sup>(٣)</sup>.

ويستطرد كاستر في اختيار الوجوه تلك، منها قوله: «... وإني لأبدأ بالشهادة المعروفة في الاسلام: «لا اله إلا الله»، وهذه الشهادة تنطبق بقدر ما تحتمل العقائد الدينية على العبارة التي كان يرددتها مراراً وتكراراً «مَرَقَح» ومعاصروه «عَمْرَام درا» و«نانا»: «ليت اله الا إمام»... ومعناها ليس إله الا أحد، وكانت وحدانية الله في نظر السامري كما كانت في نظر اليهودي وفي نظر محمد

(١) المصدر ١١: ٩١-٩٢.

(٢) المصدر ١١: ٩٠.

(٣) المصدر نفسه.

أيضاً ركن دينه الركين»<sup>(١)</sup>.

وفي مادة «تميم الداري» يقول «ليني دلافيدا G. Levi Dellvida»: «... وكان تميم نصرانياً كغالب عرب الشام فاستطاع أن يخبر النبي بتفاصيل العبادات التي استعارها من النصارى... ويقال إن تيمياً كان أول من روى القصص الديني... وقد أخبر بها تميم النبي فأخذ بروايته وأذاعها في الناس»<sup>(٢)</sup>.

وعن دعوى استقاء الرسول ﷺ من التوراة يقول «هورفيتز J. Horovitz» تحت مادة «التوراة»: «وفي القرآن إلى جانب مثل هذه الاشارات البينة إلى التوراة قصص وأحكام استقاها منها ورددها في مواضع كثيرة دون أن يذكر المصدر الذي نقل عنه، وقد ساق أغلب هذا القصص في صيغته الهجائية»<sup>(٣)</sup> وحوار بعضه بحيث يلائم اغراض محمد الخاصة»<sup>(٤)</sup>.

وتحت مادة «جهنم» يحاول «كارادي فو B. Carrade Vaux» من خلال تعريفه لها أن يطعن بإلهية القرآن الكريم ورسالة النبي محمد ﷺ بالاسلام فيقول: «جهنم: وهي كلمة مشتقة من اللفظ العبري «جيحنون» أو «وادي هنوم» (انظر سفر يوشع، الاصحاح الخامس عشر، الفقرة ٨) وكان وادياً بالقرب من بيت المقدس تقدم فيه القرابين إلى مولك في أيام العقوق، وكلمة جهنم بالف بعد النون معناها البئر العميق. وقد تردد ذكر جهنم وفكرة جهنم كثيراً في القرآن اما لأن محمداً نفسه قد بدهته هذه الفكرة واقفاً لأنه رأى انه من المفيد ان يلح في ذكرها

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر ٥ : ٤٨١.

(٣) هكذا وردت في الأصل، وليس لهذه الكلمة معنى في معاجم اللغة، إلا أن تكون مشتقة خطأ من كلمة «تهجد» ولا صحة لهذا الاشتقاق لا لفظاً ولا معنى يلائم الجملة.

(٤) المصدر ٦ : ١ - ٢.

لتفعل فعلها في مشاعر السامعين»<sup>(١)</sup>.

وتحت مادة «دنيا» يحاول «كارادي فو» مرة أخرى أن يطعن بإلهيد القرآن الكريم ويؤكد أن محمداً ﷺ استقى آيات قرآنه من اليهودية والمسيحية. فيقول: «... وأسلوب محمد في استعمال هذه الكلمة يذكرنا تماماً بأسلوب وعاظ النصارى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ «سورة البقرة - الآية ٨٠»<sup>(٢)</sup>، وجاء في القرآن أيضاً «سورة الأعلى، الآيات من ١٦ - ١٩»: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى \* إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى \*، ونحن نستدل من هذه الآيات أن محمداً لم يدع أنه أتى بجديد وهو يلقي بمواعظ من هذا القبيل، على أن الشيء الذي ينسب لليهودية يجب أن ينسب إلى المسيحية»<sup>(٣)</sup>.

وتحت مادة «السكينة» يحاول «جويل B. Joel» من خلال دعوى استعارة هذه الكلمة من العبرية واقترانها بتصوّرات من العقائد الوثنية في الجن أن يوحى بأن القرآن هو كلام النبي محمد ﷺ وليس كلام الله، فيقول: «السكينة: كلمة مستعارة من العبرية «شكينا» وهي تدل في هذه اللغة على حضرة الله بالمعنى الروحي الخالص، وتتجلى هذه الحضرة أحياناً بعلامة كنار أو سحابة أو نور مما يستطيع إدراكه بالحواس، ومن الواضح أن النبي ﷺ لم يبين بجلاء المعنى الحق لهذه الكلمة، إذ يقول: إن السكينة هي وبعض الآثار كانت مودعة في تابوت بني إسرائيل المقدس، ولعله قرن هذه الكلمة العبرية المستعارة بتصوّرات استقفاها من العقائد الوثنية في الجن»<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر ٧: ١٩٥ - ١٩٦.

(٢) في المصحف العثماني رقم الآية ٨٦.

(٣) المصدر ٩: ٣٠١.

(٤) المصدر ١٢: ١٨ - ١٩.



وتحت مادة «السحر» يرسل «هيك» دعواه بتأثير المسيحية واليهودية في هذا الدين إرسال المسلمات وبصياغة صريحة من أنه من مؤلفات هازين الديانتين، بالإضافة الى غيرها مما هو سائد في جزيرة العرب آنذاك، فيقول: «وهكذا نجد أن عالم الأرواح في جزيرة العرب، مهد الاسلام، على ايام محمد ﷺ، كان يتألف - بصرف النظر عن الآثار المسيحية واليهودية التي في هذا الدين - من الله ومن الآلهة القبليّة والجن، وكان الكهّان والسحرة والعرافون والشعراء والمجذوبون صلة الوصل بين الناس وبين هذا العالم»<sup>(١)</sup>.

وتحت مادة «داود» ومن خلال بحثه عن مصدر معلومات النبي محمد ﷺ عن النبي داود عليه السلام يحاول «كارادي فو» إثبات أن محمدًا استقى قصة النبي داود في قرآنه من التوراة، فيقول: «وقد ورد ذكره [داود] في التوراة. وفي القرآن عدة آيات تشير الى قصة الملك النبي داود، خليفة الله «سورة ص - الآية ٢٥»، وقد حُرِّفت هذه القصة شأن غيرها من قصص الأنبياء بعض التحريف، ويظهر فيها أثر من مذهب الربانيين، أو قل انه يبدو فيها أثر السعي الى تفسير بعض آيات من التوراة لم تعرف على وجهها الصحيح. فقد كان محمد يعلم أن داود قُتِلَ جالوت «القرآن، سورة البقرة - الآية ٢٥٠ وما بعدها» وأن الله آتاه الزبور، والزبور سفر من الأسفار الأربعة التي عرفها محمد من التوراة»<sup>(٢)</sup>.

وتحت مادة «الجنة» كما في غيرها من المواد المشابهة يكرّس «كارادي فو» دعواه بأن محمدًا أو من كان وراءه قد تأثروا بالمسيحية، فيقول: «ولا بدّ من أن يكون محمد أو معلّموه المجهولون قد رأوا بعض التصاوير أو بعض قطع الفسيفساء المسيحية التي تصوّر حداثق الفردوس، وأولّوا صورَ الملائكة كما لو كانت صورَ

(١) المصدر ١١: ٣٠٤.

(٢) المصدر ٩: ١٢١.

## الولدان والخور»<sup>(١)</sup>.

وللايجاء بدعوى أن النبي محمداً ﷺ قد أخذ من الأديان السابقة وتأثر بها في صياغة دينه الجديد يقول «كاستر» تحت مادة «الأدب السامري»: «والتشابه بين أصل الحديث وبين السنة السامرية الشفوية أو ثق من التشابه بين الحديث وبين السنة اليهودية أو المسيحية»<sup>(٢)</sup>.

ويحاول «جوينبل Th. W. Juynboll» أن يؤكد هذه الشبهة فيدعي أن الإقامة أخذت من اليهود والنصارى، حيث يقول تحت مادة «إقامة»: «إن المسلمين استعاروا عبارات الإقامة من البركات التي تتلى في صلاة اليهود، في حين يقول «بيكر Zur: C. H. Becker, Geschichtedes Islam» ص ٣، ص ٢٨٩ «Islamischen Kultuse Der Islam»: إنها نشأت من الأذان الذي نسج على منوال القداس عند النصارى»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا ينساق كتاب دائرة المعارف الإسلامية مع هذه الدعوى ويرددون نفس الشبهة في موادها الأخرى، منها ما في مادة «الجمعة» التي يقول فيها «جوينبل»: «ويصح أن نذهب إلى أن النبي نفسه جرى على إقامة صلاة عامة وإلقاء خطبة على طريقة اليهود في فناء داره بالمدينة في أيام الجمعة، ولعله قد جرى على إقامة الصلاة تتبعها الخطبة كما كانت عليه الحال لدى الجماعات المماثلة في الأزمنة السابقة له، إذ كانت الصلاة العامة تسبق أداء الأعمال الأخرى»<sup>(٤)</sup>.

وتحت مادة «الخطبة» يحاول «فنسنك A. J. Wensinek» أن ينفي الوحي

(١) المصدر ٧: ١٤٣.

(٢) المصدر ١١: ١٠٧.

(٣) المصدر ٣: ٤٥٥.

(٤) المصدر ٧: ١٠٥.

الإلهي للنبي محمد ﷺ وتشريع نظام عبادة الصلاة الإسلامية فيقول: «وعهما يكن من أمر الشك في هذه الأحاديث، فلسنا نبتعد عن القصد إذا ذهبنا إلى أن النظام المحدد للصلاة يوم الجمعة والعيدين إنما نشأ بعد وفاة النبي. وهذا النظام يعتمد على ثلاثة عناصر: الخطبة الجاهلية والسنة، والمثل المستقاة من اليهود والنصارى. وقد حاول «بيكر G. H. Becker» في دراسته لتاريخ العبادات الإسلامية أن يعقد صلة وثيقة بين صلاة الجمعة والعيدين من ناحية، والقديس من ناحية أخرى والخصائص الأساسية لرأيه هي: أن الخطبة الأولى تطابق الجزء الأول من القديس (Vormesse) والأذان والخطبة صدى للعبادات التي تدور بين الشمس والقيس الذي يتلو القديس. والتلاوة الواجبة لآيات القرآن تطابق القراءة من الكتاب المقدس، وهو يقول عن الخطبتين: إن هذه الثنائية محل لاختلاف الفقهاء، انتقلت إلى صلاة العيدين عن طريق صلاة الجمعة.

أما الخطبة الثانية فتطابق العظة والصلاة الجامعة عند النصارى. وقد عارض هذا الرأي «متفوخ Mittwoch» الذي وجد في القديس اليهودي سمات تماثل الأذان والإقامة، وتماثل «الحمدلة» و«التلاوة» من التوراة «الخطبة الأولى» و«التلاوة» من سفر الأنبياء «الخطبة الثانية». وربما كان من المستحيل أن نأتي بالقول الفصل في هذا الموضوع. ولعل المثل المستقى من الشعائر اليهودية والمسيحية كان ذا تأثير في الهيكل الذي استقرت عليه الصلاة عند المسلمين»<sup>(١)</sup>.

ونفس الدعوى تتكرر في مادة «صوم» التي كتبها «بيرك G. G. Berg» كما في المقاطع التالية: «أمّا «الصوم» [بمعنى الامساك عن الطعام والشراب] فيجوز أن يكون مأخوذاً عن الاستعمال اللغوي اليهودي - الآرامي - لما عرف محمد ﷺ

وهو في المدينة شعيرة الصوم عن كتب»<sup>(١)</sup>.

ويستمر في هذه الدعوى فيقول في موضع آخر من نفس المادة: «ويدل على ظهور الصيام باعتباره رياضة اختيارية غايتها قهر الشهوات بين المسلمين الأولين في مكة ما يغلب على الظن من أن محمداً ﷺ، وهو في أسفاره الكثيرة، لاحظ هذه العبادة عند اليهود والنصارى»<sup>(٢)</sup>.

ويقول أيضاً في نفس المادة: «... لكن محمداً ﷺ لم يكن على كل حال عارفاً بالتفصيلات لانه لم يأمر بصوم يوم عاشوراء إلا بعد الهجرة لما رأى اليهود يصومونه»<sup>(٣)</sup>.

ويذهب «بيرك» الى أكثر من ذلك في ادعائه هذا، فينقل آراء آخرين تحت نفس المادة فيقول: «وفيما يتعلق بمسألة السبب الذي من أجله اختار محمد ﷺ شهر رمضان بالذات والمصدر الذي أخذت عنه شعيرة الصوم الاسلامية، قيلت آراء عديدة، ويقول الاسلام انه هو الصوم الذي فرضه الله على اليهود والنصارى لكنهم أفسدوه، فأعاده محمد ﷺ الى صورته الصحيحة، ويذهب «سپرندر Sprenger» الى انه تقليد للصوم الاربعين عند النصارى؛ و «نولدكه وشفاللي Noldeke - Schwally» يشيران الى مشابهة الصوم الاسلامي لنوع الصوم عند المانوية»<sup>(٤)</sup>.

أما «فير T. H. Weir» فيساهم هو الآخر في طرح هذه الشبهة والإيحاء بأن العديد من العبادات التي جاء بها النبي محمد ﷺ ما هي إلا موروثات

(١) المصدر ١٤: ٣٩٣-٣٩٤.

(٢) المصدر ١٤: ٣٩٥-٣٩٦.

(٣) المصدر ١٤: ٣٩٧.

(٤) المصدر ١٤: ٣٩٨-٣٩٩.



متأصلة لدى العرب زمن الجاهلية حيث يقول تحت مادة «الجاهلية»: «... ولكنه  
محمد ﷺ | وجد الحج الى الأماكن المقدسة متأصلاً في نفوس العرب لا يستطيع  
له دفعاً. وكان قصاره ألا يُبقي من بيوت العبادة إلا على بيت واحد جعله بيت الله  
الواحد»<sup>(١)</sup>.

ويقول «فنسنك Wensinck» في نفس الاتجاه تحت مادة «أصل الحج في  
الاسلام»: «لم تكن نظرة النبي الى الحج واحدة على الدوام، فلا بد أنه اشترك كثيراً  
في مناسكه وهو حدث، أما بعد دعوته فقد كانت عنايته قليلة أول الأمر بالحج.  
فلم يرد ذكر الحج في السور القديمة. ولا يبدو من المصادر الأخرى أن النبي اتخذ  
خطة محددة حيال هذه العادة الوثنية الأصل»<sup>(٢)</sup>.

ويُفصّل «فنسنك» أكثر في دعمه لهذه الشبهة فيقول تحت نفس المادة: «ان  
الوقوف في سهل عرفات من أهم مناسك الحج، فالحج بدون الوقوف باطل في  
الاسلام، وإنما يفسر هذا الأمر بأنه أثر لفكرة جاهلية، وقد وازن «هوتسما  
Houtsma» بين الوقوف وبين إقامة بني اسرائيل على جبل سيناء. فهو لاء يعدّون  
أنفسهم لهذه الإقامة بالامتناع عن النساء ويغسل ثيابهم، وبذلك يقفون أمام  
الرب، وعلى هذا النحو لا يقرب المسلمون النساء ويرتدون ثياب الإحرام  
ويقفون أمام الخالق في سفح جبل مقدّس»<sup>(٣)</sup>.

وينساق «فنسنك» تحت مادة «إحرام» مع هذه الدعوى قائلاً: «ونلاحظ  
أن ثوب الإحرام ربما كان الثوب المقدّس عند قدماء الساميين، إذ إنّ الجزء الاعلى  
من الثوب الذي كان يرتديه الكاهن الأعظم في «العهد القديم» كان غير مخيط..

(١) المصدر ٦: ٢٦٧.

(٢) المصدر ٧: ٣٠١.

(٣) المصدر ٧: ٣٠٦.

ويرتدي كهنة اليهود الأفود «الصدر» حول الحرقفتين والميل حول الكتفين. ونجد هذا نظيراً في الاسلام عند الصلاة وفي تكفين الميت. وكان العرب في جاهليتهم عند الكهانة يلبسون رداءً ومئزرًا، كما كان الزهاد المتأخرون يرتدون مثل هذا الثوب. يضاف إلى ذلك ان اللون الابيض يعدُّ مقدساً في كثير من الأديان... فلباس الإحرام والحالة هذه قديم جداً ولا يرجع أصله للإسلام. زد على ذلك أن لبس الحذاء محرمٌ كذلك... وهذه عادة سامية قديمة كذلك... ويجب كذلك على المحرم ان لا يغطي رأسه، وربما كانت هذه عادة من عادات الحزن قبل الاسلام»<sup>(١)</sup>.

وينقل «فنسك» رأي «سنوك هجروينيه» في هذا الموضوع، الذي صور هذه الشبهة مرةً بأنها نظريات يراها النبي محمد ﷺ ليتفادى بها الصورة القاسية التي كانت تمارس بها هذه العبادات في الجاهلية، ومرةً أخرى يصورها بأنها ممارسات مشتملة على قذارات كانت على عهد الجاهلية، ومنها ما كان على عهد الديانات السامية أيضاً كاليهود فيقول في مادة «إحرام»: «إن محرّمات الاحرام قد غدت قاسية في نظر النبي، لذلك نجده أثناء مكته في مكة قبل الحج يتحلل من هذه المحرّمات... وعلى ذلك فإن ما تراءى للنبي ومعاصريه أنه إهمال يستوجب التكفير قد غدا في نظر الاجيال اللاحقة أمراً مباحاً... وقد منع الشرع المحرم من جملة أمور: النكاح والتطيّب وإراقة الدم والصيد، كما حرّم اقتلاع النبات. ونلاحظ بهذه المناسبة أن بعض الاديان الساميّة يحرم النكاح في حالات أخرى، ونخص بالذكر من هذه الأديان ما يقول بالتوحيد. وكان إهمال العناية بالبدن ظاهرة معروفة بين الشعوب الساميّة في الاحوال الدينية، وتصوّر لنا الروايات ان

الناذيات في الجاهلية كنَّ قذرات ذوات شعر أشعث. ويمتنع اليهود مدّة حدادهم عن الاستحمام وتقليم الأظافر. ويذكرون أن الحجاج في الجاهلية وفي عصر النبي كانوا يضّمّخون شعورهم بالادهان وقت الاحرام تخفيفاً لو طأة القذارة»<sup>(١)</sup>.

كما ويصرّح «بول Ir. Buhl» بالشبهة دون تردّد، فيقول تحت مادة «الجمرة»: «ورمي الجمرات شعيرة أخذها الاسلام عن الوثنية فلم ينصّ عليها صراحة في القرآن، ولكنها ذكرت في سير النبي وفي الحديث»<sup>(٢)</sup>.

وبسلك «شاخنت Joseph Schacht» نفس نهج أضرابه فيقول تحت مادة «زكاة»: «إن النبي ﷺ استعملها بمعنى أوسع من ذلك بكثير، أخذاً عن استعمالها عند اليهود (في اليهودية - الآرامية: زاكوت) ... ولما كان النبي محمد ﷺ قد عرّف التقوى من هذا الوجه على أنها من مميزات الأديان المنزلة، فانه من اول الأمر قد اعتبر البرّ من الفضائل الكبرى التي يتحلّى بها المؤمن الحق (انظر سورة الرعد، آية ٢٢، سورة فاطر، آية ٢٩)»<sup>(٣)</sup>.

ويضيف «شاخنت» قائلاً: «وترد كلمة صدقة مرادفة لكلمة زكاة تقريباً، ولا ريب أن النبي ﷺ قد عرف ذلك من يهود المدينة معرفة أدق. ولم يلبث معنى الزكاة ان تأثّر في المدينة أيضاً بتغيّر الأحوال»<sup>(٤)</sup>.

وينقل شاخنت حديثه الى مادة «زنى» ليردّد نفس الشبهة فيقول: «أمّا في القرآن فقد جاء النهي عن الزنا وان العفة من صفات المؤمنين، ويظهر أن ذلك كان

(١) راجع: المصدر ١: ٤٤٤ - ٤٤٥.

(٢) المصدر ١٧: ١٠٣.

(٣) المصدر ١٠: ٣٥٦.

(٤) المصدر ١٠: ٣٥٧.



تحت تأثير اليهودية أو النصرانية»<sup>(١)</sup>.

أما «هفنج Hellenizing» فيردّد نفس الشبهة في مادة «التجارة» فيقول: «لكن محمداً قد رفع في الوقت نفسه صوته محذراً من الشرور التي بدأت تفتن بالتجارة، فقال: إن التجارة ينبغي أن تكون على مقتضى الشرع والعدل. وقد جاء في سورة المطففين: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ \* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾. (انظر سورة الرحمن، الآيات ٧ الى ٩، ومن العهد المكّي الثالث سورة الانعام، الآية ١٥٢، سورة الاعراف الآية ٨٤). وقد تغيّرت نظرة النبي بعد ذلك تغيّراً معيناً يجب أن نردّه الى العهد المكّي، ولو انه ليس في القرآن شواهد على ذلك إلا في سور العهد المدني، إذ تحوّلت نظرتّه الى التجارة بفعل آراء الزهّاد من النصارى. وهو لم يحرمها، وإنما رأى فيها ما قد يعوق المؤمنين عن عبادة الله، ويصرفهم عن الصلاة، ويظهر هذا بأجلى بيان في وصف الأديار الذي ورد في سورة النور المدنية الآية ٣٧: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ...﴾، ومهما يكن من شيء فإنّ المحصل من هذه الآية أن النبي كان يدرك إدراكاً تاماً ما للتجارة من آثار سيئة في الحياة الدينية. وكان من نتيجة تسلسل هذه الافكار أن التجارة حرّمت في السور المدنية تحريماً باتناً إذا نوّدي للصلاة من يوم الجمعة. وشاهد ذلك سورة الجمعة، الآيات من ٩ الى ١١. ومن جهة أخرى أحلّ الرسول في أواخر العهد المدني البيع إبان الحج (سورة البقرة، آية ٣٩٧) (٢) (٣).

ويساهم «ه. ه. بروي H. H. Brau» أيضاً في ترديد هذه الشبهة فيقول

(١) المصدر: ١٠: ٤١١.

(٢) وقد ورد رقم الآية في دائرة المعارف الإسلامية خطأً، والصحيح ١٩٨.

(٣) المصدر ٤: ٥٨٢.



تحت مادة «أمية بن أبي الصلت»: «والآراء الدينية في كلام أمية مطابقة لما جاء في القرآن الى حد كبير. ويكاد الاتفاق يقع كلمة كلمة في كثير من الأقوال، ولهذا أتيرت بالطبع مسألة اعتماد أحد القولين على الآخر. فيذهب «هيووار» الى ان أشعار أمية بن أبي الصلت - التي تتضمن قصصاً من قصص التوراة مذكورة عند المقدسي في «كتاب البدء»، وهو الكتاب الذي نُسب خطأ إلى البلخي - هي من المصادر الصحيحة التي استمد منها القرآن رأساً»<sup>(١)</sup>. ويضيف أيضاً في نفس المادة: «... ويمكن أن نحلل مشابهة قصائد أمية لما جاء في القرآن بحقيقة لا تتحمل شكاً هي: أنه في أيام البعثة المحمدية، وقبلها بقليل من الزمان، انتشرت نزعات فكرية شبيهة بآراء الحنيفية، واستهوت الكثيرين من أهل الحضر، وخصوصاً في مكة والطائف، وكانت تغذيها وتنشطها تفاسير اليهود للتوراة، وأساطير المسيحيين، مما كان معروفاً ومتداولاً في تلك البقاع وجنوبي الجزيرة في جهات متفرقة منعزلة... ومحمد وأمية وغيرهما من الرجال المتدينين كزيد بن عمرو وورقة ومسلمة اقتبسوا جميعاً من مصادر واحدة، سواء أكانت مدونة كما يرى «Schulthess» أم مروية كما يذهب إليه «Nöldeke»<sup>(٢)</sup>».

هذه خلاصة لأهم موارد الدس والتشويه الاستشراقي، تستهدف تكوين الشبهة المدعاة بأن محمداً ﷺ تأثر واستقى من اليهودية والنصرانية أو الجاهلية في صياغة آيات قرآنه ومفردات وأحكام دينه الجديد، وهي في مجملها تحاول اختلاق وصياغة شبهة أساسية طالما بذلوا جهدهم لدعمها وتأكيداها، وهي أفكار الروحي الإلهي للنبي محمد ﷺ، وأن ما جاء به لا يعدو أن يكون تلفيقاً بين ما اقتبس من اليهود والنصارى، ومن مفردات ومؤثرات بيئته الجاهلية آنذاك.

(١) المصدر ٢: ٦٦٠-٦٦٢.

(٢) المصدر ٢: ٦٦١-٦٦٢.

ونكتفي في هذه الفقرة ببيان الرد والعلاج للمفردات التفصيلية لموارد الدس والتشويه هذه، محيلين أمر الرد على أصل شبهة إنكار الوحي الإلهي للنبي ﷺ إلى بحث مستقل سيأتي في فصل قادم إن شاء الله:

١- قول «كارادي فو» تحت مادة «جبريل»: فيه انسياق واضح مع إنكار الوحي الإلهي للرسول ﷺ، ويشهد لذلك أيضاً تعبيره عن الآية ١٩ من سورة مريم في آخر قوله المذكور أعلاه بأنها رأي النبي ﷺ وليس قول الله في قرآنه الكريم. وجوابه نحيله إلى محله، على أنه لم يأت لنا بدليل أو حتى شاهد أو قرينة على استظهاره أن النبي ﷺ عرف جبريل من خبر البشارة الوارد في الإنجيل، ولا على احتمال سماعه ذلك الخبر من أفواه بعض الفلاسفة أو الباحثين في الأديان، وغير ذلك من الاحتمالات، فأى قيمة لهذا الاستظهار وتلك الاحتمالات؟

٢- قول «هيك» تحت مادة «سحر»: وأمر هذين القولين كسابقهما، وهنا لم يسبق إلينا القائل دليلاً واحداً ولا شاهداً على مدّعا، إلا أنه لا يعدم وجود تقارب والتقاء في بعض المفاهيم والعقائد والأحكام الإسلامية مع الأديان السابقة كالسيحية واليهودية، لأن الاسلام لا ينكر تلك الأديان، ولا ينكر الرسل الذين أرسلهم الله سبحانه بها، ولا الكتب المنزلة من لدنه تعالى عليهم، كالتوراة والإنجيل، بل يصرح بأنه خاتم الأديان وأكملها، وأن القرآن المجيد خاتم الكتب والرسول الكريم ﷺ خاتم الأنبياء وأكملهم، إلا أنه يعتقد بأن يد التحريف قد طالت هذه الأديان والكتب، كما يعتقد أن النسخ حصل للعديد من الأحكام التشريعية<sup>(١)</sup> الواردة فيها، وما تبقى من الصحيح وغير المنسوخ منها يقارب

(١) لأن النسخ ينحصر أمره بالأحكام التشريعية دون العقائد والوقائع، إنما الذي يحصل في الأخيرين هو الإجمال أو التفصيل والبيان لمفرداتها بما يتناسب وتطور الإدراك والفكر البشري والعماسبات الموضوعية لها.

ويلتقي عادة مع ما جاء به الإسلام، لانه من سراج ومصدر واحد.

٣- قول «ر. ياربه» تحت مادة «أمة»، وقول «كارادي فو» تحت مادة «جهنم» وتحت مادة «دنيا»، وقول «جويل» تحت مادة «السكينة»: فيه أن طريقة الاستدلال على كون كلمة «أمة» وأمثالها من الكلمات المذكورة في أقوال الآخرين دخيلة ومأخوذة من العبرية مثلاً لمجرد وجود شبه لفظي في حرف أو حرفين بين الكلمة العربية وكلمة بمعناها في العبرية متكلفة لا تخلو من تمحل ومغالطة، إذ بهذه الطريقة سوف نهدم الكثير من صيغ الوضع اللفظي للغات، إلا إذا ساق المدعي دليلاً أو قرينة معتبرة على مدّعا.

ويمكن ردّ هذا الادّعاء أيضاً بقولنا: إن كلمة «أمة» لها معان متعددة في اللغة العربية، منها: الشرعة والدين، القرن من الناس، الرجل لا نظير له، الحين، وقد وردت هذه الكلمة في هذه المعاني في الشعر العربي الجاهلي، منه قول النابغة الذبياني:

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبَةً      وهل يَأْثُنُ ذو أمة وهو طائع

ويريد بها هنا أهل الدين والشرعة.

ومنها أيضاً قول الشاعر:

وهل يستوي ذو أمة وكفور

أي ذو دين وذو نحلة<sup>(١)</sup>.

كما أنه لو كانت هذه الكلمة دخيلة من العبرية لاستقلت بمعناها المدّعى في العبرية، وهو شعب أو جماعة، على أن هناك قولاً بأن اللغة العربية أسبق وجوداً في الجزيرة العربية من العبرية. ولو سلّمنا وصحّ هذا الادّعاء فلا يثبت منه قول

(١) راجع ترتيب كتاب العين للخليل، ومعه الدليل إلى المستعملات في اللغة العربية: أمم، ولسان العرب



«ياريه»: «فإن محمداً أخذ هذه الكلمة واستعملها، وصارت منذ ذلك الحين لفظاً إسلامياً أصيلاً» إذ إنها - حسب الدعوى - قد أصبحت جزءاً من اللغة العربية واستعملها في المراد المعنوي لها سواء في القرآن الكريم أو في السنة الشريفة استعمال مألوف وليس قائماً على قصد الاستقاء من العبرية، هذا مضافاً إلى أن القرآن الكريم كلام الله عز وجل وليس كلام الرسول ﷺ إلا إذا أنكر «ياريه» ذلك، فعندها يأتي كلامنا الآنف أن شاء الله في صدق الوحي الإلهي للرسول ﷺ.

٤ - قول «كاستر» تحت مادة «السامرة» عليه نفس ما أوردناه على قول «هيك» السالف تحت مادة «سحر»، ونضيف إليه رداً على قوله: «قال أبو الفتح...» أن اليهودي «كعب الأحبار» المشهور لم ير النبي ﷺ قط ولم يأت المدينة إلا بعد وفاته ﷺ، وأنه أسلم وقدم إلى المدينة في عهد أبي بكر أو عمر، كما هو ثابت في تاريخنا الإسلامي<sup>(١)</sup>. وأما النصراني الذي يسميه «آب سمليه» فلا نعرف من هو، ولم تذكر لنا كتب التاريخ شخصاً بهذا الاسم، على أن الثالث وهو السامري مُنكرٌ تماماً، إذ لم يذكر لنا اسمه ولا علامة عليه، رغم ادعائه أنه استطاع أن يؤثر في النبي أكثر من صاحبيه.

٥ - قول «ليني دلافيدا» تحت مادة «تميم الداري» فيه إضافة إلى ما سبق منا أن تميم الداري هذا لم ينقل لنا التاريخ أنه التقى برسول الله ﷺ قبل بعثته وبعدها حتى إسلامه، ولهذا تجد عبارة «ليني دلافيدا» جملة بأن تميم كان نصرانياً كغالب عرب الشام، ثم يفرع عليه إخباره للرسول ﷺ. ثم إنه كان قد أسلم في السنة التاسعة بعد الهجرة، أي بعد أن نزلت أغلب آيات القرآن الكريم، وعلم النبي ﷺ المسلمين أغلب أحكام الشريعة الإسلامية، سواء في العبادات أو المعاملات.

(١) راجع تاريخ الطبري ٦٧: ٥ والغدير للأميني ٨: ٣٦٥ ومعالم المدرستين للعسكري ٢: ٥١.



بحيث استوسقت معالم الدين وبيانت ملامحه التفصيلية، خصوصاً في الجانب العبادي منه الذي كان بيان رسول الله ﷺ لأغلب مفرداته أسبق من بيانه لمفردات جانب المعاملات، فما الذي بقي منها ليقوم تميم الداري بإخبار النبي ﷺ به لتتم الاستعارة المدعاة لتفاصيل العبادات من النصارى؟ على أننا قلنا سلفاً لا يعدم وجود نوع من التشابه في بعضها من التي لم تُحرّف من الديانات السماوية السالفة، ولم يطلها النسخ الذي سبق منا بيان مختصر عن حقيقته.

٦ - قول «هورفقر» تحت مادة «التوراة» وقول «كارادي فو» تحت مادة «داود» وتحت مادة «الجنة» فيه نفس ما أوردناه على قول «هيك» السالف تحت مادة «سحر» فراجع، مضافاً إلى أن عبارتهما تشيران إلى أن الأصل - في عقيدتهما - هو ما ورد في التوراة، وهو الصحيح الذي لا تحريف فيه، وأن محمداً ﷺ هو الذي حرّف بعضه ليلائم أغراضه الخاصة، ويقصد من ذلك أن القرآن من صنع محمد ﷺ وأنه حرّف ما في التوراة ليميز دعوته ويظهرها شوب جديد.

والكلام نفسه يرد على قوله تحت مادة «الجنة»: «ولا بد من أن يكون محمد ومعلموه المجهولون...» على أنه لم يسبق أدنى دليل أو قرينة على أن النبي ﷺ كان قد رأى كنائس ليشاهد فيها مثل هذه الصور، أو أن له معلمين مجهولين، إذ ليس في مثل هذه الأقوال إلا التمحل والتعبير عن الخلفية المتعصبة بهذه الافتراءات.

وهكذا يرد على قول «كاستر» تحت مادة «الأدب السامري»: «التشابه بين أصل الحديث وبين السنة السامرية الشفوية...» إلى آخره، فكلها دعاوى جزافية لا وزن لها في معايير البحث العلمي.

٧ - قول «جوينبل» تحت مادة «إقامة»: «إن المسلمين استعاروا عبارات الإقامة من البركات التي تنلى في صلاة اليهود» وكذلك وجه الشبهة بين الأذان

والقدّاس عند النصارى لتترتب عليها دعوى الاستعارة والنسج الواحد، فيه أن الثابت فيما ورد عن أهل البيت عليهم السلام أن الإقامة والأذان وحْي إلهي لرسوله الكريم ﷺ.

فقد روى محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عمر بن أذينة عن زرارة أو الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لما أُسري برسول الله ﷺ إلى السماء فبلغ البيت المعمور، وحضرت الصلاة فأذن جبرئيل وأقام، فتقدّم رسول الله ﷺ وصَفَ الملائكة والنبّيون خلف محمد ﷺ» (١).

وعنه عن أبيه عن ابن أبي عمير عن حمّاد عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما هبط جبرئيل عليه السلام بالأذان على رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر علي عليه السلام فأذن جبرئيل وأقام، فلما انتبه رسول الله ﷺ قال: يا علي سمعت؟ قال: نعم، قال: حفظت؟ قال: نعم، قال: ادع لي بلالاً فعلمه، فدعا علي عليه السلام بلالاً فعلمه». ورواه الصدوق بإسناده عن منصور بن حازم، ورواه الشيخ بإسناده عن علي بن إبراهيم مثله (٢).

وفي معرض استنكار الامام الصادق عليه السلام ولعنه لمن يدّعي أنه أخذ الأذان عن غير طريق الوحي الإلهي نقل محمد بن مكّي الشهيد في «الذكرى» عن ابن أبي عقيل عن الصادق عليه السلام: أنه لعن قوماً زعموا أن النبي ﷺ أخذ الأذان من عبد الله بن زيد، فقال: «ينزل الوحي على نبيكم فتزعمون أنه أخذ الأذان من عبد الله بن زيد؟!» (٣). على أن لازم كلامهما السالف هو إنكار الوحي الإلهي لرسول الله ﷺ وردنا عليه في محله إن شاء الله.

(١) وسائل الشيعة ٤: «أبواب الأذان والإقامة» ح ٦٨١٤.

(٢) وسائل الشيعة ٤: «أبواب الأذان والإقامة» ح ٦٨١٥.

(٣) وسائل الشيعة ٤: «أبواب الأذان والإقامة» ح ٦٨١٦.

أما قوله تحت مادة «الجمعة»: «ويصح أن نذهب إلى أن النبي نفسه جرى على إقامة صلاة عامة وإلقاء خطبة على طريقة اليهود...» إلى آخره، فإضافته إلى ما فيه من إحياء بإنكار الوحي لرسول الله ﷺ، فيه أيضاً أن افتراض وجود تشابه ما في كليات عبادة معينة في مفرداتها الكثير من الاختلافات التفصيلية شكلاً ومضموناً لا تنهض دليلاً، بل ولا حتى قرينة على وحدة الطريقة في تلك العبادة، فكيف يفرع عليها تبعية أحدهما للآخرى؟

ثم إن رسول الله ﷺ كان يقيم صلاة الجمعة في المسجد لا في فناء داره، لعدم وجود مثل هذا الفناء أساساً، كما هو ثابت تاريخياً، ولعل «جوينيل» هذا توهم أن المسجد هو فناء دار رسول الله ﷺ لأن بيوت الرسول ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ كانت متصلة وملحقة بالمسجد، ولها أبواب خاصة توصلها به.

أما قوله: «... ولعله [الرسول] قد جرى على إقامة الصلاة تتبعها الخطبة...» إلى آخره، فهو قول لا صحة له، لأن الروايات بلغت شهرة عظيمة عن الرسول ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ، وما عليه سيرة المتشريعة من عهد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا في أن صلاة الجمعة تبدأ بخطبتين يجلس بينهما الخطيب جلسة خفيفة ثم يصلي ركعتي صلاة الجمعة، ولم يرو قط أن النبي ﷺ بدأ بصلاة الجمعة قبل الخطبة، وعلى هذا انعقد إجماع فقهاء المسلمين على اختلاف مذاهبهم. ومما روي في ذلك ما عن محمد بن الحسين بإسناده عن علي بن مهزيار عن عثمان بن عيسى عن أبي مریم عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن خطبة رسول الله ﷺ أقبل الصلاة أو بعدها؟ قال: «قبل الصلاة ثم يصلي». وروى الكليني عن الحسين بن محمد عن عبد الله بن عامر عن علي بن مهزيار مثله، إلا أنه قال: «يخطب ثم



يُصَلِّي»<sup>(١)</sup>. وقال صاحب جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام في وقت الخطبة من صلاة الجمعة ما نصّه: والمشهور نقلاً وتحصيلاً أنه يجب أن تكون الخطبة مقدمة على الصلاة شهرة عظيمة لا بأس بدعوى الإجماع معها، بل في كشف اللثام استظهار دعواه، كما في المحكي عن المنتهى نفي العلم بالمخالف فيه، بل عن مجرى البرهان نفي الخلاف للسيرة القطعية والتأني بفعل الرسول ﷺ المعلوم بالنصوص والسيرة القطعية على وجه يقتضي الوجوب... إلى آخر قوله<sup>(٢)</sup>.

أما قول «فنسك» تحت مادة «خطبة»: «إن النظام المحدد للصلاة يوم الجمعة والعيدين إنما نشأ بعد وفاة النبي»، «وهذا النظام يعتمد على ثلاثة عناصر: الخطبة الجاهلية، والسنة، والمثل المستقاة من اليهود والنصارى»، وما نقله عن «بيكر» و«متفوخ» تحت نفس المادة يرد عليه ما أوردناه أعلاه على قول «جوينيل» تحت مادتي «إقامة» و«الجمعة»، ويضاف إليه أن ادعاء «فنسك» الصلة الوثيقة بين صلاة الجمعة والعيدين من ناحية والقدّاس من ناحية أخرى غريب، إذ لا وجه للتشابه بينهما لا شكلاً ولا مضموناً، فكيف تدعى الصلة الوثيقة؟ فالقدّاس عند النصارى هو ذبيحة جسد ودم السيّد المسيح يقدمان على الهيكل تحت شكل الخبز والخمر للمصلّين بواسطة القسيس، ويعاونه الشماس ضمن طقوس وتلاوات تدور بين القسيس والشماس من الكتاب المقدّس<sup>(٣)</sup> فأين هذا من خطبتي صلاة الجمعة والعيدين اللتين يجلس بينهما الخطيب جلسة خفيفة، ثم يصلي ركعتي صلاة الجمعة أو العيدين بالمؤمنين؟

٨ - قول «بيرك» تحت مادة «صوم»: «أما الصوم، بمعنى الامساك عن

(١) وسائل الشيعة ٥: باب وجوب تقديم الخطبتين على صلاة الجمعة، ح ٩٥١٠.

(٢) جواهر الكلام ١١: كتاب الصلاة، ٢٢٨.

(٣) المنجد في اللغة، مادة «قدس».



الطعام والشراب، فيجوز أن يكون مأخوذاً عن الاستعمال اللغوي اليهودي...» إلى آخره، يرد عليه ما أوردناه على قول «ر. ياريه» تحت مادة «أمة». وما أوردناه على قول «هيك» تحت مادة «سحر».

أما قوله تحت نفس المادة: «... لكن محمداً ﷺ لم يكن على كل حال عارفاً بالتفصيلات لأنه لم يأمر بصوم يوم عاشوراء إلا بعد الهجرة لما رأى اليهود يصومونه» ففقيه:

أ - أن عاشوراء على وزن فاعولاء، مختومة بالآلف المدودة، وتصح بالآلف المقصورة بلا همزة: عاشوري<sup>(١)</sup>، فهي صفة مؤنثة لليلة العاشر من الشهر القمري العربي، وغلب إطلاقها على الليلة العاشرة من أول تلك الشهور وهو محرم الحرام، ولا يوصف بها اليوم، فلا يقال: اليوم العاشوراء. وقد اشتهر استعمال هذه الكلمة في ليلة العاشر من محرم الحرام، ذكرى شهادة الامام الثالث من أئمة أهل بيت النبوة الطاهرة ﷺ الحسين بن علي عليه السلام. مع العلم أن اللغويين قد نصّوا على أن هذه الكلمة «اسم إسلامي»<sup>(٢)</sup> «لم يعرف في الجاهلية»<sup>(٣)</sup>. وعلى هذا فنّين جاءت دعوى وجود يوم باسم يوم عاشوراء لدى اليهود وأنهم كانوا يصومونه؟

ب - لعل دعوى «بيرك» بوجود مثل هذا اليوم لدى اليهود وأنهم كانوا يصومونه، قد استندت على بعض الروايات الضعيفة سنداً، والمتناقضة دلالة والتي وردت في بعض كتب الحديث، وأدناه نستعرض مجموعتين منها مع الإشارة الكلية إلى ظروف وملابسات اختلاف هذه الأحاديث ونسبتها كذباً إلى رسول الله ﷺ:

(١) مجمع البحرين، مادة «عشر».

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣: ٣٤٠.

(٣) الجمهرة في لغة العرب ٤: ٢١٢.

## المجموعة الأولى:

١ - عن عائشة قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه في الجاهلية، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه<sup>(١)</sup>.

٢ - عنها قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان النبي ﷺ يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما نزل رمضان، كان رمضان الفريضة، وترك عاشوراء، فكان من شاء صامه ومن شاء لم يصمه<sup>(٢)</sup>.

٣ - عنها قالت: كانوا يصومون عاشوراء قبل ان يفرض رمضان، وكان يوماً تستر فيه الكعبة، فلما فرض الله رمضان قال رسول الله ﷺ: من شاء أن يصومه فليصمه، ومن شاء أن يتركه فليتركه<sup>(٣)</sup>.

فكيف التوفيق بين هذا وبين ما مرّ من نصوص اللغويين على أن اسم عاشوراء اسم اسلامي لم يُعرف في الجاهلية؟ وإذا كانوا يصومونه لأنه كان يوماً تُستر فيه الكعبة، فلماذا أضيف الى وصف الليلة «عاشوراء» كما مرّ؟ ولم تكن الكعبة تُستر في الليل طبعاً قطعاً. وهل وصفوا اليوم المذكور بصفة التأنيث؟ فالعجب من العرب كيف غاب عنهم هذا؟!

وهنا نتساءل:

بما أن الجاهلية هي عهد ما قبل الاسلام، فإذا كان النبي يصوم يوم عاشوراء في الجاهلية فلماذا تركه بعد الاسلام؟ فلو كان تركه لمخالفة المشركين

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم.

(٢) صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحج، الباب ٤٧.

فلماذا رجع إليه بعد الهجرة؟

### المجموعة الثانية:

١ - عن ابن عباس قال: قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى. قال: أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه<sup>(١)</sup>.

٢ - عنه قال: إن النبي لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوماً (يعني يوم عاشوراء) فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجى الله فيه موسى وأغرق آل فرعون، فصام موسى شاكراً لله. فقال: أنا أولى بموسى منهم فصامه وأمر بصيامه<sup>(٢)</sup>.

٣ - عنه قال: لما قدم النبي المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء فسئلوا عن ذلك فقالوا: هذا هو اليوم الذي أظهر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون، ونحن نصومه تعظيماً له. فقال رسول الله: ونحن أولى بموسى منكم. فأمر بصومه<sup>(٣)</sup>.

٤ - عنه قال: قدم النبي المدينة واليهود تصوم عاشوراء، فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون. فقال النبي لأصحابه: أنتم أحق بموسى منهم، فصوموا<sup>(٤)</sup>.

٥ - عنه قال: لما قدم رسول الله المدينة واليهود تصوم عاشوراء، فسألهم، فقالوا: هذا اليوم الذي ظهر فيه موسى على فرعون. فقال النبي: نحن أولى بموسى

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، ٢٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحاديث الأنبياء، ٦٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، الباب ٥٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة يونس.

منهم (١).

٦ - عن أبي موسى الأشعري قال: دخل النبي المدينة وإذا أناس من اليهود يعظمون عاشوراء ويصومونه، فقال النبي: نحن أحق بصومه، فأمر بصومه (٢).

٧ - عنه قال: كان يوم عاشوراء تعدّه اليهود عيداً، فقال النبي: فصوموه أنتم (٣).

وهذه المرويات عن ابن عباس وأبي موسى الأشعري لا نجد فيها أن اليهود كانوا يسمونه عاشوراء، أمّا ما هي حقيقته عند اليهود؟ فهذا ما تبينه لنا دائرة المعارف البريطانية بالانجليزية والفرنسية والألمانية حيث جاء فيها: إن احتفال اليهود بنجاة موسى وبني إسرائيل منذ سبعة أيام لا يوماً واحداً فقط.

أمّا صوم اليهود فهو في اليوم العاشر، ولكنه ليس العاشر من المحرم، بل من شهرهم الأول: تشرّي، ويسمّونه يوم «كيپور»، أي يوم «الكفّارة» وهو اليوم الذي تلقّى فيه الاسرائيليون اللوح الثاني من ألواح الشريعة العشرة، ولم يكن ذلك يوم نجاتهم من فرعون، بل بعد نجاتهم من فرعون، وميقات موسى عليه السلام وابتلائهم بعبادة العجل إلهاً لهم، ورجوع موسى من الميقات إليهم، وإعلان اشتراط قبول توبتهم بقتل بعضهم لبعض، وبحصولهم على العفو من رفقاءهم، ولذلك فقد خُصّص اليوم قبل «كيپور» بتبادل العفو فيما بينهم، وخُصّص يوم «كيپور» للصيام والصلاة والتأمل كأقدس أيام اليهود.

والتقويم اليهودي المستعمل اليوم عندهم شهوره قريّة، ولذلك فعدد أيام

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة يونس.

(٢) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، الباب ٥٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصوم: ٣٠.



السنة في السنوات العادية ٣٥٥ أو ٣٥٤ أو ٣٥٣، ولكنهم جعلوا سنواتهم شمسية بشهور قمرية، ولذلك فلهم سنوات كبيسة، ففي كل سنة كبيسة يضاف شهر بعد آذار الشهر السادس باسم آذار الثاني فيكون الشهر السابع، ويكون نيسان الشهر الثامن، وعليه تكون أيام السنة الكبيسة ٣٨٥ أو ٣٨٤ أو ٣٨٣.

### مناقشة ما ورد في روايات المجموعتين:

أ - يلاحظ بخصوص خبري أبي موسى الأشعري:

أنه في الأول يقول: «وإذا أناس من اليهود يعظمون عاشوراء ويصومونه، فقال النبي: نحن أحق بصومه، فأمر بصومه» بلا ذكر لوجه تعظيمهم ليوم عاشوراء وصومه، ولا ذكر لوجه أحقية المسلمين بصومه.

وفي الثاني يقول: «كان يوم عاشوراء تعدّه اليهود عيداً. قال النبي: فصوموه أنتم» بلا ذكر لوجه كون يوم عاشوراء عيداً عندهم، ولا ذكر لوجه أمره ﷺ بصومه، وكأنه يقابل بين الأمرين: بين صوم المسلمين فيه وعدّه اليهود عيداً، دون الأولوية.

ب - يلاحظ في الخبرين أيضاً:

أنه قال في الأول: «وإذا أناس من اليهود يعظمون عاشوراء» وقال في الثاني: «كان يوم عاشوراء تعدّه اليهود عيداً» فعلق وصف العيد وتعظيم اليهود على يوم عاشوراء، ولا وجه لذلك. وقد مرّ نص اللغويين على أنه اسم إسلامي لم يُعرف في الجاهلية أي قبل الإسلام، وعليه فكيف عرف اليهود عاشوراء قبل الإسلام؟!

وقال في الثاني: «قال النبي: فصوموه أنتم» وقال في الأول: «فقال النبي: نحن أحق بصومه. فأمر بصومه» وجوباً أم استحباباً؟ وظاهر الأمر الوجوب كما

قالوا، وعليه فيخلو الخبر عن ذكر مدى هذا الأمر الى متى كان أو يكون؟ وكذلك تخلو منه أخبار ابن عباس.

ج - وذكرت المدى أخبار عائشة: «فلما فرض الله رمضان قال رسول الله: من شاء أن يصومه فليصمه، ومن شاء أن يتركه فليتركه».

وقد ذكروا بلا خلاف أن فرض الله صيام شهر رمضان كان بنزول القرآن به لمنتصف السنة الثانية للهجرة، أي أنه لم يكن بين هجرته وبين نزول القرآن بفرض رمضان غير عاشوراء واحد، وإذا كان قد أمر بصيامه مواساة لموسى عليه السلام شكراً لنجاته على قول يهود المدينة له بعد هجرته جواباً عن سؤاله عن صومهم يوم عاشوراء، إذن فعاشوراء الأولى قد مضت ولم تأت الثانية ليصوموا يومها حتى نزل القرآن بفرض رمضان فما معنى «كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يفرض رمضان»؟ وكذلك ما عن عائشة أيضاً قالت: كان عاشوراء يُصام قبل رمضان، فلما نزل رمضان من شاء صام ومن شاء أفطر<sup>(١)</sup>.

وعنها قالت: كان رسول الله أمر بصيام عاشوراء، فلما فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر<sup>(٢)</sup>. وكأنه أمر بالصيام فقط ولم يصومه.

د - وهناك خبر آخر عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان على منبر يوم عاشوراء عام حج يقول: يا أهل المدينة، أين علماءكم؟ سمعت رسول الله يقول: هذا يوم عاشوراء، ولم يكتب الله عليكم صيامه، وأنا صائم، فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر<sup>(٣)</sup>.

فهذا يتضمن تنكراً لصيام قريش في الجاهلية، ولصيام اليهود كذلك،

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم، ٣٠.

(٣) المصدر السابق.

وينص من أول يوم على الندب والاستحباب دون الوجوب. ولكن يلاحظ عليه أمران:

الأول: أنه يتضمن اعترافاً بعدم علم علماء أهل المدينة بالحديث عن رسول الله.

الثاني: أفكان هذا قبل الهجرة؟ أم بعدها؟ أم بعد فتح مكة؟ فتنى سمعه معاوية؟ وإذا كان لليهود تقويم عبري يخصهم يختلف تمام الاختلاف عن التاريخ العربي القمري، وإذا لم يكن يوم عاشوراء يوم نجاة موسى عليه السلام وبني إسرائيل من فرعون، فلا يصح ما جاء في بعض كتب الحديث مما نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من أخبار في عاشوراء تتضمن أنه يوم نجاة موسى وبني إسرائيل من الفراعنة فهو يوم عيد الخلاص. وإلى جانبه ذكريات أخرى منها: أنه يوم خلق الأرض والجنة وآدم عليه السلام فهو عيد الخلق، وهو يوم نجاة نوح من الغرق، ونجاة إبراهيم من الحرق<sup>(١)</sup>.

أما علّة وضع هذه الأحاديث فقد روى الشيخ الفقيه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، مسنداً عن جبلة المكية قالت: سمعت ميثم التمار يقول: «والله لتقتلن هذه الامة ابن نبيها في المحرم لعشر مضين منه، ولتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة، وإن ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم بذلك بعهد عهده إلى مولاي أمير المؤمنين عليه السلام».

قالت جبلة: فقلت: يا ميثم، وكيف يتخذ الناس ذلك اليوم الذي يقتل فيه الحسين بن علي عليه السلام يوم بركة؟!

فبكى ميثم، ثم قال: سيزعمون - بحديث يضعونه - أنه اليوم الذي تاب الله

(١) تفصيل الرد تجده في مجلة رسالة الثقلين العدد الثاني - يوم عاشوراء في اللغة والتاريخ والحديث.



فيه على آدم عليه السلام وإنما تاب الله على آدم في ذي الحجة. ويزعمون أنه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح على الجودي، وإنما استوت على الجودي يوم الثامن عشر من ذي الحجة.

ويزعمون أنه اليوم الذي فلق الله فيه البحر لبني إسرائيل. وإنما كان ذلك في شهر ربيع الأول<sup>(١)</sup>.

ويزعمون أنه اليوم الذي قبل الله فيه توبة داود، وإنما قبل الله توبته في ذي الحجة. ويزعمون أنه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس من بطن الحوت، وإنما أخرجه الله من بطن الحوت في ذي القعدة.

ثم قال ميثم: يا جيلة إذا نظرت إلى الشمس حمراء كأنها دم عييط فاعلمي أن سيدك الحسين عليه السلام قد قتل<sup>(٢)</sup>.

أما قول «بيرك» تحت نفس المادة وكذلك قول «سبرنجر» وقول «نولدكه وشفالي» فهي مجرد فرضيات وادعاءات احتمالية لم يسوقوا أي دليل أو قرينة عليها، ويرد عليها ما أوردناه على قول «هيك» تحت مادة «سحر» فراجع. على أن قول «بيرك»: «وفيما يتعلق بمسألة السبب الذي من أجله اختار محمد عليه السلام شهر رمضان بالذات... قيلت آراء عديدة» لا مورد له، لأن الله سبحانه قد أظهر سرّ عظمة هذا الشهر في قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾<sup>(٣)</sup> فجعل أداء هذه الفريضة العظيمة في

(١) وهذا يتفق مع ظاهر الخبر ابن عباس وأبي موسى الأشعري في أنه عليه السلام لما قدم المدينة - وقد معها في ربيع الأول بلا خلاف - رأى اليهود يصومون اليوم ويقولون أنه يوم نجات موسى وبني إسرائيل من فرعون والغرق. لا يوم عاشوراء.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ١١٠ ط. بيروت.

(٣) البقرة: ١٨٥.



الشهر العظيم فقال سبحانه: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ (١).

٩ - قول «فير» تحت مادة «الجاهلية» وقول «ففسنك» تحت مادة «أصل الحج في الإسلام»، وقوله أيضاً تحت مادة «إحرام» وما نقله عن «سنوك هجروينيه» تحت نفس المادة، وقول «بول» تحت مادة «الجمرة» وقول «شاخت» تحت مادة «زكاة» وقوله أيضاً تحت مادة «زنى» وقول «هفتنج» تحت مادة «التجارة»، يرد عليها جميعاً ما أوردناه سابقاً على قول «هيك» تحت مادة «سحر». يضاف الى ذلك ان هذه الأقوال فيها روح الإنكار للوحي الإلهي للرسول محمد ﷺ وخصوصاً ما هو تحت مادة «الجاهلية» ومادة «أصل الحج في الإسلام» ومادة «إحرام»، إذ يكفيها جواباً أن القرآن الكريم يصرّح في أكثر من آية كريمة أن بيت الله الحرام هو واحد، وقد أقام قواعده نبي الله إبراهيم عليه السلام وولده نبي الله إسماعيل عليه السلام وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٢)، ثم أمر الله سبحانه نبيه إبراهيم عليه السلام أن يظهر هذا البيت لأداء عبادة الحج الإلهي، حيث جاء في القرآن الكريم عن ذلك: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ \* وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (٣)، وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٤). واستمر الحال زمناً طويلاً

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) البقرة: ١٢٧.

(٣) الحج: ٢٧، ٢٦.

(٤) البقرة: ١٢٥.

حتى أفسد أهل الجاهلية هذا الحج الإبراهيمي، وحرّفوه عن شرعته الإلهية باتخاذهم الأصنام في بيت الله وشعائر الحج الأخرى شركاء لله سبحانه يتقربون إليها دونة تعالى، ومحققوا صورته الأولى التي شرّعها الله لنبيه إبراهيم عليه السلام، واستبدلوها بالدجل والهراء، حتى وصفهم القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاءٌ وَتَصْدِيَةٌ﴾<sup>(١)</sup>، فأمر الله تعالى نبيه الكريم محمداً صلى الله عليه وآله بإعادة عبادة الحج الإلهي إلى صورته الأولى إمضاءً لشريعة إبراهيم عليه السلام فيها، حيث قال في قرآنه المجيد: ﴿إِنْ أُولَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين<sup>(٢)</sup>.

كما أن قول «بول» تحت مادة «الجمرة»: جهل منه أو تجاهل، فإن كثيراً من مفردات الشريعة الإسلامية جاءت كليات في القرآن الكريم ثم فصلها الرسول ﷺ في حديثه وسيرته الشريفة بوحي وإلهام من الله سبحانه وتعالى.

١٠ - قول «ه. ه. بروي» تحت مادة «أمية بن أبي الصلت» صارخ في إنكار الوحي الإلهي للرسول محمد ﷺ، وهو يردد بذلك دعوى أسلافه من اليهود والنصارى من الذين ابتدعوا هذه الاشعار، ونسبوها إلى أمية كيداً للإسلام ونبيه الكريم ﷺ.

وقد ذكرت لنا كتب التاريخ أن أمية بن الصلت هذا كان من أعدى أعداء الإسلام ونبيه الكريم ﷺ من ذلك ما جاء في تاريخ الادب العربي في ترجمة أمية بن الصلت ما نصه: «كان أمية تاجراً من أهل الطائف ينتقل بتجارته بين الشام واليمن. ومال أمية من أول أمره إلى التحنف، هجر عبادة الاوثان وترك شرب

(١) الانفال: ٣٥.

(٢) آل عمران: ٩٦ - ٩٧.

الخمر واعتقد بوجود الله من غير أن يكون له فروض معينة في العبادة. وكاد أُمية أن يسلم لما جاء الاسلام، ولكن موقف قومه ثقيف من الاسلام أملى عليه العداء للرسول وللمسلمين، فكان مُحَرَّض على قتال الرسول. ولما انتصر المسلمون على مشركي مكة في غزوة بدر، في رمضان من سنة ٢ للهجرة، رثى أُمية الذين قُتلوا من المشركين في تلك الغزوة... ضاع القسم الأوفر من شعر أُمية، ولم يثبت له على القطع سوى قصيدته في رثاء قتلى بدر من المشركين. وكان أُمية يحكي في شعره قصص الانبياء على ما جاء في التوراة ويذكر الله والمحشر ويأتي بالالفاظ والتعابير على غير مألوف العرب، ولذلك كان اللغويون لا يحتجون بشعره. وشعره كثير التكلف ضعيف البناء قليل الرونق قلق الالفاظ. أما أغراضه في شعره الباقي بين أيدينا - صحيحاً ومنحولاً - فهي المدح والهجاء والرثاء وشيء من الحكمة وكثير من الزهد والتزهيد ومن الكلام في الله والآخرة<sup>(١)</sup>. ومن ذلك نستنتج ما يلي:

١ - انه كان عدواً للاسلام ولرسوله ﷺ حتى نُقل انه: «لما ظهر النبي ﷺ قيل له: هذا الذي كنت تستريب وتقول فيه. فحسده عدو الله وقال: إنما كنت أرجو أن أكونه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَاثُلْ عَلَيْهِم نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا﴾ [الاعراف: ١٧٥]. وكان يحرض قريشاً بعد وقعة بدر»<sup>(٢)</sup>، وهذه قرينة على وجود تنافر بينه وبين رسول الله ﷺ مما يبعد مقولة وجود صلة واستقاء منه خصوصاً بعد البعثة النبوية.

٢ - انه كان يحكي في شعره بعض ما جاء في التوراة من قصص الانبياء

(١) تاريخ الادب العربي للدكتور عمر فروخ ١: ٢١٦-٢١٧.

(٢) كتاب الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل أيبك الصفدي ٩: ٣٩٥-٣٩٦، والاعناني لأبي السرح الاصفهاني ٤: ١٢٧.



وذكر الله والحشر ويأتي بالالفاظ والتعابير على غير مألوف العرب. وعليه فلو أراد الرسول ان يستقي هذه الامور لاستقاها من التوراة مباشرة دون الحاجة الى اشعار أمية خصوصاً وان شعراء متكلف ضعيف البناء قليل الرونق قلق الالفاظ لا يؤدي الى المراد بالدقة المطلوبة، ويؤيد ذلك ما ذكره المؤرخون بقولهم: «ولذلك كان اللغويون لا يحتاجون بشعره».

٣- ان البيان والبلاغة الاعجازية لآيات القرآن الكريم تأتي وتنشأ ودعوى الأخذ من اشعار أمية المتكلفة الضعيفة القليلة الرونق.

وقد أشار القرآن الى هذه الافتراءات وما فيها من مفارقات صارخة، وأفحمهم بالبرهان الساطع الذي يشبث به - بما لا يقبل الشك والترديد - البون المطلق بين ما يدعى مصدراً لضعفه وهبوط بيانه، وبين البيان الإعجازي للقرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾<sup>(١)</sup>، ثم أشار الى حقيقة أخرى تدفع هذه الدعوى أيضاً إذ قال: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وبذلك أثبت أن المشركين آنذاك لا يعلمون مما جاء في القرآن شيئاً ولو كانت اشعار أمية مطابقة أو مشابهة لما ورد في القرآن الكريم إذن لكانت خير دليل عندهم على دحض نبوة محمد ﷺ وإنكار الوحي والتنزيل الإلهي له ﷺ.

ونضيف الى ذلك ردنا السابق على قول «هيك» تحت مادة «سحر» في اننا لا نعدم وجود مشتركات وتشابه بين بعض المفردات في الاسلام والقرآن الكريم ومفردات في اليهودية والنصرانية وكتابيهما التوراة والانجيل في الموارد التي لم



يطلبها التحريف خصوصاً في كليات الاعتقادات وقصص الانبياء لعدم شمول النسخ لها كما ذكرنا سابقاً، فراجع.

## شعائر الاسلام وليدة ابداعات وتأثيرات متنوعة

وفيها يحاول بعض كتاب هذه الدائرة اختلاق ودعم شبهة أن شعائر الاسلام جاءت من خلال ابداعات خاصة أو تأثيرات متنوعة: «كالصحية، المجاهلية، اليهودية، النصرانية، الفارسية، و...».

ومن نماذج الدس والتشويه في صيغة هذه الشبهة ما جاء تحت مادة «أذان» التي يقول فيها «جوينبل Th. Juynboll»: «وتقول الرواية الاسلامية ان النبي تشاور مع أصحابه بعد دخوله المدينة مباشرة في العام الأول أو الثاني للهجرة في خير الطرق لتنبيه المؤمنين إلى وقت الصلاة، فاقترح بعضهم أن يوقدوا لذلك ناراً أو ينفخوا في بوق أو يدقوا ناقوساً (مثل قطعة طويلة من الخشب تضرب بقطعة أخرى وكان يستعمله المسيحيون في الشرق لتنبيه إلى الصلاة) ولكن واحداً من المسلمين هو عبدالله بن زيد أخبر أنه رأى في المنام رجلاً يدعو المسلمين إلى الصلاة من سقف المسجد، وامتدح عمر هذه الطريقة في الدعوة إلى الصلاة. ولما اتفق رأي الجماعة على هذا الأذان أمر النبي باتباعه، ومن ذلك الوقت أخذ بلال ينادي المؤمنين إلى الصلاة بهذا الأذان الذي يستعمله العالم الإسلامي إلى وقتنا هذا»<sup>(١)</sup>.

وتحت باب «بلال» يقول «Fr. Buhl»: «وأدخل النبي الأذان بعد أن أبدى

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١: ٥٦٠.

شيئاً من التردد (انظر مادة أذان) وجعل بلالاً مؤذناً له»<sup>(١)</sup>.

ويسف «كاستر M. Gaster» أكثر فيقول عن «القبلة» تحت باب «السامرة»: «وقد ورد في الإنصرة أيضاً كلمة القبلة، أي التوجه في الصلاة إلى الجبل المقدس. والحق في ان الاتجاه إلى المعبد معروف أيضاً عند اليهود... ويجوز أن محمداً أخذ هذه الشعيرة من السامرة. وقد صبغها مثلهم بصبغة دينية خاصة أقوى وأشد مما يفعل اليهود، وكذلك غير محمد وجهة الصلاة عندما اختلف مع اليهود، وبذلك أفصح عن الأهمية التي كان ينسبها إلى القبلة»<sup>(٢)</sup>.

أمّا «فنسك A. J. Wensink» فينقل هذه الشبهة إلى أهم شعائر الاسلام على الإطلاق وهي الصلاة فيقول تحت مادتها: «ويبدو أن كلمة صلاة لم تظهر في الآثار الأدبية السابقة على القرآن، وقد اتخذها محمد ﷺ كما اتخذ الشعيرة من اليهود والمسيحيين في بلاد العرب»<sup>(٣)</sup>.

ويستمر «فنسك» في ابرام شبهته هذه فيقول تحت المادة نفسها: «واشتقاق كلمة (صلوطة) الآرامية واضح كل الوضوح، فالأصل «صلاً» في الآرامية يعني الانحناء والانشاء والقيام... وتستعمل في كثير من اللهجات الآرامية للدلالة على الصلاة الشرعية... وقد نقل محمد كلمة الصلاة بهذا المعنى من جيرانه.

ويكشف نظام الصلاة عند المسلمين عن تشابه كبير بصلاة اليهود والمسيحيين... ومن البين أن محمداً لم تكن بين يديه أول الأمر المادة الوافية لهذه الشعيرة؛ ولقد كانت تعوزه النصوص التي يتلوها ويرتلها اليهود والمسيحيون في

(١) المصدر السابق ٤: ٧٣.

(٢) المصدر السابق ١١: ٩٢.

(٣) المصدر السابق ١٤: ٢٧٧.

صلاتهم»<sup>(١)</sup>.

ويستمر «فنسك» تحت المادة نفسها قائلاً: «ومن ثم فنحن نجد فجأة الصلاة الوسطى تظهر في السورة المدنية وهي البقرة، الآية ٢٣٧. ولا بد إذن أن تكون هذه الصلاة قد أُضيفت في المدينة إلى الصلاتين المعتادتين، ويرجح أن يكون ذلك قد تمّ محاكاة لليهود الذين كانوا يقيمون أيضاً صلاتهم (ثلاث مرات كل يوم)»<sup>(٢)</sup>.

ويقول أيضاً: إن «جولد صيهر» Gold Ziher «وفي معرض ردّه على «هوتسما» في كيفية تقرير الصلوات الخمس يرى عكس ما يراه الأخير ويذهب إلى القول بوجود أثر فارسي في تقرير الصلوات الخمس»<sup>(٣)</sup>.

وعن عدد الركعات في الصلوات الخمس يقول «فنسك» تحت مادة «الصلاة»: «... أن الحديث [النبي] يقول أيضاً إن الصلاة كانت في الأصل من ركعتين وإن هذا العدد نفسه عمل به في صلاة السفر... ويفترض «متفوخ» وجود التأثير اليهودي في الاختيار الأصلي للركعتين»<sup>(٤)</sup>.

وردّنا على مفردات هذه الصياغة من الدس والتشويه واختلاف الشبهات كالآتي:

أ- قول «جوينبل» تحت مادة «أذان» وقول «بول» تحت مادة «بلال» يرد عليه: أن مثل هذه الرواية التي ادّعاها «جوينبل» ولم يذكر لنا مصدرها لا شك أنها من المختلقات الإسرائيلية التي اشتهر أمرها وحذر العلماء وأهل الحديث

(١) المصدر السابق ١٤: ٢٧٨.

(٢) المصدر السابق ١٤: ٢٨١.

(٣) المصدر السابق ١٤: ٢٨٢.

(٤) المصدر السابق ١٤: ٢٨٦.

والرواية منها. أما الروايات الصحيحة التي وردت عن أئمة أهل بيت النبوة والعصمة عليهم السلام فهي على خلاف ذلك، حيث تنصّ على أن الأذان كان من الله بواسطة الوحي «جبرئيل»، بل إن بعضاً منها تضمن استنكاراً وزجراً ولعناً لمن زعموا أن النبي صلى الله عليه وآله أخذ الأذان عن عبد الله بن زيد.

ومن هذه الروايات ما عن محمد بن يعقوب عن أبيه عن ابن أبي عمير عن حماد عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما هبط جبرئيل عليه السلام بالأذان على رسول الله صلى الله عليه وآله كان رأسه في حجر علي عليه السلام فأذن جبرئيل وأقام، فلما انتبه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا علي، سمعت؟ قال: نعم، قال: حفظت؟ قال: نعم، قال: ادع بلالاً فعلمه، فدعا علي عليه السلام بلالاً فعلمه».

ورواه الصدوق بإسناده عن منصور بن حازم. وروى الشيخ بإسناده عن علي بن إبراهيم مثله.

وعن محمد بن مكي الشهيد في الذكرى: عن ابن أبي عقيل عن الصادق عليه السلام أنه «لعن قوماً زعموا أن النبي صلى الله عليه وآله أخذ الأذان من عبد الله بن زيد، فقال: ينزل الوحي على نبيكم فتزعمون أنه أخذ الأذان من عبد الله بن زيد؟!»<sup>(١)</sup>.

ب - قول «كاستر» فيما يتعلق بالقبلة تحت باب (السامرة) فيه: ما أوردناه على قول «هيك» تحت مادة «سحر» وقول «ر - ياريه» تحت مادة «أمة» فراجع. على أن قضية القبلة لم تكن بالشكل الذي عرضه «كاستر» هذا من أن الرسول صلى الله عليه وآله غير القبلة عندما اختلف مع اليهود، بل كان أمراً إلهياً للرد على دعوى اليهود التي ردها «كاستر» في قوله السالف من تبعية الاسلام ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله لهم بدليل اتخاذه «بيت المقدس» التي هي قبلة اليهود قبلة للمسلمين،



وبهذا الأمر الإلهي تميّز المسلمون عن اليهود بجعل الكعبة المشرفة قبلتهم دين سواهم.

وفي بيان هذه الحقيقة روى علي بن ابراهيم بإسناده عن الامام الصادق عليه السلام قال: «تحوّلت القبلة الى الكعبة بعدما صلى النبي ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة إلى بيت المقدس وبعد مهاجرته الى المدينة صلى إلى بيت المقدس سبعة أشهر، قال: ثم وجهه الله إلى الكعبة، وذلك أن اليهود كانوا يعيرون رسول الله ﷺ ويقولون له: أنت تابع لنا، تصلي إلى قبلتنا، فاغتم رسول الله ﷺ من ذلك غمّاً شديداً، وخرج في جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء، ينتظر من الله تعالى في ذلك أمراً، فلما أصبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلى من الظهر ركعتين، فنزل جبرئيل عليه السلام فأخذ بعضديه وحوّله إلى الكعبة، وأنزل عليه: ﴿قد ترى قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ وكان صلى ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة، فقالت اليهود والسفهاء: ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾» (١).

ج - أقوال «فنسنتك» المتعددة تحت مادة «الصلاة» يرد عليها جميعاً ما أوردناه على «هيك» تحت مادة «سحر» فراجع. ونضيف إليه:

١ - قوله: «ويبدو أن كلمة صلاة لم تظهر في الآثار الأدبية السابقة على القرآن...» فيرد عليه ما أوردناه على «ر. پاريد» تحت مادة «أمة»، مع تأكيدنا على بطلان ما ادعاه، فإن كلمة صلاة وردت في الشعر العربي الجاهلي قبل نزول القرآن الكريم، كما في قول أعشى قيس:

يرأوح في صلواته لمليك      طوراً سجوداً وطوراً جوار

ومعنى الصلاة لغة الدعاء والاستغفار؛ فقد قال الأعشى أيضاً:

لها حارس لا يبرح الدهر بيتها      فإن ذبحت صلى عليها وزمزمها  
أي دعا لها، وقال أيضاً:

وقابلها الريح في دنّها      وصلى على دنّها وارتسم  
أي دعا لها أن لا تهمض ولا تفسد. والصلاة من الله تعالى: الرحمة، قال  
عدي بن الرقاع:

صلى الإله على امرئ ودّعته      وأتمّ نعمته عليه وزادها  
وقال:

صلى على عزّة الرحمن وابنتها      ليلي، وصلى على جاراتها الأخر<sup>(١)</sup>  
وأصل الاشتقاق في الصلاة من اللزوم من قوله: تصلى ناراً حامية،  
والمصدر الصلاة، ومنه اصطلي بالنار إذا لزمها، والمصلي الذي يجيء في أثر السابق  
للزوم أثره، ويقال للمعظم الذي في العجز صلاً، وهما صلوان.  
أمّا في اصطلاح الشريعة الإسلامية فهي عبارة عن العبادة الخاصة التي  
شرعها الإسلام والمستملة على الركوع والسجود على وجه مخصوص وأركان  
وأذكار مخصوصة.

وقيل إنها سميت صلاة لأن المصلي متعرّض لاستنجاح طلبته من ثواب الله  
ونعمه مع ما يسأل ربه فيها من حاجاته<sup>(٢)</sup>.

٢ - قوله: إن نظام الصلاة عند المسلمين يشابه بدرجة كبيرة صلاة اليهود  
والمسيحيين... وإن الصلاة الوسطى ظهرت فجأة في سورة البقرة المدنية، وإنها  
أضيفت إلى الصلاتين المعتادتين فأصبحت ثلاثة، ثم يفرع عليها رجحان أن ذلك

(١) لسان العرب: مادة «صلاة».

(٢) الطوسي، البيان ٥٦: ٥٧.

قد تمَّ محاكاة لصلاة اليهود (ثقلاه)<sup>(١)</sup> التي تقام ثلاث مرات كل يوم.  
يرد عليها ان التشابه يكون مرة بعدد الصلوات، وأخرى بشكلية الصلاة  
من قيام وركوع وسجود وامثالها، وثالثة بمضامين الصلاة من قراءات وأذكار، أما  
الجانب الأول فإن الصلاة التي شرعها الإسلام هي خمس صلوات وليس ثلاث  
صلوات كما لدى اليهود حسب قول «فنسنك» نفسه، وليست سبعة كما لدى  
المسيحيين وهي «صلاة البكور وصلاة الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة  
والحادية عشرة والثانية عشرة ثم صلاة منتصف الليل»<sup>(٢)</sup>. والصلوات الإسلامية  
الخمسة هذه محددة أوقاتها بموجب آيتين قرآنتين نزلتا على الرسول ﷺ في مكة  
المكرمة وليس في المدينة المنورة، وهما في سورة الاسراء في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ  
الصَّلَاةَ لَدُلُوكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ  
مَشْهُودًا﴾<sup>(٣)</sup>، وفي سورة هود في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا  
مِنَ اللَّيْلِ...﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي بيان دلالة هاتين الآيتين، روي عن زرارة مستنداً قال: «سألت أبا  
جعفر عليه السلام عما فرض الله عز وجل من الصلاة، فقال: خمس صلوات في الليل  
والنهار، فقلت: هل سماهن الله وبينهن في كتابه؟ قال: نعم، قال الله تعالى  
لنبيه ﷺ: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ ودلوكها زوالها، وفيما  
بين دلوك الشمس إلى غسق الليل أربع صلوات، سماهن الله وبينهن ووقتهن،  
وغسق الليل هو انتصافه، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ

(١) هكذا وردت في دائرة المعارف الإسلامية، أما أصلها العبري فقد وردت بلفظ «ثقلاه».

(٢) د. شلبي، أحمد، مقارنة الأديان ٢ - المسيحية: ٢٠٣.

(٣) الاسراء: ٧٨.

(٤) هود: ١١٥.

كان مشهوداً ﴿ف هذه الخامسة، وقال تبارك وتعالى في ذلك: ﴿أقم الصلاة طرفي النهار﴾ وطرفاه: المغرب والغداة ﴿وزلفاً من الليل﴾ وهي صلاة العشاء الآخرة...﴾<sup>(١)</sup>.

وفي تفسير الآية الأولى قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة: «دلوكها زوالها، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام... وقال الجبائي: غسق الليل ظلمته، وهو وقت العشاء... وقال الحسن: «لدلوك الشمس» لزوالها: صلاة الظهر، وصلاة العصر إلى «غسق الليل» صلاة المغرب والعشاء الآخرة، كأنه يقول من ذلك الوقت إلى هذا الوقت على ما يبين لك من حال الصلوات الأربع، ثم صلاة الفجر، فأفردت بالذكر»<sup>(٢)</sup>.

أمّا الصلاة الوسطى الواردة في سورة البقرة ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾<sup>(٣)</sup> فقد جاء في معنى الآية: الحث على مراعاة الصلوات، ومواقبتهم، وألا يقع فيها تضييع وتفريط<sup>(٤)</sup>.

وجاء في روايات متعددة ان الصلاة الوسطى هي صلاة الظهر، منها ما روي مستنداً عن أبي جعفر عليه السلام (في حديث) قال: «وقال تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ وهي صلاة الظهر»<sup>(٥)</sup>.

وعليه فلا يضر ان تكون هذه الآية مدنية لانها لم تكن بصدد اصل تشريع الصلوات الخمس، بل جاءت للحث على مراعاة الصلوات ومواقبتهم وخصوصاً الصلاة الوسطى منهم والتي سبق تشريعها في الآيات المكية السالفة الذكر، وبهذا

(١) وسائل الشيعة ٣: ٥، ح ١.

(٢) الطوسي، التبيان ٦: ٥٠٩ - ٥١٠.

(٣) البقرة: ٢٣٨.

(٤) الطوسي، التبيان ٢: ٢٧٥.

(٥) وسائل الشيعة ٣: ١٤، ح ١.



تبطل دعوى فنسك بأنها أضيفت في المدينة إلى الصلاتين المعتادتين، ويبطل أيضاً قوله بأنها ثلاث صلوات أو ثلاث مرات والتي يفرع عليها دعوى محاكاتها لصلاة اليهود «ثقله»، كما يبطل مشابقتها لصلوات المسيحيين من هذه الناحية لثبوت أن الصلوات المشرعة هي خمس وليست ثلاثاً كما عند اليهود، وليست سبعاً كما لدى المسيحيين كما أسلفنا.

أما الجانبان الثاني والثالث من التشابه المدعى فقيه: أنه ورد «أن الأصل في جميع صلوات المسيحيين إنما هو الصلاة الربانية التي علّمها السيد المسيح، والأصل في تلاوتها أن يتلوها المصلي ساجداً. وقد تكون الصلاة لفظية، بأن تتلى بألفاظ متقولة أو مرتجلة، وتكون عقلية بأن تنوى الألفاظ ويكون الابتهاال قلبياً محضاً»<sup>(١)</sup>.

ثم يحكي لنا مصدر آخر كيفية تطوّر صلواتهم قائلا: «نشر الرهبان الفرنسيسكان عادة (طريق الصليب) أو (مواضعه) وهي التي تقضي بأن ينلو المتعبّد صلوات امام صورة أو لوحة من لوحات أو صور أربع عشرة تمثّل كل منها مرحلة من مراحل آلام المسيح؛ فكان القساوسة والرهبان والراهبات وبعض العلمانيين ينشدون أو يتلون أدعية الساعات القانونية وهي: أدعية، وقراءات، ومزامير، وترانيم صاغها البندكتيون وغيرهم وجمعها «ألكوين Alcuin» و (جريجوري السابع) في كتاب موجز.

وكانت هذه الأدعية تطرق أبواب السماء... كل يوم وليلة في فترات، بين كل واحدة والتي تليها ثلاث ساعات»<sup>(٢)</sup>.

وعن مضامينها يقول المصدر نفسه: «وأقدم الصلوات المسيحية هما:

(١) المعلم البستاني، طرس، دائرة المعارف ١٠: ١٠. مادة «الصلاة».

(٢) ديورانت، ول، قصة الحضارة ١٦: ٢١ - ٢٢. فصل الصلاة.

الصلاة التي مطلعها «أبانا الذي في السماوات» والتي مطلعها «تؤمن بالله واحد»، وقبل ان ينتهي القرن الثاني عشر بدأت الصلاة التي مطلعها: «السلام لك يا مريم» تتخذ صيغتها المعروفة. وكانت هناك غير الصلوات أوراد شعرية من الشناء والتضرع، ... وكثيراً ما كانت الصلوات الرسمية التي تُتلى في الكنائس توجه إلى الله الأب، وكان عدد قليل منها توجه إلى الروح القدس؛ ولكن صلوات الشعب كانت توجه في الأغلب إلى عيسى ومريم، والقديسين»<sup>(١)</sup>.

أما صلاة اليهود فقد ورد عنها القول: «أما اليهود فليس في التوراة ما يدل دلالة صريحة على كيفية إقامة الصلاة عندهم، والظاهر أنهم إنما كانوا يتلون بها وقوفاً إلا في الاحتفالات الكبرى، حيث كانوا يسجدون، وكان لها ثلاثة أوقات قانونية: الصبح والظهر والمساء»<sup>(٢)</sup>.

أما الصلوات في الاسلام فقد ذكر الفقهاء كيفيتها استناداً على الأدلة الشرعية من القرآن الكريم والسنة الشريفة فقالوا: «... فهي تتكون من ركعات، والحد الأقصى من الركعات في الصلاة أربعة، كصلاة العشاء مثلاً، والحد الأدنى من الركعات في الصلوات الواجبة ركعتان كصلاة الصبح، وفي الصلوات المندوبة ركعة واحدة وهي ركعة الوتر».

وعلى العموم فالركعات هي: الوحدات والأجزاء الأساسية التي تتكون منها الصلاة، ويستثنى من ذلك الصلاة على الأموات، فإنها مكوّنة من تكبيرات لا من ركعات، وليست هي صلاة إلا بالاسم فقط»<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق.

(٢) المعلم البستاني، بطرس، دائرة المعارف ١٠: ١٠ مادة «الصلاة».

(٣) لمزيد من التفصيل في أجزاء وكيفية الصلوات اليومية في الاسلام يراجع: السيد الصدر، محمد باقر،

الفتاوى الواضحة: ٢٥٨ - ٢٦٠.

وهناك شروط يجب توافرها في كل صلاة وهي على قسمين: أحدهما شروط للمصلي، والآخر شروط لنفس الصلاة، وأهمها ان يكون المصلي على ضوء وطهارة وأن يكون بدنه طاهراً وكذلك ثيابه وأن يستقبل القبلة (وهي الكعبة المشرفة) وان يقصد بالصلاة القرية إلى الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وقد وردت روايات كثيرة عن الكيفية وعن مضامينها وأجزائها وشروطها، ذكرتها كتب الحديث في باب الصلاة<sup>(٢)</sup>.

بعد هذا الاستعراض نرى بالمقارنة بين الصلوات لدى اليهود ولدى المسيحيين وبين الصلوات في الاسلام وجود اختلاف أساسي بينها في العدد وفي الأوقات وفي شكلياتها ومضامينها. فمن أين استنتج «فنسك» التشابه الكبير بينها ومحاكاة بعضها لبعض وأمثال ذلك في المقولات والدعوات الجرافية التي لا دليل ولا شاهد عليها؟ هذا مع العلم اننا نلاحظ من خلال سوقنا لما نقل عن صلاة اليهود وصلوات المسيحيين أن يد التغير البشرية قد طالت الأصل وأحدثت فيه الشيء الكثير، إذ نجد ان مفرداتها - وخصوصاً صلوات المسيحيين - غدت مشبعة بمبدأ التثليث الذي هو من مقولات الشرك بالله سبحانه وتعالى، بخلاف مبدأ التوحيد والإخلاص لله وحده لا شريك له في العبادات الاسلامية الذي تعبر عنه جميع مفرداتها وخصوصاً الصلاة منها التي يشترط فيها كما أسلفنا نية التقرب لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وهذا ما يؤكد حقيقة التحريف في الديانتين اليهودية والمسيحية وفي كتابيهما التوراة والانجيل، والتي لا نعدم وجود تشابه في أصولهما قبل التحريف بين الأحكام

(١) المصدر: ٢٦١.

(٢) منها: وسائل الشيعة للحر العاملي - ابواب أفعال الصلاة - وبحار الأنوار للمجلسي - كتاب الصلاة، وغيرها من كتب الحديث.

الواردة فيها والتي لم تنسخ، وبين نظائرها من الأحكام الواردة في القرآن الكريم والسنة الشريفة لأنها من سراج واحد كما أسلفنا.

## غموض العديد من مقولات النبي محمد ﷺ القرآنية

وتهدف هذه الشبهة إلى تكوين دليل على نفي الوحي بالقرآن، وأنه إما من مخترعات النبي محمد ﷺ أو أنه اقتبسه من الغير.

وتتركز هذه الصياغة للشبهة على مجموعة من الصفات الإلهية والأسماء والمصطلحات الخاصة الواردة في القرآن الكريم، منها ما ادّعاء «ماكدونالد D.B. Macdonald» تحت مادة («الله» ج - الله في ذاته ولذاته) قائلاً: «وصفة القدوس وحدها من أسماء الله الحسنى، ولكنها لا ترد إلا مع كلمة ملك، ولسنا نعرف على وجه التحقيق المعنى الذي يريده محمد من كلمة قدّوس...»<sup>(١)</sup>.

ويقول أيضاً في المادة نفسها: «ومن اسمائه أيضاً السلام (سورة الحشر، الآية ٢٣). وهذه الصفة لم ترد إلا في الآية ٢٣ من سورة الحشر. ومعناها شديد الغموض، ونكاد نقطع بأنها لا تعني «السلام». ويرى المفسرون أن معناها «السلامة» أي البراءة من النقائص والعيوب، وهو تفسير محتمل، وقد تكون هذه الصفة كلمة بقيت في ذاكرة محمد من العبارات التي تتلى في صلوات النصاري»<sup>(٢)</sup>. ويقول أيضاً: (... أمّا صفاته المعنوية فقد وردت في قلة يشوبها الغموض، فانه يصعب علينا معرفة ما يقصده محمد من صفات «القدوس» و«السلام»

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٢: ٥٦٢.

(٢) المصدر السابق ٢: ٥٦٣.



و«النور». وهناك مجال للشك فيما إذا كان محمد قد رأى من المناسب أن يطلق على الله صفة «العدل»<sup>(١)</sup>.

أما تحت مادة («الله» د - صلة الخالق بخلقه) فيقول: «ومن الواضح أن صفة البارئ قد أخذها محمد من العبرية واستعملت دون أن يُقصد منها معنى خاص»<sup>(٢)</sup>.

وتحت مادة «بسم الله» يقول «كارادي فو B. Carrde Vaux»: «وتساءل بعض المستشرقين عما إذا كانت صيغتنا الرحمن والرحيم من أسماء آلهة الجاهلية التي بقيت إلى جانب اسم الله ثم أصبحنا مجرد صفات»<sup>(٣)</sup>.

وتحت مادة «الأنصار» يقول «ركندوف Ruckendorf»: «ويظهر أن محمداً استغل التشابه الموجود بين لفظ أنصار ونصارى فجعل عيسى يطلق على الحوارين «انصار الله» (سورة آل عمران، آية ٥٢؛ سورة الصف، آية ١٤)»<sup>(٤)</sup>.

وتحت مادة «بَعْل» يقول «ماكدونالد D.B. Macdonald»: «ولا يزال بين كلمة «بَعْل» التي تدل على إله وبين «بَعْل» معناها دِهَش أو فَرَق ومشتقاتها صلة ضئيلة، وليس هذين الاشتقاقين الآن وجود... ودخلت بعْل إلى العربية تفسيراً لآية في القرآن، وقد أشار القرآن (سورة الصافات، الآيات ١٢٣ - ١٣٢) إلى قصة إلياس وقال على لسانه: ﴿أَتَدْعُونَ بَعلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾، ومن المرجح أن محمداً قصد بـ(بَعْل) «بَعْل» كما سمعها في قصة من قصص التوراة (سفر الملوك الأول، الاصحاح ١٨)»<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: ٥٦٤.

(٣) المصدر السابق ٣: ٦٤.

(٤) المصدر السابق ٣: ٥٣.

(٥) المصدر السابق ٣: ٦٩٤.

أما «بول F. Buhl» فيقول تحت مادة «سورة»: «أما من أين أتى النبي بهذه الكلمة فأمرٌ لا يزال غير ثابت على الرغم من المحاولات التي بذلت لتتبع أصلها. ويذهب «نولدكه» إلى أن «سورة» هي الكلمة العبرية الحديثة «شورا» ومعناها الترتيب أو السلسلة، ولو قد أمكن تفسيرها بأنها «السطر» لما قادنا ذلك إلى المعنى الأصلي للكلمة...»<sup>(١)</sup>.

إنَّ جميع مفردات هذه الشبهة تعود في الحقيقة إلى جهل المستشرقين أو تجاهلهم لمعاني الفاظ عربية وردت في القرآن الكريم، فافترضوا، بعد تشكيل مقدمة باطلة من معاني وهمية ادَّعَوْها لتلك الألفاظ، أنها استعيرت من صلوات النصاري مرة أو أُخِذَتْ من العبرية مرةً أخرى، أو أنها من الاسماء الجاهلية ثالثة، أو استقيت من قصص التوراة رابعة، أو أنها ألفاظ شديدة الغموض، أو لا معنى لها خامسة، وهكذا... ويبقى الهدف الحقيقي وراء هذه التمحلات هو إنكار الوحي الإلهي للرسول محمد ﷺ الذي سنعالج أمره في الشبهة اللاحقة إن شاء الله، كما يرد عليها ما أوردناه على «ر. ياربه» تحت مادة «أمة».

أما أهم الألفاظ التي أنكروا الأصالة العربية لبعضها، وجعلوها أو تجاهلوا استعمالها في معانيها العربية الأصيلة في آيات القرآن الكريم فهي كالآتي حسب تسلسل ورودها في الشبهة السالفة الذكر:

١ - قَدْوَس: على وزن فُعُول من الْقُدُس. وفي التهذيب: الْقُدُس تنزيه الله تعالى، والقَدْوَس: من أسماء الله تعالى، قال الأزهري: القَدْوَس هو الطاهر المنزه عن العيوب والنقائص، وقال ابن الكلبي: القَدْوَس الطاهر، وحكى ابن الأعرابي: والمقدَّس المبارك.

ويقال أرض مقدّسة أي مباركة، وهو قول العجاج:  
 قد عَلِمَ القُدُّوس مولى القُدُس أنَّ أبى العباس أولى نفس  
 بتعدن الملك القديم الكرسي

يعني بالقدّوس هنا الله سبحانه وتعالى وبالقدّس الأرض المباركة<sup>(١)</sup>.  
 وقد طابق قول المفسرين المعنى اللغوي في تفسير كلمة «قدّوس»، فذكر  
 الطباطبائي في تفسير الميزان أن القدّوس مبالغة في القدّس وهو النزاهة  
 والطهارة<sup>(٢)</sup>.

وقال الطوسي في تفسير التبيان: «القدّوس» معناه المظهر فتظهر صفاته عن  
 أن يدخل فيها صفة نقص<sup>(٣)</sup>.

فكيف يدّعي «ماكدونالد» عدم معرفة المعنى المراد من هذه الكلمة في  
 القرآن الكريم؟!

٢- السّلام: ورد في معنى السّلام والسلامة: البراءة. وتسلم منه: تبرأ. وقال  
 ابن الأعرابي: السلامة العافية. والتسليم: مشتق من السلام اسم الله تعالى لسلامته  
 من العيب والنقص. والسلام: البراءة من العيوب في قول أمية:

سَلامك رَئنا في كل فجرٍ بريئاً ما تَعَتَكَ الذُّمومُ  
 والذُّموم: العيوب، أي ما تَلزقُ بك ولا تُنسب اليك<sup>(٤)</sup>.

وهنا أيضاً جاء قول المفسرين مطابقاً للمعنى اللغوي من أن السلام هو  
 الذي يسلم عباده من ظلمه<sup>(٥)</sup>، وأن السلام من يلاقيك بالسلامة والعافية من غير

(١) لسان العرب: مادة «قدّس». والقاموس المحيط: مادة «قدّس».

(٢) السيد الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ١٩: ٢٥٦.

(٣) الطوسي، التبيان ٩: ٥٧٣.

(٤) لسان العرب: مادة «سلم». والقاموس المحيط: مادة «سلم».

(٥) الطوسي، التبيان ٩: ٥٧٣.

شرٌّ وضرٌّ (١).

فأين شدة الغموض الذي يدّعيه «ماكدونالد» في المعنى الواضح لهذه الكلمة القرآنية؟!

٣ - النور: جاء في قواميس اللغة ان من اسماء الله تعالى النور؛ قال ابن الأثير: هو الذي يُبصر بنوره ذو العماية ويُرشدُ بهداه ذو الغواية، وقيل: هو الظاهر الذي به كل ظهور، والظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نوراً. قال أبو منصور: والنور من صفات الله عز وجل، قال عز وجل: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ (٢). وقد ورد في تفسير هذه الآية الكريمة: ان النور معروف وهو ظاهر مكشوف لنا بنفس ذاته فهو الظاهر بذاته المظهر لغيره من المحسوسات للبصر، هذا أوّل ما وضع عليه لفظ النور ثم عمّم لكل ما ينكشف به شيء من المحسوسات على نحو الاستعارة أو الحقيقة الثانية، فعُدّ كل من الحواس نوراً أو ذا نور بظهوره بحسوساته كالسمع والشم والذوق واللمس، ثم عمم لغير المحسوس فعُدّ العقل نوراً يظهر به العقولات كل ذلك بتحليل معنى النور المبصر إلى الظاهر بذاته المظهر لغيره... فقد تحصّل ان المراد بالنور في الآية الكريمة الذي يستتير به كل شيء وهو مساوٍ لوجود كل شيء وظهوره في نفسه ولغيره وهي الرحمة العامة (٣). بعد هذا البيان كيف يدّعي «ماكدونالد» صعوبة معرفة المقصود من وصف الله تعالى بالنور؟!

٤ - العدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور. وفي اسماء الله سبحانه: العدل، هو الذي لا يميلُ به الهوى فيجور في الحكم، وهو في الأصل مصدر

(١) السيد الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ١٩: ٢٥٦.

(٢) لسان العرب: مادة «نور».

(٣) السيد الطباطبائي، الميزان ١٥: ١٢٢.



سُمِّيَ به فَوُضِعَ موضع العدل، وهو أبلغ منه لأنه جُعِلَ الْمُسَمَّى نفسه عدلاً<sup>(١)</sup>.  
وكلمة العدل وإن لم ترد كصفة أو اسم من أسماء الله سبحانه في القرآن  
الكريم إلا أنها جاءت كذلك في حديث الرسول ﷺ<sup>(٢)</sup>.

٥ - الباري: من برأ، وهي من أسماء الله عز وجل، والله الباري: الذي خلق لا  
عن مثال<sup>(٣)</sup>. وبهذا المعنى جاءت في الآية الكريمة: ﴿هو الله الخالق الباري  
المصور﴾ أي المحدث المنشئ للأشياء ممتازاً بعضها عن بعض<sup>(٤)</sup>.

فكلمة الباري لفظ عربي أصيل استعمل في المعنى الخاص الذي أشرنا إليه  
خلافاً لما ادّعاه «ماكدونالد» من أنها استقيت من العبرية ولم يقصد من استعمالها  
معنى خاصاً.

٦ - بعل: يقال للرجل، هو بعل المرأة، ويقال للمرأة، هي بعلته وبعلته.  
وباعلت المرأة: اتخذت بعلًا، وباعل القوم قومًا آخرين مُباعلة وباعلاً: تزوج  
بعضهم إلى بعض، والآنثى بعل وبعلته مثل زوج وزوجة: قال الراجز:

شَرُّ قَرِينٍ لِلْكَبِيرِ بَعْلَتُهُ      تُوَلِّغُ كَلْبًا سُورَهُ أَوْ تَكْفِيثُهُ

وبعل يبعل بُعولة وهو بعل: صار بعلًا وقال: يَا رَبِّ بَعْلُ سَاءَ مَا كَانَ بَعْلُ.  
وبعل الشيء: رَبُّهُ وَمَالِكُهُ. وفي حديث الإيمان: وَأَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ بَعْلَهَا المراد  
بالبعل ههنا المالك يعني كثرة السبي والتسري، فإذا استولاه المسلم جارية كان  
ولدها بمنزلة ربه.

وبعل والبعل جميعاً: صنم، سمي بذلك لعبادتهم إياه كأنه ربههم. وقوله

(١) لسان العرب: مادة «عدل». والقاموس المحيط: مادة «عدل».

(٢) واجع: بحار الأنوار ٢: ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣) لسان العرب: مادة «برأ». والقاموس المحيط: مادة «برأ».

(٤) السيد الطباطبائي، الميزان ١٩: ٢٥٧. والطوسي، البيان ٩: ٥٧٤.

عز وجل: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(١)</sup> يقال: أنا بعلٌ هذا الشيء أي ربه ومالكه، كأنه يقول: أَدْعُونَ ربًّا سوى الله؟ وروى عن ابن عباس: أن ضالةً أنشدت فجاء صاحبها فقال: أنا بعلها، يريد ربها، فقال ابن عباس: هو من قوله أَدْعُونَ بَعْلًا أي ربًّا. وورد أن ابن عباس مرَّ برجلين يختصمان في ناقة وأحدهما يقول: أنا والله بعلها، أي مالِكها وربها، وقولهم: مَنْ بعلٌ هذه الناقة؟ أي مَنْ ربها وصاحبها<sup>(٢)</sup>.

وجاء في كتب التفسير ما يطابق المعاني اللغوية التي ذكرناها، منها في تفسير الآية ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا...﴾، قال الحسن والضحاك وابن زيد: المراد بالبعل - ههنا - صنم كانوا يعبدونه، والبعل في لغة أهل اليمن هو الرب، يقولون: مَنْ بَعْلٌ هذا الثوب أي مَنْ ربه - وهو قول عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي - ويقولون: هو بعل هذه الدابة أي ربها<sup>(٣)</sup>.

وعليه فكيف يدّعي «ماكدونالد» أن هذه الكلمة دخلت إلى العربية تفسيراً لآية في القرآن الكريم؟

٧ - سورة. السورة: المنزلة، والجمع سُورٌ، والسُّورَةُ من البناء: ما حُسِّنَ وطال. قال الجوهري: والسُّورُ جمع سُورَةٍ مثل بُشْرَةٍ وبُشْرٍ، وهي كل منزلة من البناء؛ ومنه سُورَةُ الْقُرْآنِ لأنها منزلةٌ بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى، والجمع سُورٌ بفتح الواو؛ قال الراعي:

هِنَّ الْحَرَائِرُ لَا رَبَّاتٍ أَحْمَرَةٍ      سُودُ الْحَاجِرِ لَا يَشْرَأَنَّ بِالسُّورِ

وقال ابن سيده: سميت السُّورَةُ من القرآن سُورَةً لأنها درجة إلى غيرها، وروى الأزهرى بسنده عن أبي الهيثم قال: أمّا سورة القرآن فإن الله جلَّ ثناؤه

(١) لسان العرب: مادة «بعل». والقاموس المحيط: مادة «بعل».

(٢) الطوسي، التبيان ٨: ٥٢٤ - ٥٢٥.

جعلها سُوراً مثل غُرْفَةٍ وَغُرْفٍ وَرُتْبَةٍ وَرُتْبٍ وَزُلْفَةٍ وَزُلْفٍ<sup>(١)</sup>.

بعد هذا البيان للمعنى اللغوي الأصل لكلمة «سورة» في اللغة العربية واستعمالها بهذا المعنى في القرآن الكريم، كيف يوجه «بول» استفهامه عن مصدر هذه الكلمة وأصلاتها؟ وكيف يدعي «تولدكه» أنها عبارة عن الكلمة العبرية الحديثة «شورا»؟

### ادعاء النبي محمد ﷺ وابتكاره واصطناعه وتأثره بمن حوله

وهذه الشبهة تعني بعبارة أخرى أنه ليس وراء محمد ﷺ وحي إلهي ولا تنزيل سماوي، فمثلاً تصوّر بعث النبي لجيش أسامة على أنها لأجل التآر لأبيه زيد وليس لها بعد رسالي كما أعطيت إليه فيما بعد، وتجد ذلك تحت مادة «أسامة» حيث يقول «V. Vacca»: «بعث النبي أسامة على رأس جيش ليثار لأبيه زيد الذي قُتل في غزوة مؤتة. وبالرغم من الطعن بحدائثة سنّه...»<sup>(٢)</sup>. وتصور التشريعات الإسلامية على أنها بدوافع مادية كان النبي محمد ﷺ يخضع لها، منها ما جاء تحت مادة «اصول» والتي يقول فيها «يوسف شاخت Joseph Schacht»: «... ولم يكن قصد محمد خلق نظام يضبط به حياة أتباعه، أو وضع اصول هذا النظام على الأقل، بل ظل القانون العرفي العربي القديم الذي تضمن كثيراً من العداصر الدخيلة من روميّة إقليمية وبابلية وممّنية، يسير في الإسلام سيره الطبيعي، ودخلت عليه بعض التغييرات لتلائم بينه وبين الظروف الإقليمية للبدو وأهل مكة وهي مدينة تجارية، وأهل المدينة وهي مركز زراعي، وكان همّ محمد في

(١) لسان العرب: مادة «سور». والقاموس المحيط: مادة «سور».

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٢: ٧٧.

التشريع قاصداً على تصحيح بعض المسائل مدفوعاً الى ذلك باعتبارات دينية. وذلك لأن الأحكام التي تمس الحياة الاجتماعية تقوم أيضاً على أساس ديني. وفي مثل هذه المسائل كانت الحوادث الخارجية هي الدافع الى معالجة أكثرها»<sup>(١)</sup>. وأنه عليه السلام كان يبتكر ويقع تحت تأثير عوامل مختلفة، منها ما قاله «ماكدونالد D. B. Macdonald» تحت مادة («الله» هـ - صلة الله بالإنسان): «... وكان محمد في وقت ما يستعمل صفة «الرحمن» كاسم علم مرادف للكلمة «الله». واعتبر اهل مكة ذلك من مبتكراته (انظر خبر صلح الحديبية وما جاء فيه من ان اهل مكة رفضوا الصيغة التي تضمنت الرحمن الرحيم، وتمسكوا بالصيغة المكيّة القديمة «باسمك اللهم»)... ويظهر ان محمداً قد أخذ هذه الصيغة عن جنوبي بلاد العرب»<sup>(٢)</sup>.

وتحت مادة «اهل الكتاب» يقول «جولد صيهر Gold Zihher»: «يسمى محمد اليهود والنصارى بهذا الاسم تمييزاً لهم عن عبدة الأوثان... على انه رغم نزعة التعصب التي كان يعبر عنها بعبارات شديدة...»<sup>(٣)</sup>.  
وتحت مادة «جبرائيل» يقول «كارادي Carrade Vaux»: «ولجبرئيل شأن هام في القرآن. وقد اصطنع النبي القصة التي تقول بأن هذا الرسول السماوي يتحدث الى الانبياء، واعتقد انه تلقى رسالته ووحية منه»<sup>(٤)</sup>.  
ويقول أيضاً تحت مادة «الجنة»: «وقد ذكرت مرة واحدة في القرآن بالاسم الفارسي «فردوس»... وقد عرف أن فكرة محمد عن الجنة مادة حسية، وقد

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٢: ٢٧٤ - ٢٧٥.

(٢) المصدر السابق ٢: ٥٦٥ - ٥٦٦.

(٣) المصدر السابق ٣: ١٠٦ - ١٠٧.

(٤) المصدر السابق ٦: ٢٧٦.



صورت هذه الفكرة في سور كثيرة تتصل بالفترة الاولى من دعوته مثال ذلك (سورة محمد، الآيات ١٦، ١٧)»<sup>(١)</sup>.

ويحاول الطعن في بلاغة القرآن جهلاً منه بأصولها فيقول تحت نفس المائة: «وفي سورة الرحمن، الآية ٥٥، وهي السورة التي صيغت في قالب أنشودة لها لازمة، يتحدث محمد عن الجنّين... وهو يذكر في السورة نفسها «الآيات ١٦ - ١٩» المشرقين والمغربين والبحرين. وليس تفسير هذه الإثنيّة يسيراً إلا إذا كانت من أجل البحرين، وقد يُقال إن النبي قد التزم في هذا المقام صيغة المثنى لأنها أوقع في السمع»<sup>(٢)</sup>.

وتحت مادة «جهنم» يقول «كارادي فو B. Carrade Vaux»: «ولم يكن لدى النبي محمد إلا فكرة أولية عن بناء جهنم، فهو يتحدث عن ابوابها ويحدد عددها بسبعة (سورة لقمان، الآية ٧١، سورة الحجر، الآيتان ٤٣، ٤٤)»<sup>(٣)</sup>.

وتحت مادة «الحديبية» يقول «لامنس H. Lammen»: «ولم يستطع النبي أن يعدّ نفسه قابضاً على ناصية الحال إلا في الشهور الأخيرة من العام السادس للهجرة بعد أن قضى على العشائر اليهودية وأذل المنافقين في المدينة، ومن ثم رأى أن الوقت قد حان للتظاهر ضد مكة رداً على حصار الخندق. وهو الحصار الذي حاولته قريش، وقد اتّخذ النبي كل الأهبة لهذا التظاهر بفضل السياسة التي التزمها، ولم يعد عنها، فقد دأب على تركيز اهتمام قومه بمكة أم البلاد، فكان تغييره للمبلة واصطناعه لأسطورة إبراهيم، وتصويره بأنه باني الكعبة، وفرض الحج وإيجابه في ذلك الوقت على كافة المسلمين، يخدم هذا الغرض دون سواه، ويبدو أن

(١) المصدر السابق ٧: ١٤٠ - ١٤١.

(٢) المصدر السابق ٧: ١٤٢ - ١٤٣.

(٣) المصدر السابق ٧: ١٩٧.

النبي فكر أول الأمر في القيام بمظاهرة عسكرية، فقد كان المفروض أن يسير في عدد يتفاوت بين ١٤٠٠ و ١٦٠٠ من الرجال المسلمين، ولكنه عدّل خطته وأعلن أنه انتوى العمرة، وما كان الهدي الذي أخذه معه إلا استكمالاً للخدعة<sup>(١)</sup>.

وتحت مادة «سارق» يقول «هيفينك Heltening»: «السرقه وجزاؤها قطع اليد بنص القرآن «سورة المائدة، الآية ٣٨»، وكان هذا الجزاء من ابتكار الرسول، إلا أنه ورد في أدب الأوائل أن وليد بن المغيرة ابتدعه أيام الجاهلية، وقد يكون هذا النوع من العقوبة من أصل فارسي<sup>(٢)</sup>.

وتحت مادة «السفينة» يقول «كندرمان H. Kindermann»: «والشيء الذي أثار هذه المسألة في بادئ الأمر هي الأوصاف التي ذكرها القرآن عن البحر. فقد تساءل «بارتولد W. Barthold» بحق، كيف تأتت للنبي محمد ﷺ هذه الصور الواضحة عن البحر وعواصفه ومن أين استقاهها؟»<sup>(٣)</sup>.

ويستمر تحت نفس المادة قائلاً: «على أن لا منس يعترف بأن الاشارات الكثيرة في القرآن والسيرة إلى الملاحة توحي بأن العرب كانوا على دراية وثيقة بالبحر...»<sup>(٤)</sup>.

وتحت مادة «شيطان» يقول «ترتون A. S. Tritton»: «وكلمة شيطان شائعة في القرآن، ولكنها لا ترد في سور العهد المكّي إلا مرة منكّرة بصيغة المفرد فحسب، ولم ترد في صيغتها المحددة إلا في العهد الثاني موحية أن النبي قد وجد أو تذكر فكرة أخرى عن الشيطان»<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر السابق ٧-٨-٣٠.

(٢) المصدر السابق ١١-٥١.

(٣) المصدر السابق ١١-٥٧.

(٤) المصدر السابق ١١-٥٨.

(٥) المصدر السابق ١٤-٤٧.

وتحت مادة «صالح» يقول «بول» (Fr. Buhl): «... ولكننا لا نستطيع أن نتحقق من المصدر الذي استقى منه محمد ﷺ اسم صالح وقصة الناقة»<sup>(١)</sup>. وعن دعوى وقوع النبي محمد ﷺ تحت تأثير عوامل مادية مختلفة عند تشريعه للأحكام أو اتخاذه للقرارات يقول «شاخت» (J. Schaht): «أما فيما يتعلق بالمصادر المادية للشرعة الإسلامية فإن عناصر كثيرة مختلفة جداً في أصلها (من آراء عربية قديمة وبدوية: قانون التعامل بمدينة مكة التي كانت مدينة تجارية، وقانون الملكية في واحة المدينة، والقانون العرفي الذي كان في البلاد المفتوحة، وهو قانون روماني إقليمي إلى حد ما، وقانون هندي) قد احتفظ بها الإسلام وأخذ بها من غير تحرج، لكنها بعد ذلك أخضعت لذلك التقييم الديني الذي شمل كل شيء وأنتج من جانبه أيضاً عدداً كبيراً من الابتكارات الفقهية»<sup>(٢)</sup>.

وتحت مادة «زيد بن حارثة» يقول «فكا» (V. Vacca): «وكان زيد يصغر محمداً بنحو عشر سنوات، وهو من السابقين إلى الإسلام، إن لم يكن أولهم جميعاً، وزيد ينحدر من قبيلة كانت تضرب قرب دومة الجندل، وكان عدد المعتنقين النصرانية هناك كثيراً، كما كان أثر اليهودية واضحاً، وربما كان أثر زيد في تطور تفكير النبي كبيراً»<sup>(٣)</sup>.

ويضيف «فنسك» إلى تأثير العوامل المادية المختلفة على النبي محمد ﷺ في تشريعه للأحكام واتخاذه للقرارات أنه كان يقع تحت طائلة الخدعة، فيقول تحت مادة «الحج»: «وقد ثار اهتمام النبي بالحج أول مرة في المدينة، ويرجع اهتمامه إلى عدة أسباب بينها Mekkanus في كتابه Snouck Hargmony Chetceest

(١) المصدر السابق ٧٠٤.

(٢) المصدر السابق ٢٤٦.

(٣) المصدر السابق ١١٠.

فقد دعاه نجاحه الباهر في غزوة بدر إلى التفكير في فتح مكة، وطبعي أن التجهز لهذا الفتح يكون أكثر توفيقاً إذا أثار النبي اهتمام صحابته بالأمور الدينية والدنيوية جميعاً، فقد خدع النبي فيما كان يحفده من آمال على جماعة اليهود بالمدينة، وأدت خلافاته معهم إلى قيام شقاق ديني بينه وبينهم لم يكن عنه محيص، وإلى هذا العهد يرد أصل نظرية دين إبراهيم<sup>(١)</sup>.

وعن دعوى أن النبي ﷺ كان يقع في أخطاء في مواقفه وإيهام في آرائه يقول «بول Fr. Buhl» تحت مادة «تحريف»: «... والذي حدا بالمسلمين إلى الاستغلال بهذه الفكرة التحريف هو ما جاء بالقرآن من آيات اتهم فيها محمد اليهود بتغيير ما أنزل إليهم من كتب وبخاصة «التوراة» مستعملًا التعبير «حرفوا» (انظر مادة القرآن). وكان هذا الاتهام في الواقع الطريقة الوحيدة لإخراج محمد من مأزق خطير حين احتك في المدينة باليهود. فقد سعى منذ بدء رسالته إلى الحصول على تأييد أهل الكتاب يهوداً ونصارى لاقتناعه بأن ما جاء في العهدين القديم والجديد يتفق وما دعا إليه مما أنزل عليه. ولكن عرضه للوقائع والشرائع التي جاءت في التوراة انطوى على ادراك خاطئ أثار عليه النقد والسخرية من جانب اليهود، فكان في نظرهم مبطلاً. ولو أن ما استعرضه من الآراء كان مناقضاً لما أنزل في الكتب المقدسة القديمة لانتفت دعواه فيما يؤكد من أنه صاحب رسالة إلهية. ولما كان اعتقاده أنه رسول موحى إليه قوياً لا يتزعزع لم يبق له غير مخرج واحد، ذلك أن اليهود عمدوا آثمين إلى تحريف الكتاب، وأنه هو الذي أتى بالنص الصحيح؛ وهي دعوى جريئة يسرها عليه أن هذه الكتب كانت مجهولة تماماً من أتباعه المؤمنين بصدق كلماته»<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق ٧: ٣٠٢-٣٠٣.

(٢) المصدر السابق ٤: ٦٠٣.



ويضيف «بول» أيضاً تحت نفس المادة: «وكان من نتيجة الطريقة المبهمة التي تحدّث بها محمد في القرآن عن تحريف الذين أوتوا الكتاب للتوراة والانجيل أن ذهب علماء المسلمين مذاهب شتى في تقديرهم للحقائق التي يقوم عليها هذا الاتهام»<sup>(١)</sup>.

إن هذه الصياغة لمقولات الطعن بإلهية القرآن الكريم ورسالة النبي محمد ﷺ بالاسلام تبرز لنا شبهة إنكار الوحي الإلهي من خلال نماذج مفرداتها التي سقناها بصراحة ووضوح اشد من الصياغات السابقة. هذه الشبهة التي طالما بذل الكثير من المستشرقين وأمثالهم الجهد الكبير لتركيزها وإطلاق الادعاءات وسوق الأدلة المتكلفة لإثباتها. وعليه لا بد لنا من أن نعقد بحثاً يستوعب أبلغ ما يمكن استلاله من جملة مفردات أدلتهم ودعواتهم المختلفة التي ذكرت في المقام ليكون جواباً شاملاً وشافياً لجميع ما استقصيناه في هذه الصياغة والصياغات الاخرى أو لم نستقصه من مفردات هذه الشبهة.

على اننا نجد ان منهج تناولهم لهذه الشبهة سلك طريقين: الطريق الأول شبهات حول إعجاز القرآن، والطريق الثاني شبهات حول الوحي الإلهي للرسول ﷺ. وللترايط الموضوعي الوثيق بين إعجاز القرآن والوحي الإلهي سنتناول كلا هذين الطريقين بالبيان والرد كالآتي:

**الطريق الأول:** شبهات حول إعجاز القرآن الكريم: وتقوم هذه الشبهات على تأكيد بشرية القرآن الكريم، ولكون الاسلوب البلاغي للقرآن الكريم هو أحد الأسرار الأساسية لإثبات إعجازه وكونه وحياً إلهياً تحدّي البشر بأن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله بل بسورة من مثله، وأن يدعوا من استطاعوا لذلك من

دون الله إن كانوا صادقين، كان مطعمهم الأول موجه لها لنفيها كأساس لذلك الإعجاز، وبتتبع تفصيلي لمفردات هذه الشبهات يمكننا أن نقسمها إلى قسمين: قسم يحاول أن يبرز نقصاً أو خطأ في الأسلوب البلاغي والمحتوى البياني للقرآن الكريم، ويمكننا ملاحظة النماذج التي سبقناها سابقاً في هذا السياق. ولا نجد حاجة لتتبع المزيد من تفصيلات ذلك مفردة بعد أخرى والرد عليها على ضوء القواعد العربية لاستلزامه الإطالة من جهة ولوجود من كفانا مؤنتها من جهة أخرى<sup>(١)</sup>.

وقسم آخر يحاول أن يقيم الدليل على كون القرآن الكريم ليس بمعجزة في جانبه البلاغي لقدرة البشر على أن يأتوا بمثله وهذا القسم يشتمل على ما يلي:

الشبهة الأولى: لما كانت الفصاحة والبلاغة القرآنية هي الأساس الأول في الإعجاز القرآني، ولما كان للعرب قواعد وأسس لتلك الفصاحة والبلاغة تشكل المقياس الرئيسي لديهم في تمييز ما هو بليغ وفصيح عن غيره، نجد أن بعض آيات القرآن الكريم تأتي خلافاً لتلك القواعد أو لا تنطبق عليها تمام الانطباق، وعليه فإن القرآن الكريم يفتقد لنهج الفصاحة والبلاغة على الأصول والقواعد العربية، فهو إذن ليس بمعجزاً ببلاغته.

وهنا سوف نكتفي بمناقشة أصل الفكرة والأساس الذي تقوم عليه هذه الشبهة ونفي إمكان الاعتماد على هذا الأساس في الطعن بإعجاز القرآن فنقول:

١ - من خلال مراجعة تاريخ تأسيس قواعد اللغة العربية نجد أنها ظهرت في زمن لاحق لنزول القرآن الكريم، وذلك عندما بدرت الحاجة إلى هذه القواعد خوفاً على اللغة العربية والنص القرآني الذي نزل على نسقها من الاختلاط والضياع نتيجة اتساع نطاق الدعوة الإسلامية، وامتداد رقعة دولتها، وتداخل

(١) راجع: الشيخ البلاغي، جواد، الهدى إلى دين المصطفى ١: ٣٣٠ فما فوق.

العرب بغيرهم من الشعوب الأعجمية. ولم يثبت لنا التاريخ مبادرة قبل مبادرة أبي الاسود الدؤلي تحت إشراف وإرشاد الامام علي بن أبي طالب عليه السلام أيام خلافته.

على أن عملية وضع قواعد اللغة العربية كانت عبارة عن اكتشاف قام به بعض المهتمين بشؤون اللغة العربية على اساس ما كان يتبعه العرب من أساليب في البيان والنطق خلال كلامهم، وليس اختراعاً أولياً من قبل واضعي اللغة العربية. إذا فكلام العربي الأصل هو المصدر الاساسي في بناء القاعدة اللغوية وصياغة تفصيلاتها، والقرآن الكريم كان في مقدمة تلك المصادر المعبرة عن الكلام العربي الأصل، بل أوثقه وأبلغه على الاطلاق. لذا نجد أن جميع ما وصلنا من صياغات لقواعد اللغة العربية كانت تجعل القرآن الكريم مقياساً يحكم عليها بالصحة أو الخطأ. وهذا هو الذي يجب ان ننحوه في لحاظ قواعد اللغة العربية وليس العكس.

٢ - يضاف إلى ذلك اننا لم نجد ما بين نزول القرآن الكريم وحتى اكتشاف وتدوين قواعد اللغة العربية أن التاريخ قد نقل لنا نقداً أو مطعناً في بلاغة القرآن وبيانه صدر من العرب المعاصرين لنزوله، وهم أهل البلاغة والفصاحة وذوو الخبرة والمعرفة المحيطة باللغة العربية، رغم شدة عدااء العديد منهم للرسول ﷺ وتكذيبهم لنزول الوحي الإلهي عليه بالقرآن الكريم. بل نجدهم على العكس من ذلك، فقد اذعنوا لعظمة بلاغة القرآن الكريم واستسلموا لجمال بيانه الساحر حتى وصفه بعضهم لشدة تأثره به بأنه سحر، كناية عن مدى إيمانه بدقة انسياقه البياني وانسباقه التعبيري، بشكل يفوق مطلقاً ما هو مألوف لديهم من صيغ البلاغة والبيان والتعبير.

الشبهة الثانية: إن المتميزين والعارفين من أهل اللغة العربية قادرون على الاتيان بمثل الكلمات القرآنية أو بعضها. وهذا يعني أنهم قادرون على الاتيان



بكلمات قرآنية، لأن حكم الامثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد، وهكذا يصبح من المعقول - بل المجزوم به - أن هذه القدرة يمكنها أن تمتد للإتيان بسورة أو بعدة سور أو قل بمثل القرآن كله.

وفي معرض ردّ هذه الشبهة نقول: إن الاعجاز القرآني لا يكمن في كلمات متناثرة ومستقلة بعضها عن البعض الآخر، إنما هو في التركيب البياني بين الكلمات والأسلوب الصياغي لها وفي المحتوى والمضمون للمعاني والأفكار التي يُعبر عنها ذلك التركيب والأسلوب في سياقات متعاقبة الصلة منسجمة الحلقات. فشتان بين افتراض القدرة على الاتيان بكلمات متناثرة مهما كان عددها وبين القدرة على نظمها على نسق الصياغات البلاغية في تركيب جمالي معبر، ولا يحتاج هذا التمييز بين القدرتين الى برهان، فهو أمر وجداني يحسّه كل عاقل ملتفت، حيث نجد ان الكثيرين قد يملكون قابلية النطق بكلمات عربية عديدة ولكنهم لا يستطيعون ان ينظموا منها شعراً أو مقطوعة ادبية بليغة، أو يصوغوا منها خطاباً فصيحاً شأنهم في ذلك شأن من يقوم بتوفير المواد الانشائية وانجاز اعمال محدودة وبسيطة منها، إلا انهم لا يستطيعون ان يشيّدوا أبنية ومشاريع هندسية دقيقة وضخمة رغم اشتغالها على تلك الاعمال المحدودة والبسيطة. ونفس الكلام يأتي في المحتوى والمضمون، فمن نتصور فيه القدرة على تقديم فكرة أو فكرتين لا نتصور فيه القدرة على تقديم هذا الكم الكبير والمتناسق من الأفكار المتنوعة والمفاهيم المترابطة خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار نفس الظروف الموضوعية والذاتية التي نزل فيها القرآن الكريم والتحدي الذي كان فيها.

**الشبهة الثالثة:** إن تحدي القرآن للعرب عدة مرات قد اكتنفته عوامل وظروف منعت العرب آنذاك من معارضة القرآن وإظهار قدرتهم على الإتيان بمثله، فهم لم يعارضوه لأنه معجز بل بسبب تلك العوامل والظروف المانعة. ويمكننا



تحديد مرحلتين تاريخيتين تميّزت كل مرحلة منهما بعوامل وظروف مانعة اخصت بها وهما:

المرحلة الاولى: مرحلة التنزيل القرآني، حيث اتسمت بسيطرة المسلمين وسطوتهم على الواقع السياسي والاجتماعي للحاضرة العربية، ومخاربتهم لكل من يظهر العداء للاسلام أو يتحداه، مما أبرز عوامل الخوف والرهبة في نفوس العرب المعاصرين فاحجموا عن المعارضة والتحدي للقرآن حفاظاً على أنفسهم وأموالهم من سطوة المسلمين.

المرحلة الثانية: مرحلة الخلافة الأموية وما بعدها والتي أعقبت سلطة الخلفاء الأربعة الأول. وقد عرف عن الأمويين أن خلافتهم لم تقم على اساس الحفاظ على الاسلام والالتزام به والدعوة إليه، فكان من الممكن إظهار المعارضة والتحدي للقرآن، إلا أن الانس الذهني بمعانيه المتينة والألفة النفسية لألفاظه الجميلة جعلته من المرتكزات التي يتوارثونها جيلاً بعد آخر فانصرفوا نفسياً وذهنياً عن التفكير بمعارضته وتحديه.

ورد هذه الشبهة يمكن بملاحظة ما يلي:

١- ان أول تحدّ بالقرآن الكريم للمشرّكين وطلب معارضته ولو بسورة من مثله جاء في سورتي يونس وهود وهما مكيتان، أي في اول مراحل الدعوة الاسلامية حين كان المسلمون مضطهدين ومطاردين، وكان المشركون في أوج قدرتهم، ومع كل ذلك لم يستطع أي من بلغائهم أن يقابل التحدي بالمعارضة، مع العلم ان شوكة وسلطة المسلمين لم تظهر إلا بعد الهجرة الى المدينة المنورة، وانحصرت بحدودها الى ان تمّ النصر بفتح مكة أو آخر عهد النبي ﷺ.

٢- ان ظهور شوكة المسلمين وامتداد سلطانهم في الجزيرة العربية أواخر عصر النبي ﷺ وعصر الخلفاء الاربعة بعده لم يبلغ وجود الكفار، ولم يمنعهم من

إظهار كفرهم، خصوصاً إذا كان على مستوى الاحتجاج وقبول التحدي بالمعارضة، والدليل على ذلك بقاء مجموعات عديدة من المشركين على دياناتهم كما هو شأن أهل الكتاب، وقد أقرهم الاسلام على ذلك، ورعى مصالحهم الانسانية والاجتماعية في ظل الدولة الاسلامية، شأنهم في ذلك شأن المسلمين، ومع كل ذلك لم نجد من تصدى لمعارضة القرآن الكريم وادعى القدرة على الاتيان بمثله، رغم انهم كانوا يحاولون الاجتهاد بمحاجبات مختلفة اخرى انتصاراً لدياناتهم على الاسلام.

٣- لو سلمنا أن فرضية وجود الخوف من معارضة القرآن الكريم بسبب السيطرة الاسلامية إنما منعت المشركين من إظهار هذه المعارضة والتجاهر بها، إلا أن معارضتهم السرية كانت ممكنة في إطار تجمعاتهم الخاصة، ولو ثبتت مثل هذه المعارضة لأظهروها في الفرص السانحة، ولنقلت اليها كما نقلت نصوص أهل الكتاب الدينية فيما بعد وخصوصاً قصص العهدين الخرافية المعارضة للقرآن الكريم.

٤- من الطبيعي فيما عهد في الكلام البليغ وإن علت رتبته أنه يفقد رونقه ويتضاءل وقعه الجميل على الحس البشري كلما تكرر على السامع، ويتحول بالتدريج الى كلام عادي في شدته وتحريكه البلاغي. فنرى الجديد من المقطوعات الأدبية أو القصائد البليغة يشد ويحرك السامع أكثر من المكرور وإن كان أقل منه بلاغةً وبياناً، ويتركز هذا الحس كلما تعدد التكرار، ولو طبقنا هذا الأمر على القرآن الكريم لوجدناه على العكس من ذلك، حيث يجمع أهل اللغة وأرباب البلاغة العربية أن حسهم وتذوقهم لبلاغة القرآن الكريم ومعانيه الجميلة المتناسقة تزداد شدةً وحسناً كلما أكثروا من قراءته وترديد آياته، ثم اننا لا نجد ذلك منحصرأ بهم بل يعم عادة الناطقين باللغة العربية على اختلاف مستوياتهم

وحسبهم الادبي. وهذا يؤكد الاعجاز البلاغي للقرآن الكريم لا ان يكون نقصاً عليه.

ولو سلمنا وافترضنا ان التكرار يوجب الانس الذهني والالفة النفسية بالقرآن وبالتالي الانصراف عن معارضته، فهذا انما يتم عند المسلمين المؤمنين به والتالين له بشوق وعقيدة، أما غيرهم من بلغاء العرب وفصحائهم فليسوا كذلك، فهم متربصون به، وبامكانهم قبول التحدي ومعارضته لو استطاعوا الى ذلك سبيلاً.

الشبهة الرابعة: من خلال عقد مقارنة بين ما جاء في القرآن من قصص الأنبياء وما جاء في كتب العهدين المتداولة «التوراة والانجيل» نجد أن ما جاء في القرآن يختلف كثيراً في تفصيلات الحوادث ونسبها الى الانبياء وأممهم السالفة عما جاء في تلك الكتب. ولما كانت هذه الكتب مما يعترف القرآن بها انها من الوحي الالهي، وكان هو وحياً إلهياً أيضاً فكيف يخالفها في ذلك؟ وهل يمكن ان يناقض الوحي الإلهي نفسه في الإخبار عن الأحداث والوقائع التاريخية؟

ثم ان القرآن جاء في مجتمع وامة منفصلة عن تاريخ انبياء تلك الكتب السماوية وأممهم، في حين ان تلك الكتب بقيت متداولة جيلاً بعد آخر في أمة هؤلاء الأنبياء، وهذا يعني انهم أدق معرفة واطلاعاً بأوضاع هؤلاء الانبياء وما جرى لهم مع آبائهم وأجدادهم، فيكون ذلك دليلاً على صدق ما جاء في كتب العهدين دون ما جاء في القرآن، وعليه يدل القرآن على صدق نبوة من جاء به.

ودفع هذه الشبهة يتم يلحظ ما يلي:

١ - إن ادعاء بقاء كتب العهدين متداولة، كما انزلت على انبيائها في أُممهم جيلاً بعد آخر هو اول الكلام، إذ ان الصلة بين اجيال تلك الامم لا تشكل دليلاً على بقاء تلك الكتب سليمة وبعيدة عن يد التحريف والتزوير، خصوصاً إذا



عرفنا أن انفصالاً تاريخياً قد وقع بين تلك الامم وانبيائهم، مما افقد تلك الامم القدرة على الاحتفاظ باصول كتب العهدين كما انزلت على هؤلاء الانبياء، فكثرت في نصوصها الاجتهادات وطالتها يد التحريف والتزوير جيلاً بعد آخر، ويؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في معرض بيانه لواقع أمم هؤلاء الانبياء التي نزلت فيهم تلك الكتب (١).

٢- ان عقد المقارنة بين ما جاء في القرآن الكريم من قصص الانبياء وما جاء في كتب العهدين المتداولة والتعرف على مواطن الاختلاف يدعو بنفسه الى تصديق القرآن الكريم دون كتب العهدين وليس العكس، وذلك لأن تفاصيل قصص هؤلاء الانبياء في القرآن الكريم جاءت دقيقة ومتطابقة تمام الانطباق مع الاصول العقلية والثوابت العقائدية لواقع الانبياء وصفاتهم الاساسية، في حين اتنا نجد خلاف ذلك في التوراة والانجيل، فهما يذكران العديد من الخرافات والباطيل، وينسبان الى انبياء تلك الفترة مواقف لا تتفق والصفات الواقعية للانبيا، وسلوكيات لا تليق برسل الله وامنائه على ارضه ودينه (٢). بل انها تتنافى مع صفات اصل الصلاح والاصلاح من عامة الناس.

وعليه فان العرض القرآني لقصص الانبياء ووقائعهم يظهر لنا جانباً مهماً من اعجاز القرآن الكريم لانسجامه واتسلافه مع طبيعة الصفات الواقعية للانبيا والرسول التي أرشدت اليها العقول وأقرتها العقائد الدينية، ويؤكد يقيننا بأن

(١) كقوله تعالى في سورة البقرة - الآية ٧٥ في تحريف بني اسرائيل للتوراة: ﴿أَقْتَضَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْزِنُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. وكذلك قوله تعالى في سورة المائدة - الآية ١٣: ﴿فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ...﴾. وغيرهما من الآيات الشريفة.

(٢) للوقوف على نماذج من ذلك يمكن الرجوع إلى كتاب الهدى إلى دين المصطفى للعلامة البلاغي، الجزء الثاني.



مصدرها الوحي الإلهي وليس كتب العهدين وامثالها كما يدعون.

هذه خلاصة لما يرد على ما استدلناه من شبهات مبثوثة إجمالاً وتفصيلاً في طيات دس وتشويه المستشرقين خصوصاً في دائرة المعارف الإسلامية، على أننا أجبننا عن غير هذه الشبهات سلفاً<sup>(١)</sup>.

الطريق الثاني: شبهات حول الوحي الإلهي للرسول ﷺ: ويمكن عموماً أرجاع هذه الشبهات الى شبهة أساسية هي ان الوحي القرآني لا علاقة له بالسماء، إنما هو وحي نفسي نابع من ذات محمد ﷺ. على ان اصول بعض هذه الشبهات ليس جديداً في موضوعه، فلطالما أثارها المعاندون من اهل الكتاب وامثالهم بعد بعثة محمد ﷺ ونزول الوحي القرآني عليه، وما فعله بعض المستشرقين فيما بعد هو مجرد ترديد لتلك الشبهات وتطوير لها، وازافة بعض الجديد عليها، وإخراجه بطابع البحث العلمي وشكلية الدراسة الموضوعية، ولقد أشار القرآن الكريم الى مجموعة من هذه الشبهات في موارد مختلفة من آياته الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿أَنِّي لَمُذَكِّرٌ﴾ وقد جاءهم رسول مبين \* ثم تولوا عنه وقالوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا فِكَ افْتِرَاهِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً﴾ وقالوا اساطير الاولين اكتبها فهي تملئ عليه بكرة وأصيلاً<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿بَلْ

(١) لمزيد من التفصيل يمكن مراجعة ما يلي:

أ - الشيخ البلاغي، محمد جواد الهدى الى دين المصطفى، الجزأين الاول والثاني.

ب - السيد الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن.

ج - الشيخ معرفة، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن الجزء الرابع.

(٢) الدخان: ١٣ - ١٤.

(٣) الفرقان: ١ - ٥.

(٤) النحل: ١٠٣.

قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون<sup>(١)</sup>.  
وفي الرد على هذه الشبهات سوف نكتفي بمناقشة الشبهة الأساسية التي  
أشرنا إلى أنها مرجع كل تلك الشبهات، ونمهد لذلك ببيان معنى الوحي بشكل  
واضح ليتسنى لنا تحديد موضوع الشبهة بدقة أكثر.

ولتحدد معنى الوحي الالهي اصطلاحاً نجد أنه لا يخرج من جوهره عن  
المعنى اللغوي لكلمة الوحي، وهو الاعلام في خفاء<sup>(٢)</sup>. وهو أصل يدل على القاء  
علم في إخفاء أو غيره، وكل ما ألقينه الى غيرك حتى عِلِمَهُ فهو وحي كيف  
كان<sup>(٣)</sup>. فهو على ضوء ذلك مركب ينحل الى معرفة تُدرك، وإدراك عقلي لها،  
وواسطة تنقلها، ومصدر تصدر عنه. وفي ما نحن فيه من معنى الوحي الالهي الذي  
اختص به الله سبحانه أنبياءه ورسله من بني الانسان وكان القرآن الكريم أبرز  
مصاديقه، نجد أن شعور الانسان المدرك يختلف تجاه مصدر افكاره وواسطة  
ايصالها إليه، ويمكننا حصر أنحاء شعوره هذا في ثلاثة:

١ - شعوره بأن هذه المعرفة هي من بنات تفكيره الخاص، فهي نابعة من  
ذاته، وحصيلة جهده الفكري الخاص وتعقله الشخصي. وهذا ما يتعلق عادة  
بأفكارنا ومعارفنا العادية، ونحسه في حالات الادراك الاعتيادية. وهو يحصل  
لمطلق الانسان العاقل، غاية الأمر ان المؤمن بالله سبحانه وتعالى يعتقد بأن جميع  
افكاره تنتهي الى الله الخالق الواهب المدبر المهيمن على جميع عوالم الوجود، بما في  
ذلك قدرتنا على التفكير والادراك. فهو يعتقد بأن هذه الافكار والمعارف العادية  
هي ثمرة تلك القدرة العقلية التي وهبها الله له، وممكنه من تفعيلها في ذات نفسه

(١) الانبياء: ٥.

(٢) لسان العرب: مادة وحي.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٦: ٩٣.

فكانت واسطته في تحصيلها.

٢- أن يشعر الانسان بأن الفكرة أو المعرفة التي وعهاها بإدراكه العقلي جاءتته وخطرت إليه من خارج ذاته ونفسه ويشعر بوضوح كامل أنها القيت إليه من ذاتٍ عليا منفصلة عن ذاته تمام الانفصال، إلا أنه لا يحس احساساً واضحاً بالواسطة والطريقة التي تحققت فيها عملية الإلقاء والاختار في نفسه من تلك الذات العليا. وهذا النحو من الشعور والاحساس تجاه الفكرة أو المعرفة المدركة هو الذي يحصل فيما يسمّى عند المؤمنين بالله سبحانه بحالة الإلهام الإلهي.

٣- أن يفتن بالشعور الحسي تجاه الفكرة أو المعرفة المشار إليها في الفقرة الثانية أعلاه شعور حسي آخر بالواسطة والطريقة التي تقوم بعملية الإلقاء والاختار وتشكل همزة الوصل بين الذات العليا الملقية وذات الانسان المتلقي. ويكون هذا الشعور والاحساس واضحاً جلياً ووضوح احساسنا وإدراكنا للأشياء بحواسنا العادية. وهذا ما يسمّيه المؤمنون بالله سبحانه بالوحي الإلهي، وهذا الوحي يختص بالانبياء، وهو الذي حدث في وحي القرآن الكريم إلى نبينا محمد ﷺ.

وعليه فإن هناك ثلاث صور من الإدراك يمكن أن تحصل للانسان بشروط معينة يختلف أحدها عن الآخر، فالإدراك نتيجة الموهبة غيره في الإلهام وغيرهما في الوحي.

### شبهة المستشرقين حول الوحي:

لقد أصبح واضحاً لدينا، بعد معالجة أهم الشبهات التي أثيرت حول اعجاز القرآن، أن القرآن ليس ظاهرة بشرية وليس من ابداعات محمد ﷺ، بل أنه، ومن خلال جوانب اعجازه التي تحدّث بها كل البشر مرتبط بالغيب المطلق وهو

وحي من الله سبحانه وتعالى الى نبيّه.

وهنا تأتي شبهة المستشرقين ومن تأثر بهم حول مدى صدق الوحي الالهي بالقرآن الكريم الى محمد ﷺ فينكرون الوحي الالهي اليه، ويرجعونه الى نوع من الادراك الوهمي الذي جعل من محمد ﷺ يتخيل، بسبب صفاء نفسه وصدقته وامانته وتوقده الذهني، انه يوحى اليه من الله سبحانه. وهو في اعتقاد المستشرقين ليس إلا وحيّاً نفسياً يتفرد به من يملك تلك الصفات التي امتاز بها محمد ﷺ.

ولاحكام صورة هذه الشبهة يذهب المستشرقون الى تصوير العوامل التي أثرت في محمد ﷺ واذكت فطرته الزكية ودفعته للتفكير في انقاذ قومه من ذلك الواقع المرير والعقائد الفاسدة وتطهيرهم من الفواحش والمنكرات.

وكان ابلغ ما جاء به محررو دائرة المعارف الاسلامية في تأسيس هذه الشبهة قد استقي مما كتبه «أميل درمنغام» الذي فصل ما أجمله «موتشيه» في مقدمات عشرة، وخلاصة ذلك انهم استعرضوا ما كان عليه العرب من الشرك بالله وعبادة الاصنام والظلم الاجماعي والفقر الاقتصادي وارتكاب الفواحش والانغماس في الشهوات وأكل المال بالباطل وتفشي المفسد كسرب الخمر والزنى وغيرها من القبائح.

ثم يدعون أن محمداً ﷺ أدرك، كما ادرك افراد آخرون من قومه بقوة عقولهم الذاتية، هذا الواقع الفاسد، إلا ان تميزه عن الآخرين بشدة نقائه وصفائه الروحي والنفسي وتوقّد ذهنه وقوة عقله وطول تفكيره وتأمله وسعيه الحثيث من اجل انقاذ قومه مما هم فيه من الشرك والظلم وتزكيتهم من المفسد والشهوات وتطهيرهم من الفواحش والمنكرات هو الذي أوجد له مثل هذا الوحي النفسي.



ويذهب المستشرقون أكثر من ذلك في دسهم وتشويههم. فيدعون - كما أسلفنا بنماذج منه - أن محمداً قد استقى من اليهود والنصارى خلال لقاءاته بهم في أسفاره إلى الشام، أو ممن كان منهم في مكة الكثير من قصص الأنبياء والرسل، وخصوصاً أنبياء بني إسرائيل ورسولهم. ولاعتقاده بأن البدع قد طالت العديد من المعارف والمعلومات التي حصل عليها من هؤلاء اليهود والنصارى، واندساس الكثير من الانحرافات والأفكار الوثنية فيها كالقول بالوهمية المسيح وأمه، فقد رفض الكثير من تلك المعارف والمعلومات.

كما أنه عرف من تلك اللقاءات أن بعض الأنبياء ومنهم نبي الله عيسى عليه السلام قد بشروا ببعثة نبي مثلهم من عرب الحجاز، فخلقت هذه المعرفة في نفس محمد ﷺ أملاً كبيراً ورجاءً شديداً في أن يكون ذلك النبي الموعود، وأن بعثته قد حان أو أنها، فانقطع إلى مناجاة الله وعبادته، واختلج في غار حراء سعياً منه إلى تحقيق هذا الأمل الذي استقطب كل وجوده.

وباستمراره في خلواته العبادية هذه تأصل إيمانه وقوي يقينه وتبسمت نفسه، فتألق تفكيره واشتد نور بصيرته، فاستشرف بعقله الكبير آيات ودلائل وبيّنات ربه في السماوات والأرض.

واهتدى إلى وحدانية الله سبحانه في الخلق والتدبير، فتأهل بذلك لمهمة دعوة الناس وهدايتهم إلى الحق واليقين والنور الذي اهتدى إليه.

وامتزج تفكيره وتأمله بالمعاناة التي يعيشها في قومه والآمال التي نشأت في نفسه، فارتكز لديه اليقين بأنه هو النبي الموعود الذي بشر الأنبياء السابقون بأن الله سيبعثه هداية الناس.

وتجلت عقيدته هذه في الرؤى التي تكررت لديه في المنام وقويت إلى الدرجة التي تحولت إلى اعتقاد بأنه قد بُعث نبياً لهذه الأمة وإن ملكاً أخذ يتحشّ له

ويلقنه الوحي في اليقظة كما يوحي له في المنام.

أما مصدر المعلومات التي نسجها له هذا الوحي فهي مستفعاة في الأصل مما حصل عليه من اليهود والنصارى، وأعمل فيه عقله وتفكيره، فاهدى إلى التمييز بين ما يصح منها وما لا يصح، كل ذلك كان يتجلى له وكأنه وحي الله له وخطابه إليه يأتيه بواسطة «الناموس الاكبر» الذي نزل على موسى بن عمران وعيسى بن مريم وغيرهما من الانبياء عليهم السلام.

إن مراجعة نقدية لهذه الدعوى «نظرية الوحي النفسي» نجدها تنهافت في ادلتها وتنداعى قوائمها، ولا تصمد أمام المناقشة العلمية. ويمكننا الاجهاز عليها من جوانب ثلاثة:

الجانب الاول: الأدلة والوقائع التاريخية تناقض نظرية الوحي النفسي.

وخلاصة هذا الجانب يمكننا حصرها في مايلي:

أ- أن أغلب الأدلة التاريخية التي اتخذت مقدمات للقول بالوحي النفسي وأسست النظرية على أساسها ليس لها واقع في التاريخ الصحيح المنقول إلينا، إنما جاءت وفق منهج معكوس، حيث افترضوا رؤية مسبقة تقول إن الوحي القرآني ليس وحياً منفصلاً عن ذات محمد صلى الله عليه وسلم، ثم ساقوا حوادث وأخباراً نسجتها خيالاتهم الخصبية أو اختلقوها ذهنيات جهلهم المركب في تأويل بعض الوقائع التاريخية وتشويه حقيقتها بالدس والتحميل بما لا تتحمل لتكتمل لديهم حلقات وأجزاء الصورة المفترضة.

ومن أمثلة ذلك: ادعاؤهم أن خبر غلب الفرس وانتصارهم على الروم وإن الروم سيغلبون الفرس بعد ذلك الوارد في سورة مريم، قد سمعه محمد صلى الله عليه وسلم من نصارى الشام. وهذا مما تكذبه الوقائع التاريخية المنقولة إلينا، حيث إن غلبة الفرس على الروم كانت في سنة «٦١٠م»، أي بعد رحلة محمد الأخيرة إلى الشام

بأربع عشرة سنة وقيل بدء الوحي الإلهي بسنة، ثم ان التاريخ يحدثنا أن امبراطورية الروم آنذاك كانت متداعية الأركان خائرة القوى، فطبيعة الاشياء ومنطق الظواهر يحكي لنا عدم قدرتهم على الظهور والانتصار على الفرس، حتى ان أهل مكة عندما سمعوا ما قرأه عليهم الرسول ﷺ من الخبر في القرآن الكريم هزئوا به.

ومن الامثلة أيضاً افتراضهم أحاديث دينية معضلة وفلسفية معقدة فيما زعموه من لقاء الراهب بحيرى مع محمد ﷺ وهو بصحبة عمه أبي طالب، ولم ينقل لنا التاريخ مثل هذه الأحاديث، مما يؤكد لنا أنهم نسجوا واختلقوا ذلك لدعم رؤيتهم المسبقة في الوحي النفسي.

ويدعون أيضاً في مسألة احاطة الرسول ﷺ بأخبار عاد وثمود وتفاصيلها انه حصل عليها وعرفها عند مروره بأرض الأحقاف، على ان التاريخ لم يثبتنا أن النبي ﷺ كان قد مرّ بتلك الأرض، خصوصاً وأن هذه الارض لا تقع على الطريق المتعارف لمرو القوافل التجارية.

ب - لو كان زعمهم أن النبي محمد ﷺ قد تعلم من نصارى الشام ومن غيرهم صحيحاً لا حتجّ به المشركون وأعلنوه، ولما وقعوا في الحيرة والتردد من أمر الرسول ﷺ ودعوته، خصوصاً وأنهم كانوا يتتبعون أخباره ويرصدون تحركاته ومواقفه، ولم يتركوا شيئاً من سفراته ورحلاته وغيرها من شؤون حياته العامة إلا وأحاطوا بها، فكيف تفوتهم مثل هذه اللقاءات والعلاقات المهمة لو كانت واقعاً؟ رغم أنهم بذلوا الكثير في سبيل اختلاق التهم وإطلاق الأباطيل والاراجيف حول الرسول ﷺ ودعوته، كما في اتهامهم إياه انه تعلّم وتلقّى ما يدعيه وحياً من أشخاص تعرّف عليهم، كالحداد الرومي صانع السيوف في مكة. هذه التهمة التي نزل في ردّها وتكذيبها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا



يَعْلَمُهُ بَشَرُ لِسَانِ الَّذِي يَلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ مَبِينٍ (١).

ج - لم ينقل لنا التاريخ أي شاهد على أن الرسول محمداً ﷺ كان يأمل أن يكون النبي المنتظر و يترقب الوحي في أية لحظة... لينمو هذا الأمل - وفق زعمهم - ويتكامل في نفسه، ويشتد ترقبه للوحي ويستحكم ليخلق ذلك الواقع النفسي المفترض. ونحن نعلم أن كتب السيرة النبوية الشريفة قد نقلت لنا أدق الأحداث والوقائع واستقصت تفاصيل الحياة الشخصية للرسول ﷺ، ولم تشر لنا من قريب أو بعيد إلى مثل هذا الزعم.

د - أن من مفروضات هذه النظرية أن النبي ﷺ تدرّج في تكامله العقلي والنفسي ضمن مراحل طويلة مليئة بالمعاناة من واقع قومه الفاسد والتفكير المتواصل بعقائدهم الباطلة في الشرك بالله وعبادة الأصنام والتأمل في طريقة انقاذهم من ذلك ومن الظلم الاجتماعي الذي رزحوا فيه، وأنه لم يعلن نبوته إلا في مرحلة عليا من هذا التكامل وتلك المعاناة وذلك التفكير.. فهو اذن في أعلى درجات الفهم والادراك لما يجب أن يطرحه من مفاهيم وأفكار ومناهج عن الكون وجميع جوانب الحياة والانسان، وهذا يعني أن أطروحة دعوته في خطواتها الاولى ولحظاتها الاولى يجب أن تشمل على تلك المفاهيم والافكار والمناهج.. في حين أن التاريخ يؤكد لنا خلاف ذلك. فالبداية تخللها اضطراب وخوف ثم جاءه الوحي بآيات التوحيد متدرجاً في بيان ادلته واستئصال جذور الشرك وتسخيف عبادة الاوثان والرد على اباطيل المنحرفين والضالين من أهل الأديان السابقة، مذكراً بالعبر وضارباً الامثال بسنن الله في الماضين من الانبياء والرسول. ثم انقطع الوحي ثلاث سنين لم يحدثنا التاريخ ان الرسول ادعى شيئاً



جديداً من الوحي فيها، ليعود بعد ذلك الانقطاع فيوحي للنبي الكريم آيات ربه الأخرى.. ومن الواضح أن هذا يناقض القول بتكامل مفاهيم النبي ﷺ وأفكاره واستعداده العقلي والنفسي لطرحها في أولى مراحل إعلان نبوته.

الجانب الثاني: نظرية الوحي النفسي تناقض محتوى الوحي القرآني:

وفي هذا الجانب يقف الناقد الموضوعي إزاء نظرية الوحي النفسي موقف التشكيك بل الرد والرفض، لأنه لا يستطيع التوفيق إطلاقاً بين ما تفترضه هذه النظرية من مصادر في طبيعتها ومحدوديتها وبين السعة والشمولية التي اتسم بها المحتوى الداخلي للوحي القرآني.

ويمكننا توضيح ذلك من خلال ملاحظة الأمور التالية:

أ - إن موقف الوحي القرآني من الأديان السماوية السابقة وخصوصاً الديانتين اليهودية والمسيحية له صورتان: الصورة الأولى، هي التصديق بأصل هاتين الديانتين والاقرار بأن الله تعالى قد بعث رسلاً بهما مبشرين ومنذرين. والصورة الثانية، هي اتخاذ موقع المهيمن عليهما جملةً وتفصيلاً فهو حاكم على تشريعاتهما نسخاً وإمضاءً، ورقباً على ما طرأ عليهما من انحرافات ومادُس فيها من ضلالات ليظهر الحق ويدحض الباطل. وذلك في قوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه...﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل \*... من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله أيضاً: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به...﴾ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) النساء: ٤٤ - ٤٦.

ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به ﴿١١﴾.

واتصفت هذه الرقابة بالشمولية والدقة التامة، فقد استوعبت كل المفاهيم والأحكام والوقائع التاريخية، وجعلت للصحيح منها مقياساً أظهرت فيه الحق وردت الباطل. وهو مفاد قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ﴿١٢﴾.

فمع هذه الرقابة الشاملة والدقيقة والتصريح القاطع بكل يقين ورسوخ بجهل أهل الكتاب ونسيانهم وتحريفهم الكلم وتبديله، كيف يمكننا القول بدعوى أخذ محمد ﷺ عن أهل الكتاب؟ وبماذا نفسر هذا التتبع الدقيق والشامل لتفاصيل ما اختلفوا فيه أو خالفوا ما نزل عليهم من الدين الصحيح، والبيان المحكم لما هو الحق والصواب منه بلا تناقض ولا تخلف ولا اختلاف فيه؟ وليس للمنطق جواب إلا التصديق بأن كل ذلك قد تلقاه الرسول ﷺ وحياً إلهياً مصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيماً عليه.

ب - لو كان ما يزعمون من الوحي النفسي صحيحاً وأن مصادره التي استقى منها الرسول ﷺ هما التوراة والانجيل، لكان الاولى أن يُجمل في كثير من الموارد أو يغض الطرف عنها أو عن بعضها، لئلا يقع مثل هذا التعارض والاصطدام بهما، إلا أننا نجد العكس من ذلك، فقد جاء محتوى الوحي القرآني بلسان التأكيد والاصرار على بيان الحقائق بكل قوة، وإظهار مخالفته للتوراة والانجيل في بعض الوقائع التاريخية بكل وضوح ودون أي تردد أو إجمال. ومن

(١) المائدة: ١٣ - ١٤.

(٢) المائدة: ١٥ - ١٦.

نماذج ذلك ما في قصة موسى حيث يخالف القرآن الكريم ما جاء في سفر الخروج من أن التي كفلت موسى هي ابنة فرعون، في حين يؤكد القرآن أنها كانت امرأته في قوله تعالى: ﴿وقالت امرأة فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون﴾<sup>(١)</sup>، وفي نموذج آخر نجد التوراة تذكر غرق فرعون بإجمال وإيهام، في حين نجد القرآن الكريم يشير إلى غرق فرعون وكيفيته بشكل دقيق وواضح، بما في ذلك بيان مسألة نجاة بدن فرعون من الغرق رغم موته وهلاكه، وكذلك بيان الحكمة من ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿فاليوم ننجيك بيدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾<sup>(٢)</sup>.

ومثال آخر هو عزو التوراة صنع العجل الذي عبده بنو إسرائيل إلى هارون عليه السلام في حين يصرح القرآن خلاف ذلك ويعزوه إلى السامري ويثبت إنكار هارون عليه السلام عليهم في ذلك، ونفس الأمر يرد في قصة ولادة مريم للمسيح عليه السلام، وغيرها من القضايا.

وعليه فلا نتصور في محمد ﷺ الذي يعترفون بحقه أنه الصادق الأمين الفطن أن يأتي بمثل هذه التفاصيل ويعارض بها التوراة والإنجيل دون أن يكون ذلك قد تلقاه من لدن العليم الخبير عن طريق وحيه الأمين، ويتحمل الكثير من أذى أهل الكتاب في الثبات عليها وعدم مخالفتها.

ج - إن استيعاب الوحي القرآني في جانب كبير من محتواه الداخلي لتفاصيل الشريعة الإسلامي بكل دقة وعمق، وبشمولية وسعة كافة مجالات الحياة المختلفة وجوانب الإنسان ووجوده، لا نجد فيها بينها إلا الانسجام التام والتناسق الفريد، ليس إلا برهاناً ساطعاً على تلقيه كل ذلك عن طريق الوحي

(١) القصص: ٩.

(٢) يونس: ٩٢.



الالهى، ولا يمكننا ان نتصور معه ان انساناً كمحمد ﷺ وهو الأمي الذي كان يعيش ذلك العصر المظلم بالجهل والخرافات، والذي قضى أغلب أدوار حياته الرسالية في خوض صراع اجتماعي مرير، ان يقع له ما يزعمونه من الوحي النفسي، ويحقق عن طريقه ذلك الكمال الإعجازي في مسائل التشريع الاسلامي.

الجانب الثالث: سلوك النبي تجاه الوحي القرآني يأتى نظرية الوحي النفسي:

قبل ان ندخل في تفاصيل طبيعة سلوك النبي محمد ﷺ تجاه الوحي القرآني الذي يكشف عن ادراكه الواضح للانقسام التام بين ذاته الملقية والذات الالهية الملقية من عليائها بواسطة الوحي، نشير باختصار الى أنحاء هذا الوحي الرسالي الذي تلقاه النبي ﷺ والذي يثبت حقيقة وادراكه الكامل له، وهي في قوله تعالى: ﴿وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً﴾ أي إلهاماً وإلقاءً في روعه يدركه الموحى إليه ويحسّه وكأنما قد كتب في صفحة ضميره بوضوح وجللاء، أو رؤيا في منام، وهذا هو النحو الأول للوحي الرسالي، والنحو الآخر في قوله تعالى: ﴿أو من وراء حجاب﴾ أي يكلمه تكليماً يسمع صوته وهو محتجب عنه لعلوه تعالى شأنه وكماله وتدني الموحى إليه ونقصه، وذلك بخلق الصوت المتضمن للكلام في الفضاء المحيط بالمخاطب فيخرق مسامعه، ويأتيه من كل مكان حوله، كما كلم موسى ﷺ وكلم نبينا محمد ﷺ ليلة المعراج.

أما النحو الثالث فهو في قوله تعالى: ﴿أو يرسل رسلاً﴾ أي ملكاً من الملائكة يتمثل على شكل رجل ﴿فيوحى بأذنه ما يشاء إنه على حكيم﴾ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه



نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي الى صراطٍ مستقيم» (١)  
وقد بين الرسول ﷺ ذلك للمسلمين تكراراً وفي مناسبات عديدة، منها قوله ﷺ اشارة الى الوحي القرآني: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فينقسم عني وقد وعيت ما قال. وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول» (٢).

أما طبيعة سلوك النبي محمد ﷺ الذي يأبى مقولة وحيه النفسي، ويعكس وعيه الكامل وإدراكه التام بالانفصال في الوحي القرآني بين الذات العليا الملقية للخطاب وذاته الخاضعة المتلقية، فله حالات عديدة تشير الى ثلاث صور منها هي:

الصورة الاولى: وهي التي يتمثل سلوك النبي محمد ﷺ فيها تجاه الوحي القرآني كعبدٍ ضعيف مفتقر الى الله تعالى، يتخضع بين يدي ربه، ويبتهل إليه، ويخشى أن يحول بينه وبين قلبه، فيستمد منه العون والهداية، ويطلب منه المغفرة والرحمة، ويتمثل أوامره ونواهيه ويصدق بها، ويتلقى منه بكل خشوع مختلف درجات العتاب وأنواعه.

ولقد طفحت آيات قرآنية عديدة بوصف النبي الكريم ﷺ انه ذلك العبد المطيع الذي لا يملك لنفسه نقعاً ولا ضرراً إلا بإذن ربه، يخافه إن هو عصاه، ويرجو رحمته، ولا يخرج عن حدوده التي رسمها له، فهو لله وهو إليه يرجع، ولا حول ولا قوة له إلا به سبحانه، فهو مقرٌّ بالعجز المطلق امام أمر الله وإرادته، وليس بقادر على أن يبدل حرفاً واحداً من القرآن الكريم.

ومن أمثلة تلك الآيات الكريمة قوله تعالى: ﴿واذا تتلى عليه آياتنا يات

(١) الشورى: ٥١ - ٥٢.

(٢) بحار الأنوار ١٨: ٢٦٠. وصحيح البخاري ١: ٣٠. والطبقات ١: ١٣٢.

قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم \* قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون ﴿١﴾.

وقوله تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء﴾ ﴿٢﴾.

ثم تؤكد وتكرر آيات قرآنية أخرى الفارق بين صفات الذات الإلهية الملقية وصفات الذات الحمديدية المتلقية من أنه بشر مثل سائر البشر، ليس عليه إلا البلاغ، ولا يملك خزائن الله ولا يعلم الغيب، ولا يزعم أنه ملك، بل هو مخلوق يتبع ما يوحى إليه من ربه.

ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ إنما إلهكم إله واحد﴾ ﴿٣﴾.

وقوله تعالى: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إليّ﴾ ﴿٤﴾.

ومن المعاني اللطيفة في البلاغة القرآنية هو مدلول عبارة «قل» التي تؤكد على معنى المغايرة بين الملقى والمتلقى، وأن الخطاب الإلهي كان يُلقى على الرسول إلقاءً، وأنه كان يُعلم ما ينبغي له أن يقوله، تصديقاً لامتنال ما يوحى إليه وعدم نطقه عن هواه، لهذا نجد أن عبارة «قل» قد تكررت في القرآن الكريم أكثر من

(١) يونس: ١٥ - ١٦.

(٢) الأعراف: ١٨٨.

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) الأنعام: ٥٠.

ثلاثمائة مرة ليدرك مَنْ يقرأ القرآن أن محمداً ﷺ مخاطب يلقي إليه الخطاب إلقاءً، وليس متكلماً ينطق به عن هواه وما يجول في نفسه.

كما نجد أن الفرق يتجلى أكثر ويزداد وضوحاً بين ذات الله وصفاته كونه المتكلم والمنزل للوحي وبين ذات نبيه وصفاته كونه المخاطب والمتلقي للوحي، وذلك في آيات العتاب الإلهي لرسوله وإنذاره وتهديده، وتختلف درجات هذا العتاب والإنذار، فمنه ما يكون خفيفاً مشوباً بالعفو والغفران على تفويته الأولى كما في قوله تعالى لرسوله في شأن من أذن لهم بالعفو عن القتال في غزوة تبوك: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾<sup>(١)</sup> وكذلك قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً \* ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً﴾<sup>(٢)</sup>.

ومنه الشديد الذي يكون بلسان التوجيه لرسوله مقترناً بالإنذار والتهديد وبمستويات تختلف في الشدة، فمن درجاته الأولية قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾<sup>(٣)</sup>، ويشدد أكثر في قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحى إليك لتفtri علينا غيره وإذا لا تأخذوك خليلاً \* ولو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً \* إذا لا أذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً﴾<sup>(٤)</sup>، ويبلغ الإنذار أعلى درجاته لتضاءل أمامه كل صور التهديد والوعيد الأخرى، وذلك في قوله تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل \*

(١) التوبة: ٤٣.

(٢) الفتح: ١ - ٢.

(٣) المائدة: ٦٧.

(٤) الإسراء: ٧٣ - ٧٥.

لأخذنا منه باليمين \* ثم لقطعنا منه الوتين \* فما منكم من أحد عنه حاجزين \*<sup>(١)</sup>  
وهكذا نجد أن آيات التأديب والعقاب وآيات الوعيد والانذار تكشف لنا  
أن الرسول ﷺ كان يتمثل صفة المخلوق الضعيف الخاضع لربه الخالق القادر  
القاهر ذي القوة المتين، الذي لا معقب لحكمه وإرادته، وفي نفس الوقت تكشف لنا  
الآيات الكريمة عن كامل وعي الرسول ﷺ وإدراكه للفرق بين ذاته المأمورة  
وذاة الله الأمرة، والذي يجعله مستحضراً بوضوح الفرق بين الوحي القرآني  
الذي ينزل عليه وبين الإلهام الإلهي في حديثه النبوي الخاص.

وهذا هو الذي جعله ﷺ ينهي في أول عهد نزول الوحي القرآني عن  
تدوين شيء عنه سوى القرآن الكريم، حفظاً لصفته الربانية الخالصة من أن تختلط  
بشيء غيره، لهذا كان يدعو كتاب الوحي فور نزول شيء من القرآن الكريم  
لندوينه حتى لو كان آية أو بعض آية.

الصورة الثانية: وهي التي تبدي لنا موقف النبي ﷺ تجاه الوحي القرآني  
وهو مستسلم لأمر الله فيه لا يملك أي اختيار وإرادة في نزوله عليه أو انقطاعه  
عنه، فهو يدرك تماماً أن التنزيل القرآني منسلخ عن الطبيعة البشرية وإرادتها  
انسلاخاً تاماً. فتارة يتتابع الوحي القرآني ويحمي حتى يشعر أنه يكثُر عليه،  
وتارة يبدوون سابق انذار يفتر عنه وهو في أشد الحاجة إليه.

ومما يؤكد ذلك أيضاً هو أن الوحي القرآني ينزل على رسول الله ﷺ في  
أحوال مختلفة، منها: ما يكون في منامه، فما يكاد يغفو اغفاءة حتى ينهض ويرفع  
رأسه مبتسماً وقد أوحيت إليه سورة الكوثر. ومنها ما يكون وهو وادع في بيته وقد  
بقي من الليل ثلثه، فتنزل عليه آية التوبة في الثلاثة الذين خافوا، وهي قوله تعالى:



﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾<sup>(١)</sup>.

وهكذا نجد أن الوحي القرآني ينزل على قلب النبي ﷺ في ليل دامس أو ضحى النهار، وفي البرد القارس أو حر الهجير، وفي استجمام الحضر أو وعشاء السفر، وفي هدأة السوق أو وطيس الحرب... وهو تعبير واضح عن تمام الانسلاخ وفقدان اختيار النبي ﷺ في نزول الوحي أو انقطاعه.

ونجد أن ذلك يتجسد أكثر في انقطاع الوحي القرآني تماماً عن النبي ﷺ في الوقت الذي كان في أشد الشوق والطلب له، بعد أن نزل عليه الروح الأمين بأوائل سورة العلق: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ ثم فتر ثلاث سنوات فحزن فيها النبي ﷺ، بعدها حمي الوحي وتوالى عليه فاستبشر النبي به وغمرته فرحة الوصال.

ويتجسد ذلك أيضاً حين أبطأ الوحي بعد حديث الافك الذي رمى به المنافقون زوج النبي ﷺ، وشهروا به امعاناً في فضحها حتى عصف هذا الأمر بقلب الرسول ﷺ، وثقل عليه عدم نزول الوحي. وقد تصرمت على الحادثة مدة من الزمن كانت عليه أثقل من سنين متتالية بعد أن خاض المنافقون في زوجه خوفاً باطلاً.

فما بال النبي ﷺ لا يستنجد بالوحي النفسي المزعوم أو يسرع إلى استئزال الأمر الإلهي على طريقة الرهبان وأهل التعاويذ والاسجاع فيبرئ زوجه من قذف المنافقين؟

كما نجد أن النبي ﷺ قد حز في نفسه غمر اليهود له، فظل يقلب وجهه في

السماء ستة عشر شهراً أو أكثر تحرقاً وشوقاً إلى تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة المشرفة، يترقب الوحي علّه ينزل عليه بهذا التحويل، فلم لم يعالج النبي ﷺ هذا الأمر بالوحي النفسي المزعوم أو باستنزال عاجل للوحي يزيل عنه همه ويحقق له ما يتمناه؟ إلا أنه ظل خاضعاً مترقباً قرابة العام ونصف العام حتى نزل عليه الوحي بالآية القرآنية الكريمة: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾<sup>(١)</sup>.

مما سبق نعلم أن النبي ﷺ كان على يقين تام أنه لا يملك حولاً ولا قوة أمام الوحي القرآني، فهو مستقل عن ذاته وقلبه، فقد يستعصي عليه رغم شوقه وحاجته إليه، وقد يحمي ويتتابع حتى ليكثر عليه، ففؤاده مطمئن، وضميره واع، وقلبه منطوي على اعتقاد راسخ بأن منشأ هذا الوحي ومصدره هو الله علام الغيوب.

الصورة الثالثة: وفيها يظهر النبي ﷺ حرصه الشديد على القرآن الكريم وخشيته من نسيان بعض آيات التنزيل القرآني وضياعتها، فيعتمد إلى التعجيل في قراءة القرآن قبل أن يقضى إليه وحيه، فيجتهد في ترديده ويبدل من نفسه وفكره الجهد الكبير لئلا يفوته شيء منه. إلا أن الله تعالى ينهاه عن ذلك في قوله تعالى: ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علماً﴾<sup>(٢)</sup>. ويرشده الله إلى عدم حاجته إلى تمرين ذاكرته لحفظ آيات القرآن النازلة، ويؤكد له أن عليه سبحانه جمعه وقرآنه، وذلك في قوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾<sup>(٣)</sup> إن علينا جمعه وقرآنه \* فاذا قرآنه فاتبع قرآنه \* ثم إن علينا بيانه<sup>(٣)</sup>.

(١) البقرة: ١٤٤.

(٢) طه: ١١٤.

(٣) القيامة: ١٦-١٩.

ويضمن له عدم نسيانه في قوله تعالى: ﴿سَنَقَرُّكَ فَلَا تَنْسَى﴾<sup>(١)</sup>.

كل ذلك يؤكد لنا أن الارادة والاختيار النبوي ليس دخيلاً بأي شك من الاشكال في الوحي القرآني لا في مضمونه ولا في طريقة وزمان ومكان نزوله، وحتى في حفظه وجمعه وقرآنه وبيانه. أو لا يشكل ذلك نقضاً تاماً لمقوله الوحي النفسي، ودليلاً حاسماً وبرهاناً ساطعاً على ثبوت الوحي الالهي للنبي محمد ﷺ، وأنه كان يعي تمام الوعي الفرق الكامل بين ذاته الخاضعة لأمر الله في تنزيله القرآني وبين ذات الله القاهرة بأمرها وتنزيلها، وهو لا يملك إزاء ذلك من أمر نفسه شيئاً؟<sup>(٢)</sup>.

وبضم هذه الصور الثلاث بلحاظاتها المختلفة إلى الجانبين الأولين لا نجد لنظرية الوحي النفسي أي أساس تقوم عليه، بل ونحكم بطلانها وبطلان ما هو في سياقها من شبهات حول الوحي الالهي للنبي محمد ﷺ، وتثبت حقيقته ثبوتاً قطعياً لا مجال للتردد فيه.

(١) الأعلى: ٦.

(٢) لمزيد من التفصيل في مسألة الوحي ومناقشة الشبهات الواردة حولها راجع: رضا، محمد رشيد - الوحي المحمدي، والدكتور الصالح، صبحي - مباحث علوم القرآن، والحكيم، محمد باقر - علوم القرآن ومعرفة، محمد هادي - التمهيد في علوم القرآن ج ١.

الْمَخَاتِمَةُ





في خاتمة الكتاب لابد لنا من بيان بعض المسائل التي يفترض أخذها بنظر الاعتبار عند تقويم هذه الدراسة أو عند السعي لتطويرها إلى المستوى الذي تستوعب فيه كل قضايا ومطالب موضوعاتها الجزئية التي طويناها بسبب الاختصار الذي قصدناه فيها فنقول:

أولاً: إن الدراسات التي تناولت الاستشراق باعتباره حركة ذات أهداف خاصة، ومحتوى له نتائج وثمار، سواء في عالم الفكر بأفاقه المختلفة أو في عالم الواقع بإبعاده الاجتماعية والسياسية، لا تتمتع بالشمول الذي يستوعب تلك الحركة وذلك المحتوى، ولم تنظر إليه باعتباره وحدة مترابطة تمكّن الناظر المقوم له من إعطاء الحكم المحيط والدقيق عليه.

ف نجد أن بعضها انحصر موضوعه بنشأة وجذور تكون الاستشراق، وجاء البعض الآخر محدوداً بالقرب والمعاصر منه، وتناول الآخر جانباً جزئياً من محتوى نتاجه وثمراته، وهكذا.

إن هذا التفكيك في دراسة الاستشراق والتناول التجزئي له سيفقدنا القدرة على الوصول إلى العمق المطلوب والاحاطة الشاملة بأهدافه ونتائج الواقعية، واكتشاف المرامي الخفية له.

ونحن هنا لا نبخس قيمة الدراسات التي انجزت في هذا الموضوع الشائك والحساس، بل نؤكد أنها كانت ذات قيمة علمية عالية في مواردها المحدودة والجزئية.

ثانياً: افترقت أغلب الدراسات التي تناولت الاستشراق إلى التخصيص الكامل للأهداف والمرامي الخفية له ضمن مجمل أهدافه المعلنة وقصرت ذلك على جانب ارتباطه بالتبشير والحركة الصليبية. وهذا وإن كان صحيحاً في بعض مراحله، إلا أن تحولات أساسية طرأت عليه قرنت حركته ومحتواه وأهدافه بحركة ومحتوى وأهداف الاستعمار الحديث ذي البعد العلماني بالشكل الذي تمخض عنه ما يمكن أن نسميه بنظريات الاستشراق الاستعماري.

وهذا هو الذي يكشف لنا عن أهم أسرار نجاح الاستعمار الحديث في تحقيق أهدافه الخبيثة في الهيمنة على الشرق الإسلامي خصوصاً في الجانب الثقافي والتربوي والنجاح في تحقيق ما يسمى بقبالية الاستعمار أو الاستعمار المنهجي.

ثالثاً: لقد قام مجموعة من المفكرين والعلماء الإسلاميين بتتبع الانتاج الموسوعي للمستشرقين وتقصي موارد الدس والتشويه في موادها، أو اصطناع الشبهات حول أمهات المسائل الإسلامية فيها، إلا أنه جاء ناقصاً من جهتين:

الجهة الأولى: عدم استيعابهم لكافة موارد الدس والتشويه أو إثارة الشبهات، الأمر الذي يقتضي تصدي أهل العلم والفكر من الإسلاميين لاقام ما بدأه الرواد الأوائل في هذا المجال.

الجهة الثانية: جاء العديد من المعالجات العلمية لموارد الدس والتشويه الاستشراقي، وكذلك الردود على شبهاتهم المختلفة سطحيّاً ونقضياً في الغالب مفقداً إلى الرد الحكي التام والعمق المناسب. وهذا أيضاً جدير بأن يكون مورد اهتمام خاص لسدّ النقص فيه واشباعه موضوعياً وفق النهج العلمي المطلوب.

رابعاً: إن العديد من معالجات الدس والتشويه الاستشراقي في الإسلام، وردود الشبهات الماثرة من قبلهم حوله كانت وفق نظرة مذهبية خاصة، كما هو الأمر في معالجات وردود مواد دائرة المعارف الإسلامية مثلاً، وبذلك افتقرت في

منهجها ومضامينها العلمية إلى رؤية ونظرية مدرسة أهل البيت عليه السلام، خصوصاً إذا عرفنا أن بعض معالجات الدس والتشويه وردود الشبهات تلك لا يستقيم عقائدياً وعلمياً ومنطقياً إلا على أساس رؤية ونظرية مدرسة أهل البيت عليه السلام. وهذا بعد ذاته يشكل مبرراً مبدئياً لإعادة النظر في تلك المعالجات والردود وبنائها من جديد.

ونهي خاتمتنا هذه بتجديد الدعوة لإعادة دراسة الاستشراق بنظرة شمولية مترابطة، والتركيز على تقويم محتوى الانتاج الموسوعي له، وتدعيم الرؤية العلمية والمنطقية لمعالجات دس وتشويه المستشرقين في الاسلام وردود الشبهات التي اثاروها حوله برؤى ونظريات مدرسة أهل بيت النبوة والعصمة عليه السلام، تلك المدرسة الاسلامية الرائدة التي أسسها رسول الله صلى الله عليه وآله وتعاهد بها أئمة أهل البيت عليهم السلام من بعده لتحفظ للاسلام اصوله ومعالمه وتبين احكامه وفروعه، بعيداً عن أهواء الجهل واغراض السلاطين، ليبقى الاسلام كما جاء به الرسول الامين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، أصيلاً لا ينحرف وكاملاً لا ينثلم.

وأهل البيت عليهم السلام ادرى بما فيه، وهم الذين قرنهم رسول الله صلى الله عليه وآله بكتاب الله العزيز وقال فيهم: «إني تارك فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا: كتاب الله عز وجل وأهل بيتي عترتي، أيها الناس اسمعوا وقد بلغت، إنكم ستردون عليّ الحوض فأسألكم عما فعلتم في الثقلين، والثقلان: كتاب الله جل ذكره وأهل بيتي، فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم»<sup>(١)</sup>.

وقال عليه السلام فيهم ايضاً: «ألا إن أهل بيتي امانٌ لكم فاحبّوهم بحبي وتمسكوا

(١) الاصول من الكافي (كتاب الحجة) ١: ٢٩٤، وناسخ المودة: ٣٤ باختلاف في بعض الالفاظ وإضافة «ولا تخلقوا عنهم».



بهم لن تضلوا»<sup>(١)</sup>. وقال امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فيهم: «انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمعهم واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى»<sup>(٢)</sup>. وقال فيهم الامام الباقر عليه السلام: «شرقاً وغرباً لن تجدوا علماً صحيحاً إلا شياً يخرج من عندنا أهل البيت»<sup>(٣)</sup>. وقال الامام الصادق عليه السلام: «انظروا علمكم هذا عمن تاخذونه فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدو لا يتفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»<sup>(٤)</sup>. وقال عليه السلام فيهم أيضاً: «يا يونس إذا أردت العلم الصحيح فخذ عن أهل البيت، فإننا رويناها واوتينا شرح الحكمة وفصل الخطاب»<sup>(٥)</sup>.

وهذه الروايات هي غيض من فيض ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمة أهل بيته عليهم السلام، وكلها تحكي المصداق الحق لقوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾<sup>(٦)</sup> صدق الله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين.

(١) بحار الأنوار ٣٦: ٣٤٢.

(٢) نهج البلاغة: ج ٩٧.

(٣) بحار الأنوار ٢: ٩٢.

(٤) بحار الأنوار ٢: ٩٢.

(٥) بحار الأنوار ٣٦: ١٥٨.

(٦) النحل: ٤٣.

# الفهرست الاجمالی

- فهرست الامام الشریف
- فهرست الاحادیث الشریفة
- فهرست مصادر الکتاب
- فهرست المصنفین



## فهرس الآيات الشريفة

الآية	الرقم	الصفحة
سورة البقرة		
﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾	٧٥	١٤ و ٢٤٠
﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ...﴾	٨٩	١٥ و ١٨
﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾	١٤٦	١٥
﴿أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ...﴾	١٠٠	١٥
﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ...﴾	٨٨	١٦
﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ...﴾	٤٤	١٦
﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ...﴾	١٠١	١٧
﴿وَدَكْثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ﴾	١٠٩	١٧
﴿مَا يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ...﴾	١٠٥	١٨
﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى...﴾	١٣٥	١٨ و ٢٧
﴿وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ...﴾	٨٠	٢٢
﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي...﴾	٤٠	٢٤
﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ...﴾	٧٧-٧٥	٢٥ و ٣٢٥
﴿وَلَنْ أَتِيَتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ...﴾	١٤٥	٢٥
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ...﴾	١٧٤	٢٥
﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ...﴾	٧٩	٢٥



الآية	الرقم	الصفحة
﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى...﴾	١٢٠	٢٧
﴿يسألونك عن الخمر والميسر...﴾	٢١٩	٢٤٥
﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها...﴾	١٠٦	٢٥١
﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا...﴾	٨٦	٢٦٥
﴿شهر رمضان الذين أنزل فيه القرآن...﴾	١٨٥	٢٨٩ و ٢٩٠
﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت...﴾	١٢٧	٢٩٠
﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً...﴾	١٢٥	٢٩٠
﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء...﴾	١٤٤	٢٩٨ و ٢٤٣
﴿ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾	١٤٢	٢٩٨
﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾	٢٣٨	٣٠١

#### آل عمران

﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل﴾	٧١	١٤
﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب...﴾	١٨٧	١٤ و ١٦ و ٢٤٠
﴿ودّت طائفة من أهل الكتاب...﴾	٦٩	١٦
﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا...﴾	٧٢	١٧
﴿وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب...﴾	٧٨	١٧
﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه﴾	٧٥	١٩
﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة﴾	٦٤	٢١
﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب...﴾	٢٣	٢١
﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم﴾	٦٦	٢١
﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله...﴾	٧٠	٢٢

الآية	الرقم	الصفحة
﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا...﴾	١٨٣	٢٣
﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله...﴾	١٩٩	٢٣
﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا...﴾	١٠٠	٢٥
﴿إن الدين عند الله الإسلام...﴾	١٩	٢٥
﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا...﴾	١٨١	٢٦
﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً...﴾	٦٧	١٨٢ و ٢٤١
﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم...﴾	٦٥-٦٦	٢٤١
﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة...﴾	٩٦-٩٧	٢٩١

#### النساء

﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه...﴾	٤٦	١٤ و ١٩ و ٢٤٠
﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب...﴾	٥١	١٨
﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات...﴾	١٦٠	٢٠
﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون...﴾	١٦٢	٢٣
﴿ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء...﴾	٢٢	١٧٤
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى...﴾	٤٣	٢٤٥
﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترّون...﴾	٤٤-٤٦	٣٣٤

#### المائدة

﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر...﴾	٤١	١٦
﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه...﴾	١٨	١٩
﴿وترى كثيراً منهم يسارعون في الأثم والعدوان...﴾	٦٢	٢٠

الآية	الرقم	الصفحة
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقْمُونَ مِنَّا...﴾	٥٩	٢٠
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ...﴾	١٥	٢٠
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ...﴾	١٩	٢١
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ...﴾	٦٨	٢١
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ...﴾	٦٤	٢٢
﴿وَإِذَا جَاءَكُمْ فَالُوا آمَنُوا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ...﴾	٦١	٢٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ...﴾	٥١	٢٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا...﴾	٥٧	٢٤
﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ...﴾	٨١	٢٤
﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مَنكَرٍ فَعَلُوهُ...﴾	٧٩	١٥٩
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ...﴾	٨٢	٢٣٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ...﴾	٩٠	٢٤٥
﴿فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ...﴾	١٣	٣٢٥
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا...﴾	٤٨	٣٣٤
﴿فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ...﴾	١٣-١٤	٣٣٤
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ...﴾	١٥-١٦	٣٣٥
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...﴾	٦٧	٣٤٠

#### الانعام

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ...﴾	٢٠	١٥
﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ...﴾	١١٤	٣١
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا...﴾	٩١	٢٢

الآية	الرقم	الصفحة
﴿سبحانه و تعالى عما يصفون﴾	١٠٠	٢٥٧
﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن...﴾	٥٠	٣٣٩

### الاعراف

﴿والإلى ثود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله...﴾	٧٣	٢٤٩
﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾	١٧٥	٢٩٢
﴿قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا...﴾	١٨٨	٣٣٩

### الانفال

﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة...﴾	٥٦	١٥
﴿وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاءً وتصديّة﴾	٣٥	٢٩١

### التوبة

﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان...﴾	٣٤	٢٠
﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين...﴾	٤	٢٤
﴿إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام...﴾	٧	٢٤
﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر...﴾	٢٩	٢٦
﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق...﴾	٣٣	٢٤١
﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم...﴾	٤٣	٣٤٠
﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت...﴾	١١٨	٣٤٢



الآية	الرقم	الصفحة
<b>يونس</b>		
﴿فاليوم ننجيك بيدنك لتكون لمن خلقت آية...﴾	٩٢	٣٣٦
﴿وإذا تتلى عليه آياتنا بينات...﴾	١٥-١٦	٣٣٨
<b>هود</b>		
﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾	٧١	٢٤٣ و ٢٤٧
﴿والى ثود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله...﴾	٦١	٢٤٩
﴿والى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله...﴾	٥٠	٢٤٩
﴿تلك من أنباء الغيب نوحىها اليك...﴾	٤٩	٢٩٣
﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل...﴾	١١٤	٣٠٠ و ٣٠١
<b>يوسف</b>		
﴿والله غالب على أمره...﴾	٢١	٨
﴿... ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب...﴾	٦	٢٤٨
<b>الرعد</b>		
﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت...﴾	٣٩	٢٥١
<b>ابراهيم</b>		
﴿الحمد لله الذي وهب لي الكبير اسماعيل...﴾	٣٩	٢٤٨

الآية	الرقم	الصفحة
<b>التحل</b>		
﴿ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرًا...﴾	٦٧	٢٤٥
﴿والله جعل لكم من انفسكم ازواجاً...﴾	٧٢	٢٤٧
﴿واذا يدّ لنا آيةً مكان آية...﴾	١٠١	٢٥١
﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يُعلّمه...﴾	١٠٣	٢٩٣ و ٣٢٦ و ٣٣٢
﴿فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾	٤٣	٣٥٠

#### الاسراء

﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل...﴾	٧٨	٣٠٠
﴿وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك...﴾	٧٣ - ٧٥	٣٤٠

#### الكهف

﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى...﴾	١١٠	٣٣٩
-------------------------------------	-----	-----

#### طه

﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يُقضى اليك وحيه...﴾	١١٤	٣٤٣
---	-----	-----

#### الانبيا

﴿بل قالوا أضغاث احلام بل افتراه...﴾	٥	٣٢٦
-------------------------------------	---	-----

#### الحج

﴿واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت...﴾	٢٦ - ٢٧	٢٩٠
------------------------------------	---------	-----

الآية	الرقم	الصفحة
<b>النور</b>		
﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله...﴾	٣٧	٢٧٣
﴿الله نور السماوات والأرض﴾	٣٥	٣٠٩
<b>الفرقان</b>		
﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا أفك...﴾	٥-٤	٣٢٦
<b>الشعراء</b>		
﴿كذبت ثمود المرسلين...﴾	١٤٤-١٤٤	٢٤٩
<b>القصص</b>		
﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾	٥٢	٢٣
﴿لتنذر قوماً ما آتاهم من نذير من قبلك...﴾	٤٦	٢٤٨
﴿وقالت امرأة فرعون قرّة عين لي ولك...﴾	٩	٣٣٦
<b>السجدة</b>		
﴿لتنذر قوماً ما آتاهم من نذير...﴾	٣	٢٤٨
<b>الاحزاب</b>		
﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب...﴾	٢٦	٢٦

الآية	الرقم	الصفحة
<b>سبأ</b>		
﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها...﴾	٤٤	٢٤٨
<b>فاطر</b>		
﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً...﴾	٢٤	٢٤٩
<b>يس</b>		
﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم...﴾	٦	٢٤٨
<b>الصافات</b>		
﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون...﴾	١٨٠-١٨٢	٢٥٧
﴿أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين﴾	١٢٥	٣١١ و ٣٠٦
<b>الشورى</b>		
﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً...﴾	١٣-١٥	٢٤٠
﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً...﴾	٥١-٥٢	٢٣٧ و ٢٣٨
<b>الدخان</b>		
﴿أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين...﴾	١٣-١٤	٣٢٦
<b>الفتح</b>		
﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً...﴾	١-٢	٣٤٠



الآية	الذاريات	الرقم	الصفحة
﴿فأوجس منهم خيفة...﴾	الذاريات	٢٨	٢٤٨
﴿كذبت ثمود بالنذر...﴾	القمر	٢٣	٢٥٠
﴿هو الذي أخرج الذين كفروا...﴾	الحشر	٢	٢٦
﴿هو الله الخالق البارئ المصور...﴾	الحشر	٢٤	٣١٠
﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله...﴾	الجمعة	٦	٢٣
﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة...﴾	الحاقة	٤	٢٥٠
﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل...﴾	الحاقة	٤٤-٤٧	٣٤٠
﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به...﴾	القيامة	١٦-١٩	٣٤٣
﴿ويل للمطففين...﴾	المطففين	١-٣	٢٧٣

الآية	الرقم	الصفحة
		الأعلى
﴿بل تؤثرن الحياة الدنيا...﴾	١٦-١٩	٢٦٥
﴿سنقرئك فلا تنسى﴾	٦	٣٤٤
		الغاشية
﴿أفلا ينظرون إلى الإيل كيف خلقت﴾	١٧	١٤٧
		العلق
﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾	١	٣٤٢



## فهرس الأحاديث الشريفة

الصفحة	الحديث
٣٣٨	(أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي...)
٢٨٤	(إن النبي لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوماً...)
٣٥٠	(انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم...)
٣٥٠	(انظروا علمكم هذا عمن تأخذونه فإن فينا أهل البيت...)
٣٤٩	(إني تارك فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا...)
٣٥٠	(ألا إن أهل بيتي أمان لكم فاحبّوهم بحبي وتمسكوا بهم لن تضلوا...)
٢٩٨	(تحولت القبلة إلى الكعبة بعدما صلى النبي ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة...)
٢٨٥	(دخل النبي المدينة وإذا أناس من اليهود يعظمون عاشوراء...)
٣٠٠	(سألت أبا جعفر عليه السلام عما فرض الله عز وجل من الصلاة...)
٢٨٠	(سأله عن خطبة رسول الله ﷺ أقبل الصلاة أو بعدها...)
٣٥٠	(شرقاً وغرباً لن تجدوا علماً صحيحاً إلا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت...)
٢٨٤	(قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء...)
٢٨٤	(قدم النبي المدينة واليهود تصوم عاشوراء...)
٢٨٣	(كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يفرض رمضان، وكان يوماً تستر فيه الكعبة...)
٢٨٣	(كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه...)
٢٨٣	(كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان النبي ﷺ يصومه...)
٢٨٥	(كان يوم عاشوراء تعدّه اليهود عيداً...)
٢٩٧	(لعن قوماً زعموا أن النبي ﷺ أخذ الأذان من عبد الله بن زيد...)



المحدث	الصفحة
(لما أُسري برسول الله ﷺ إلى السماء فبلغ البيت المعمور، وحضرت الصلاة...)	٢٧٩
(لما قدم النبي المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء...)	٢٨٤
(لما قدم رسول الله المدينة واليهود تصوم عاشوراء...)	٢٨٤
(لما هبط جبرئيل ﷺ بالأذان على رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر...)	٢٧٩ و ٢٩٧
(والله لتقتلن هذه الامة ابن نبيها في المحرم...)	٢٨٨
(وقال تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ وهي صلاة الظهر...)	٣٠١
(يا يونس إذا أردت العلم الصحيح فخذ عن أهل البيت...)	٣٥٠
(ينزل الوحي على نبيكم فتزعمون أنه أخذ الأذان من عبد الله بن زيد...)	٢٧٩

## فهرس مصادر الكتاب

أولاً: المصادر العربية والمعرّبة

أ- الكتب:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الميزان في تفسير القرآن - السيد محمد حسين الطباطبائي.
- ٣- البيان في تفسير القرآن - السيد أبو القاسم الخوئي.
- ٤- علوم القرآن - السيد محمد باقر الحكيم.
- ٥- التمهيد في علوم القرآن - الشيخ محمد هادي معرفة.
- ٦- الهدى إلى دين المصطفى - الشيخ محمد جواد البلاغي.
- ٧- صلح الامام الحسن (ع) - الشيخ راضي آل ياسين.
- ٨- سيرة الأئمة الاثني عشر - هاشم معروف الحسني.
- ٩- وسائل الشيعة - الحر العاملي.
- ١٠- جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام - الشيخ محمد حسن النجفي.
- ١١- الغدير في الكتاب والسنة والأدب - الشيخ عبد الحسين أحمد الاميني النجفي.
- ١٢- معالم المدرستين - السيد مرتضى العسكري.
- ١٣- أمالي الشيخ الصدوق.
- ١٤- تاريخ الطبري.
- ١٥- صحيح البخاري.
- ١٦- الوحي المحمدي - محمد رشيد رضا.
- ١٧- شاهد القرن الطالب - مالك بن نبي.

- ١٨ - الاسلام على مفترق الطرق - محمد أسد.
- ١٩ - الاسلام وحركة التاريخ - أنور الجندي.
- ٢٠ - الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية - أبو الحسن الندوي.
- ٢١ - انتشار الاسلام والدعوة إليه - سامي محمود.
- ٢٢ - الظاهرة القرآنية - مالك بن نبي.
- ٢٣ - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - الدكتور محمد البهي.
- ٢٤ - تاريخ الاسلام - الدكتور حسن إبراهيم.
- ٢٥ - التبشير والاستشراق - محمد عزت اسماعيل الطهطاوي.
- ٢٦ - التبشير والاستعمار في البلاد العربية - الدكتور مصطفى خالدي والدكتور عمر فروخ.
- ٢٧ - السياسة الفرنسية في الشرق الاوسط - المركز الاسلامي للابحاث السياسية.
- ٢٨ - تاريخ العرب في الاسلام - جواد علي.
- ٢٩ - المستشرقون والاسلام - الدكتور حسين الهواري.
- ٣٠ - التبشير في منطقة الخليج العربي - الدكتور عبد الملك خلف التميمي.
- ٣١ - أرقام وآراء حول نظام البعث في العراق - فؤاد كاظم.
- ٣٢ - الوقائع الحقيقية - علي الباركان.
- ٣٣ - مصادر الدراسات الأدبية - يوسف أسعد داغر.
- ٣٤ - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - محمود حمدي زقزوق.
- ٣٥ - حضارة الاسلام - صلاح الدين خدا بخش.
- ٣٦ - تاريخ الأدب الأندلسي - الدكتور عباس إحسان.
- ٣٧ - الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية - شكيب أرسلان.
- ٣٨ - أثر العرب في الحضارة الأوربية - جلال مظهر.
- ٣٩ - في تراثنا العربي والاسلامي - توفيق الطويل.

- ٤٠ - السياسة الدولية في الشرق العربي - اسماعيل عادل.
- ٤١ - اضواء على الصهيونية - مصطفى السعدين.
- ٤٢ - بلاد الشام - وجيه الكوثراني.
- ٤٣ - الأمة العربية وقضية التوحيد - الدكتور محمد عمارة.
- ٤٤ - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - محمد محمد حسين.
- ٤٥ - حياة محمد - أميل درمنغهام.
- ٤٦ - أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث - بطرس البستاني.
- ٤٧ - المستشرقون - نجيب العقيلي.
- ٤٨ - الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الألمانية - رودى بارت.
- ٤٩ - الاستشراق - ادوارد سعيد.
- ٥٠ - الدعوة إلى الاسلام - توماس أرنولد.
- ٥١ - صورة الاسلام في أوروبا في العصور الوسطى - ريتشارد سودرن.
- ٥٢ - حضارة العرب في الأندلس - لينى بروفنسال.
- ٥٣ - تراث الاسلام - تأليف مجموعة من المستشرقين تحت اشراف وتصنيف جوزيف شاخت وأدموند بوزورت.
- ٥٤ - جاذبية الاسلام - مكسيم رودنسون.
- ٥٥ - تطور العمارة الاسلامية في اسبانيا والبرتغال وشمال إفريقيا - إيلي لومبير.
- ٥٦ - تاريخ الفكر الأندلسي - أ.ج. بالنتيا.
- ٥٧ - المستشرقون الألمان - يوهانك فوك.
- ٥٨ - فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر - أحمد سمائلوفيتش.
- ٥٩ - دراسات في تاريخ الأدب العربي - إغناطيوس كراتشكوفسكي.
- ٦٠ - فضل الاسلام على الحضارة الأوروبية - مونتغمري وات.
- ٦١ - تاريخ التمدن الاسلامي - جرجي زيدان.



- ٦٢ - محمد رسول الله - إيتين ديتيه.
- ٦٣ - تاريخ فرنسا - جو ليمين.
- ٦٤ - البعثات اليسوعية - الدكتور طلال عتريسي.
- ٦٥ - مجمع جبل لبنان - شفالبيه دومينيك.
- ٦٦ - فرنسا صديقة ومحامية - الخورس بطرس غالي.
- ٦٧ - باسم فلسطين - دانيال لوغاك.
- ٦٨ - تاريخ لبنان الحديث - كمال الصليبي.
- ٦٩ - وجهة الاسلام - هاملتون الكسندر جبّ.
- ٧٠ - محمد في مكة - مونتغمري وات.
- ٧١ - الشرق كما يراه الغرب - ايتين القيم.
- ٧٢ - تاريخ الشعوب الاسلامية - كارل بروكلمان.
- ٧٣ - تاريخ اليهود في بلاد العرب - اسرائيل ولفسون.
- ٧٤ - الدولة العربية وسقوطها - يوليوس فلهاوزن.
- ٧٥ - تاريخ العالم للمؤرخين - ثيودور نولدكه.
- ٧٦ - المذهب المحمدي - هاملتون الكسندر جبّ.
- ٧٧ - الدعوة إلى الاسلام - سير توماس أرنولد.
- ٧٨ - في سبيل البعث - ميشيل عفلق.
- ٧٩ - سفر الخروج.
- ٨٠ - سفر اللاويين.
- ٨١ - سفر العدد.
- ٨٢ - سفر أخبار الأيام الاول.
- ٨٣ - سفر التثنية.
- ٨٤ - إنجيل متى.

## ٨٥- إنجيل مرقس.

### ب- الموسوعات:

- ١- موسوعة المورد - منير البعلبكي.
- ٢- دائرة المعارف الإسلامية - مجموعة من المستشرقين.

### ج- القواميس والمعاجم:

- ١- القاموس المنجد في اللغة والأعلام.
- ٢- الأعلام «قاموس تراجم» - خير الدين الزركلي.
- ٣- لسان العرب «قاموس لغوي» - العلامة ابن منظور.
- ٤- كتاب العين - الخليل بن أحمد الفراهيدي.
- ٥- الدليل إلى المستعملات في اللغة العربية.
- ٦- مجمع البحرين - الشيخ فخر الدين الطريحي.
- ٧- النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير «مجد الدين».
- ٨- الجمهرة في لغة العرب - ابن دريد «محمد بن الحسن الأزدي».

### د- الصحف والمجلات:

- ١- مجلة رسالة الجهاد - ليبيا.
- ٢- مجلة منار الإسلام - دولة الامارات العربية المتحدة.
- ٣- مجلة التوحيد - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
- ٤- مجلة العالم - لندن.
- ٥- مجلة العرفان - بيروت.

٦ - مجلة نور الإسلام - بيروت.

٧ - مجلة رسالة الإسلام - مصر.

٨ - مجلة المنتقى - باريس.

٩ - مجلة الدستور - بيروت.

١٠ - مجلة البحث الإسلامي - الهند.

١١ - مجلة دعوة الحق - المغرب.

١٢ - مجلة رسالة الثقلين - الجمع العالمي لأهل البيت (ع) - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

١٣ - صحيفة الاهرام: الملحق الأدبي «أهرام الجمعة» - القاهرة.

### ثانياً: المصادر الأجنبية:

1 - CF. Brown 37, Islam And Missions.

2 - The Political Geography Of The Mehammadan World.

3 - CF - J - J. Wardenburg, L'Islam Dans Le Miroir De l' Occident (Paris - The Hague, 1963).

4 - Migne, Patrologio Latina, CL xxxix.

5 - CF. Southen.

6 - Domj- Laclercq, Pierre Le Venerable (A Baye st. Wandrille, 1946).

7 - Bullet In Dœuvres Des Écoles D'orient 1862.

8 - Christian Mission.

9 - Julius Richter.

10 - Pottier.

11 - Agnes Murphy, The Ideology of French Imperialism 1817-1881

(Washington: Catholic University of America Press, 1948).

12 - Revue D'histoire Des Missions.

13 - Paul Huvetia - Conger's Francais Surga Syrie - Fascicule 111.

Chambre De Commerce Marseille 1919.

14 - Baudicourt, Louis De- Le France en Syrie - Paris 1860.

15 - Rochementaix C.P.-Le Liban Et L'exPédition Francaise En Syrie

1860 - 1861 Documents Inédits Du Général A. Ducroît Paris 1921.

16 - Milligan.

17 - Les Jesuites En Syrie.

18 - [ibid]

19 - R. Ristehoeber - Traditions Francaises Au Liban Paris 1918.

20 - Fack, OP. Cit, H. Deherain, Silver De Sacy.

21 - HARRISON - Ann - Atol in his hand, N.Y. 1958.

22 - Zwemer,S.M. and Cantline, J, OP, Cit.

23 - Burgoyne (Certeude Boll) London 1961.





## فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
كلمة المجلة	٥
مقدمة للعلامة التسخيرى الأمين العام للمجمع العالمى لأهل البيت (ع)	٩
المدخل «أهل الكتاب والثقلين»	١١
الفصل الاول	
نشأة الاستشراق	٢٩
هوية الاستشراق	٣١
النشأة والبدايات	٣٨
نشأة الاستشراق والاقتران بالتبشير	٤٠
نشأة الاستشراق بين النهج العلمى والاستعداد التبشيرى	٤٤
مبدأ الاستشراق اختراق ثقافى لدحر المسلمين فى اوربا	٤٨
الاستعراب أولاً ثم الاستشراق	٥٧
بروز نظريات الاستشراق الاستعماري	٦٦
الفصل الثانى	
المراحل والادوار التى مرّت بها الحركة الاستشراقية	٦٩
المرحلة الاولى: مرحلة الانفتاح لاحتواء الحضارة الاسلامية	٧١
المرحلة الثانية: مرحلة الفرز لاستلاب الحضارة الاسلامية	٧٤

المرحلة الثالثة: مرحلة تغريب افرازات الحضارة الاسلامية المستتلبة ..... ٧٤

المرحلة الرابعة: مرحلة استعمار الشرق وتطبيعها على الحضارة الغربية ..... ٧٧

### الفصل الثالث

المدارس الاستشراقية ..... ٧٩

خلفيات المستشرقين ..... ٨١

المدارس الاستشراقية ..... ٨٦

النموذج: المدرسة الاستشراقية الفرنسية ..... ٨٨

المميزات الاساسية للمدرسة الاستشراقية الفرنسية ..... ٨٩

نشأة المدرسة الاستشراقية الفرنسية وعوامل ثورها وتطورها ..... ٩٧

مناطق نفوذ المدرسة الاستشراقية الفرنسية ..... ١٠١

صيغ واساليب المدرسة الاستشراقية الفرنسية وتشكيلاتها ..... ١٠٤

أثر المدرسة الاستشراقية الفرنسية على الفكر الاستشراقي العام ..... ١٢٩

### الفصل الرابع

نماذج من ابرز الموضوعات التي ركز عليها المستشرقون دسهم

وتشويهم ..... ١٣٣

القرآن الكريم ..... ١٣٧

اعجاز القرآن الكريم ..... ١٣٧

الوحي القرآني ..... ١٤١

ترجمة القرآن للغات الاخرى ..... ١٤٦

سيرة الرسول (ص) واهل بيته (ع) ..... ١٤٩

### الفصل الخامس

نماذج من كبار المستشرقين في منهج تناولهم للشرق الاسلامي ..... ١٧٧

أرندجان فنسك Arandjan Wensink ..... ١٨١

صموئيل زويمر Samuel Zwemer ..... ١٨٥

لويس ماسنيون Louis Massignon ..... ١٩٢

## الفصل السادس

نماذج من الدس والتشويه في الانتاج الموسوعي للمستشرقين ..... ١٩٩

دوائر المعارف (البريطانية، الأميركية، لاروس الفرنسية) ..... ٢٠٣

الموسوعة العربية الميسرة ..... ٢٠٧

قاموس المنجد ..... ٢١١

الموسوعة الاسلامية الميسرة ..... ٢١٥

دائرة المعارف الاسلامية ..... ٢٢٠

هوية وخلفية أبرز كتابها ..... ٢٢١

الدس والتشويه في موادها (شبهات وردود) ..... ٢٣٧

✽ ذكاء محمد (ص) وخياله عماد دعوته ..... ٢٣٨

✽ تناقض القرآن والتردد في بعض آياته ..... ٢٤٢

- النسخ في القرآن الكريم ..... ٢٥١

✽ تأثر محمد (ص) باليهودية والنصرانية والجاهلية واستقاؤه منها في صياغة قرآنه

ودينه الجديد ..... ٢٦١

✽ شعائر الاسلام وليدة ابداعات وتأثيرات متنوعة ..... ٢٩٤

✽ غموض العديد من مقولات النبي محمد (ص) القرآنية ..... ٣٠٥

✽ ادعاء النبي محمد (ص) وابتكاره واصطناعه وتأثره بمن حوله ..... ٣١٢

- شبهة المستشرقين حول الوحي ..... ٣٢٨

الخاتمة ..... ٣٤٥



## الفهرست الاجمالي

٣٥٣	فهرس الآيات الشريفة .....
٣٦٥	فهرس الأحاديث الشريفة .....
٣٦٧	فهرس مصادر الكتاب .....
٣٧٥	فهرس المحتويات .....

## كتاب الثقلين

سلسلة كتب دورية تصدر

عن مجلة رسالة الثقلين

• تهدف إلى إحياء المعارف  
الإسلامية من منطلق الثقلين  
المباركين والدفاع عن حريم القرآن  
الكريم وسنة الرسول الشريف  
وعروة أهل البيت الأطهار

• تستعمل نتائج العلماء  
والمفكرين والكتّاب الإسلاميين  
التي تصب في رسالة الثقلين  
لأعلام سنة الإسلام وسنة وحدة  
الامة الإسلامية وتقوية شوكتها  
في أرجاء العالم

THE AHL UL BAIT (AS)

WORLD ASSEMBLY

ISLAMIC REP OF IRAN

P.O. BOX 37185 / 894

Tel: 740771 Fax: 735179



الجمهورية الإسلامية الإيرانية

الجمهورية الإسلامية في إيران - قم

ص ب ٥٩٤ / ٣٧١٨٥

هاتف: ٧٧١٠٧٧١ فاكس: ٧٣٥١٧٩